
حرب الجمل
وحرب صفين
تاليف
السيد محسن الأمين
الحسيني العاملي

حرب الجمل

و

حرب صفّين

تأليف
السيّد محسن الأمين
الحسيني العاملي

دار الفكر للجميع
بيروت
١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

حرب الجمل

في جمادي الثانية سنة ٣٦ هـ • في شرح النهج : روى المدائني في كتاب الجمل ، قال : لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة ، وبلغ قتله اليها وهي بسرف ، فلم تشك في ان طلحة هو صاحب الامر • وقالت : بعدا لعثمن وسحقا ، ايه ذا الاصبع ، ايه أبا شبل ، ايه يا ابن عم ، لكأني انظر الى اصبعه وهو يبايع له حثوا الابل ودعدعوها • قال : وقال أبو مخنف لوط بن يحيى الازدي في كتابه ان عائشة ، لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة ، اقبلت مسرعة وهي تقول : ايه ذا الاصبع لله ابوك ، اما انهم وجدوا طلحة لها كفواء فلما انتهت الى سرف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي ، فقالت له : ماعندك ؟ قال : قتل عثمان • قالت : ثم ماذا ؟ قال: ثم حارت بهم الامور الى خير محار ، بايعوا عليا • فقالت : لوددت ان السماء انطبقت على الارض ، ان تم هذا ويحك انظر ماذا تقول • قال : هو ما قلت لك يا ام المؤمنين • فولولت ، فقال لها : ماشأنك يا ام المؤمنين والله ما اعرف بين لابتيها احدا اولى بها منه ولا احق ، ولا ارى له نظيرا في جميع حالاته ، فلماذا تكرهين ولايته ؟ قال : فما ردت علي جوابا • قال : وقد روي من طرق مختلفة انه لما بلغها قتله وهي بمكة ، قالت : ابعده الله • قال : وروى قيس ابن أبي حازم الى ان قال : ثم امرت برد ركائبها الى مكة ، ورأيتها في

مسيرها الى مكة تخاطب نفسها : قتلوا بن عفان مظلوما • فقلت لها :يا ام المؤمنين الم اسمعك آنفا تقولين ابعده الله وقد رأيتك قبل اشد الناس عليه واقبحهم فيه قولا • فقالت : لقد كان ذلك ولكني نظرت في امره فرأيتهم استتابوه حتى اذا تركوه كالفضة البيضاء اتوه صائما محرما في شهر حرام فقتلوه • وقال بن الاثير ان عائشة كانت خرجت الى مكة وعثمان محصور ثم خرجت من مكة تريد المدينة • قال الطبري فيما رواه بسنده وذكره بن الاثير أيضا • فلما كانت بسرف لقيها رجل من اخوالها من بني ليث يقال له عبيد أو عبد بن أبي سلمة وهو ابن ام كلاب فقالت له ماذا ؟ قال : قتل عثمان وبقوا ثمانيا • قالت: ثم صنعوا ماذا ؟ قال اخذها اهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الامور الى خير مجاز اجتمعوا على بيعة علي فقالت ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبك ردوني ردوني فانصرفت الى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لاطلبن بدمه فقال لها ولم والله ان اول من امال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير خير من قولي الاول فقال لها ابن ام كلاب :

منك البداء ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر
وانت امرت بقتل الامام ... وقلت لنا انه قد كفر
فهبنا اطعناك في قتله ... وقاتله عندنا من امر
ولم يسقط السقف من فوقنا ... ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرء ... يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب اثوابها ... وما من وفي مثل من قد غدر

فدخلت مكة وقصدت الحجر فسترت فيه فاجتمع الناس حولها فقالت أيها الناس ان الغوغاء من اهل الامصار واهل المياه وعبيد اهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالامس ونقموا عليه استعمال من

حدثت سنه وقداستمل امثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهمفتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال ألحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم ووالله لو ان الذي اعتدوا بهعليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه اذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء (اي يغسل) فقال عبدالله بن عامر الحضرمي وكان عامل عثمان على مكة ها أنا اول طالب فكان اول مجيب وتبعه بنو امية على ذلك وكانوا هربوا من المدينة الى مكة بعدقتل عثمان ورفعوا رؤوسهم وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني امية وقدم عليهم عبدالله بن عامر بن كريز من البصرة بمال كثيرويعلى ابن امية وهو بن منية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة الف درهم فاناخ بالابطح • وروى الطبري سنده عن عبيد بن عمر القرشي قال قدم عليها مكةرجل يقال له اخضر فقالت ماصنع الناس فقال قتل عثمان المصريين قالت انا لله وانا اليه راجعون ايقتل قوما جاؤوا يطلبون الحق وينكرون الظلم والله لا رضى ثم قدم آخر فقالت ماصنع الناس قال قتل المصريون عثمن قالت العجب لاخضر زعم ان المقتول هو القاتل •

وطلب طلحة والزبير من علي ان يوليهما المصرين البصرة والكوفة فقال بل تقيمان معي فاني لا أستغني عن رايكما وقيل استشار بن عباس فلم يشر به قال بن أبي الحديد فاستأذناه في العمرة فقال لهما ما العمرة تريدان وانما تريدان الغدرة وانكث البيعة فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث البيعة يريدان وما رأيهما غير العمرة قال فاعيدا البيعة لي ثانية فاعاداها باشد ما يكون من الايمان والمواثيق فأذن لهما فلما خرجا قال والله لاترونهما الا في فتنة يقتلان فيها قالوا يا مأير المؤمنين فمر بردهما عليك قال ليقضي الله امرا كان مفعولا •

وقدم طلحة والزبير من المدينة فلقيا عائشة فقالت ماوراء كمـا فقالا انا تحملنا هرابا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى لايعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون انفسهم فأمرتهم عائشة بالخروج الى المدينة فقالوا نأتي الشام فقال بن عامر قد كفاكم الشام معوية فأتوا البصرة فان لي بهاصنائع ولهم في طلحة هوى قلوا قبحك الله فوالله ماكنت بالمسالم ولا بالمحارب فهلا اقمت كما اقام معوية فنكفي بك ثم نأتي الكوفة فنسد على هؤلاء الطريق فاستقام الرأي على البصرة وقـال لها طلحة والزبير نأتي ارضا قد ضاعت منا وصارت الى علي وسيحتجون علينا ببيعتنا لـه ويتركوننا الا ان تخرجي فتأمري بمثل ما امرت في مكة وكان علي عليـه السلام بعث الى عبدالله بن عمر كميلا النخعي فجاء به فدعاه الى الخروج معه فقال : انما انا من اهل المدينة فان يخرجوا اخرج وان يقعدوا اقعـد قال فاعطني كفيلا قال لا افعل فقال له علي لولا ما اعرف من سوء خلقـك صغيرا وكبيرا لانكرتني دعوه فانا كفيله وخرج بن عمر من تحت ليلتـه الى مكة فدعوه ليسير معهم فابى • وجاءت عائشة الى ام سلمة تطلب اليهـا ان تخرج معها الى البصرة مع علمها بميل ام سلمة الى علي وظنها القوي بانها لاتجيبها الى ذلك لكن حب الشيء والحرص عليه تدعو الى التوسل لحصوله ولو بالامور المستبعد حصولها •

عن المفيد في كتاب الاختصاص عن محمد بـن علي بن شاذان عن احمد ابن يحي النحوي أبي العباس ثعلب عن احمد بن سهل عن يحي بن محمد ابن اسحق بن موسى عن احمد بن قتيبة عن عبدالحكيم القتيبي عن أبي كيسبة ويزيد بن رومان قالا : لما اجمعت عائشة على الخروج الى البصرة اتت ام سلمة وكانت بمكة فقالت يا ابنة أبي بكر كنت كبيرة امهات المؤمنين وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقمؤ (١) في بيتك وكان يقسم لنا في بيتك وكان ينزل عليه الوحي في بيتك قالت لها يا ابنة أبي بكر لقد زرتني وما كنت زواره ولامر ماتقولين هذه المقالة قالت ان ابني(٢) وبن اختي(٣) اخبراني ان الرجل قتل مظلوما وان بالبصرة مائة الف سيف يطاوعون فهل لك ان اخرج انا وانت لعل الله يصلح بنا بين فئتين متناجزتين أو قالت متناحرتين فقالت يا ابنة أبي بكر ابدم عثمن تطلبين فلقد كنت اشد الناس عليه وان كنت لتدعينه بالنبزام امر بن أبي طالب فقد بايعه المهاجرون والانصار انك سدة (٤) بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين امته وحجابه مضروب على حرمه(٥) وقد جمع القرآن ذيلك (٦) فلا تندحيه (٧) وسكن (وسكني

---

(١) قمأ كجمع وكرم قال ابو العباس ثعلب يقمؤ في بيتك يعني يأكل ويشرب وفي النهاية قمأت بالمكان دخلته واقمت به وفي القاموس قمأت الابل بالمكان اقامت به لخصبه فسمنت وتقلمأ المكان وافقه فاقام به وفي الفائق يقمؤ الى المنزل يدخل ومنه اقتمى الشيء اذ اجمعه .

(٢) الظاهر ان يقرأ بتشديد الياء ويراد بهما طلحة والزبير وارادة احدهما لاوجه لها لكن ينافيه قولها اخبراني بالف الاثنين ولعله تحريف والصواب اخبروني .

(٣) هو عبدالله بن الزبير لان امه اسماء بنت ابي بكر .

(٤) السدة بضم السين وفتح الدال المشددة الباب في النهاية في حديث ام سلمة انها قالت لما ارادت الخروج الى البصرة انك سدة بين رسول لله صلى لله عليه وسلم وامته اي باب فمتى اصيب ذلك الباب بشيء فقد دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حريمه وحوزته واستفتح ما حماه فلا تكوني انت سبب ذلك بالخروج وفي الفائق تريد انك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة سدة الدار من اهلها فان نابك احد بنائبه او نال منك نائل فقد ناب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونال منه فلا تعرضني بخروجك اهل الاسلام لهتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وهو كالمفسر لقولها انت سدة الخ. وفي الفائق وحجابك مضروب على حرمته .

خل) عقيراك(١) فلاتضحي(٢) بها او فلاتصحر بها الله من وراءهذه الامة(٣)
قد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانك ولو اراد ان يعهداليك

---

(٦) جمع الذيل كناية عن الستر وعدم التبرج واسناد ذلك الى القرآن مجاز باعتبار انه امر فيه بما يقتضي ذلك بقوله تعالى يدنين عليهن من جلابيبهن وقرن في بيوتكن ولا تبرجن .

(٧) في القاموس ندحه كمنعه وسعه ومنه قول ام سلمة لعائشة قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه اي لا توسعيه بخروجك الى البصرة اهـ وفي النهاية ندحت الشيء اذا وسعته وفي حديث ام سلمة قالت لعائشة قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه اي لا توسعيه وتنشريه ارادت قوله تعالى وقرن في بيوتكن ولا تبرجن اهـ وفي تاج لعروس ويروى لاتبدحيه بالباء اي لا تفتحيه من البدح وهو العلانية ارادت قوله تعالى وقرن في بيوتكم ولا تبرجن وقال الازهري من قاله بالباء ذهب الى البداح وهو ما اتسع من الارض ومن قاله بالنون ذهب به الى الندح وهو السعة اهـ . ومنه المندوحة.

(١) في النهاية : سكن عقيراك اي اسكنك بيتك وسترك فيه فلا تبرزيه وهو اسم مصغر مشتق من عقر الدار قال القتيبي (هو عبدالله بن مسلم ابن قتيبة صاحب كتاب غريب الحديث) لم اسمع بعقيري الا في هذا الحديث اهـ وقال ثعلب سكني عقيراك مقامك وبذلك سمي العقار لانه اصل ثابت وعقر الدار اصلها وعقر المراة ثمن بضعها وفي الفائق العقيري كانها تصغير العقرى فعلى من عقر اذا بقى في مكانه لايتقدم ولا يتأخر فزعا او اسفا او خجلا واصله من عقرت به اذا اطلت حبسه كأنك عقرت راحلته فبقي لا يقدر على البراح ارادت نفسها اي سكني نفسك التي صفتها وحقها ان تلزم مكانها ولا تبرح بيتها واعملي بقوله تعالى وقرن في بيوتكن .

(٢) قال ثعلب فلا تضحيْ بها قال الله عز وجل وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى اي لا تبرز للشمس وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل يحرم اضح لمن احرمت له اي اخرج الى البراز والموضع الظاهر المنكشف من الاغطية والستور اهـ وفي رواية الفائق تصحريها قال اصحر اي خرج الى الصحراء واصحر به غيره وقد جاء هنا معدى على حذف الجار وايصال الفعل اهـ ويوشك ان يكون تصحريها مصحف تضحي بها وان اتحد المعنى.

(٣) محيط بهم وحافظ لهم وعالم باحوالهم كقوله تعالى والله من ورائهم محيط .

علت علت (١) بل قد نهاك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفراطة أو الفرطة (٢) في البلاد ان عمود الاسلام لا ثرأبه النساء ان انثلم ولا يشعب بهن ان انصدع (٣) حماديات النساء (٤) غض الاطراف (٥) وحفر الاعراض (٦)

---

(١) علت كفلت اي جرت في هذا الخروج وعدلت عن الصواب والعول الميل والجور . قال تعالى ذلك ادنى الا تعولوا . ومن الناس من يرويه علت بكسر العين اي ذهبت في البلاد وابعدت السير يقال عال فلان في البلاد اي ذهب وابعد ومنه قيل للذئب عيال وفي النهاية في حديث ام سلمة قالت لعائشة لو اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعهد اليك علت اي عدلت عن طريق وملت وقيل جواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه اي فعل وعلت كلام مستأنف اهـ ولكن الموجود في الفائق لو اراد ان يعهد اليك عهد علت علت مكررا وكل هذا يدل على ان جواب الشرط غير موجود في الحديث وما يوجد في بعض الكتب من ذكره بلفظ عهد او فعل اصلاح من النساخ فالمتعين ان يكون جواب لو محذوفا اي لفعل او لعهد كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض اي لكان هذا القرآن .

(٢) الفراطة التقدم على القوم في السير وقال ثعلب الفراطة في البلاد السعي والذهاب وفي رواية الفائق وابن قتيبة الفرطة بدون الف قال في الفائق الفرطة والفروطة التقدم وفي النهاية في حديث ام سلمة قالت لعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاك عن الفرطة في الدين يعني السبق والتقدم ومجاوزة الحد اهـ لكن الذي في الفائق وغيره الفرطة في البلاد ثم قال في النهاية الفرطة بالضم اسم للخروج والتقدم وبالتفتح المرة الواحدة اهـ وقال ابن ابي الحديد اي عن السفر والشخوص من الفرط وهو السبق والتقدم ورجل فارط الى الماء اي سابق .

(٣) في رواية الفائق لا يثأب بالنساء ان مال ولا يراب بهن ان صدع ثم قال أثابه اذا قومه وهو منقول من ثاب اذا رجع لانه رجع بالمائل الى الاستقامة اهـ وفي النهاية الرأب الجمع والشد ومنه حديث ام سلمة لعائشة لا يرأب بهن ان صدع اهـ والصدع الشق والشعب بمعنى الرأب.

(٤) اي الصفات التي تحمد منهن في الغاية في الفائق يقال حماداك ان تفعل كذا اي قصاراك وغاية أمرك الذي تحمد عليه اهـ .

(٥) في الفائق هكذا اورده القتيبي وفسر الاطراف بجمع طرف وهو العين ويدفعه ان الاطراف في جمع طرف لم يرد به سماع بل قال الخليل

وقصر الوهازة(١) وما كنت قائلة لو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لك (عارضك خ) ببعض الفلوات وانت ناصة (٢) قلوصا من منهل الى آخر ان بعين الله مهواك (٣) وعلى رسول تردين وقد وجهت سدافته(٤) وتركت عهيداه (٥) اقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي

ان الطرف لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر طرف اذا حرك جفونه في النظر ولانه غير مطابق لخفر الاعراض ولا إكاد اشك انه تصحيف والصواب غض الاطراق (اي بالقاف) والمعنى ان يغضضن من ابصارهن مطرقات اي راسيات بابصارهن الى الارض ويتخفرن من السوء معرضات عنه اهـ ولا يبعد ان يكون الاطراف جمع طرف بالتحريك وغض الاطراف جمعها.

(٦) الخفر شدة الحياء والاعراض جعله الزمخشري في الفائق بالكسر مصدرا عرض ويمكن ان يكون جمع عرض وهو الجسد يقال فلان طيب العرض اي طيب ريح الجسد .

(١) في الفائق الوهازة الخطو يقال هو يتوهز ويتوهس اذا وطىء وطئا ثقيلا وقال ابن الاعرابي الوهازة مشى الخفرات اهـ .

(٢) في الفائق نص الناقة دفعها الى السير وفي النهاية النص التحريك حتى يستخرج اقصى سير الناقة واصل النص اقصى الشيء وغايته ثم سمي به ضرب من السير سريع ومنه حديث ام سلمة لعائشة ماكنت قائلة لو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصا من منهل الى منهل اي دافعة لها في السير اهـ ومنه حديث منصوص اي مرفوع .

(٣) هويك والهوي الانحدار في السير .

(٤) في الفائق وروي سجافته والسدافة والسجافة الستارة وتوجهها هتكها واخذ وجهها كقولك لاخذ قذى العين تقذية قال العجاج يصف جيشا (بوجه الارض ويستاق الشجر) او تغييرها وجعلها لها وجها غير الوجه الاول .

(٥) في الفائق العهيدي من العهد كالجهيدي والعجيلي من الجهد والعجلة يقال لابلغن جهيداي في هذا الامر وهو بمشي العجيلي .

(٦) في الفائق وقاعة الستر موقعة على الارض اذا ارسلته وروي وقاعة الستر اي وساحة الستر وموضعه

الفردوس لاستحييت ان القى محمدا هاتكة حجابا قد ضربه علي اجعلي حصنك بيتك ووقاعة (٦) الستر قبرك حتى تلقيه وانت على ذلك اطوع ما تكونين لله مالزمته (١) وانصر ماتكونين للدين ماجلست عنه .

ثم قالت لو ذكرتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا في علي لنهشت بها نهش الرقشاء المطرقة (٢) ذات الخبب (٣) اتذكرين اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرع بين نسائه اذا اراد سفرا فاقرع بينهن فخرج سهمي وسهمك فبينا نحن معه وهو هابط من قديد ومعه علي يحدثه فذهبت لتهجمي عليه فقلت لك رسول الله معه بن عمه ولعل له اليه حاجة فعصيتني ورجعت باكية فسألتك فقلت بانك هجمت عليهما فقلت له ياعلي انما لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم من تسعة ايام وقد شغلته عني فاخبرتني انه قال لك اتبغضينه فما يبغضه احد من اهلي ولا من امتي الا خرج من الايمان اتذكرين هذا عائشة قالت نعم قالت ويوم اراد رسول

---

(١) في الفائق الضمير للستر والمعنى اطوع اوقات كونك وانصرها وقت لزومك ووقت جلوسك اهـ فاطوع مبتدأ وما بعده خبر .

(٢) في الفائق لو ذكرتك قولا تعرفينه نهشته نهش الرقشاء المطرق الرقشاء الافعى اهـ وفي رواية ابن قتيبة لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة والظاهر ان مافي الفائق تحريف من الناسخ والصواب نهشت به وهو بالبناء للمفعول اي لعضك ونهشك ما اذكره لك واذكرك به كما ينهشك افعى اي لكانت حالتك حالة من نهشته افعى وخصت الرقشاء لانها من اخبث الحيات قال النابغة :

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في انيابها السم ناقع

والافعى يوصف بالاطراق وكذلك الاسد والنمر والرجل الشجاع قال الشاعر يصف افعى :

اصم اعمى مايجيب الرقى ... من طول اطراق واسبات

(٣) الخبب الخبث كما في تاج العروس عن ابن الاعرابي .

الله صلى الله عليه وسلم سفرا وانا احش له حشيشا (١) فقال ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الادبب (٢) تنجها كلاب الحوأب فرفعت يـدي من الحشيش وقلت اعوذ بالله ان اكونها فقال والله لابد لاحداكن ان تكونها اتقي الله ياحميراء ان تكونيها اتذكرين هذا ياعائشة قالت نعم•

قالت ويوم تبدلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلبست ثيابي وليست ثيابك فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى جنبك فقال اتظنين يا حميراء اني لا اعرفك اما ان لامتي منك يوما مرا أو يوما احمرا أتذكرين هذا ياعائشة قالت نعم قالت ويوم كنت انا وانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبوك وصاحبه يستأذنان فدخلنا الخدر فقالا يارسول الله انا لاندري قدر مقامك فينا فلو جعلت لنا انسانا نأتيه بعدك قال اما اني اعرف مكانه واعلم موضعه ولو اخبرتكم به لتفرقتم عنه كما تفرقت بنـو اسرائيل عن عيسى بن مريم فلما خرجا خرجت اليه انا وانت وكنت جريئـة عليه فقلت من كنت جاعلا لهم فقال خاصف النعل وكان علي بن أبي طالب يصلح نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تخرقت ويغسل ثوبـه اذا اتسخ فقلت ما ارى الا عليا فقال هو ذاك اتذكرين هذا يا عائشة قالت نعم ماقبلني لوعظك واسمعني لقولك فان اخرج ففي غير حرج وان اقعد ففي غير بأس وحرج فخرج رسولها فنادى في الناس من اراد ان يخرج فان ام المؤمنين غير خارجة فدخل عليها عبدالله بن الزبير فنفث في اذنها وفتلها في الذروة والغارب فخـرج رسولها ينادي من اراد ان يسـير فليسر فان ام المؤمنين خارجة فلما كان من ندمها انشأت ام سلمة تقول :

---

(١) الحشيش السويق وحنطة تطحن جليلا فتجعل في قدر ويلقى فيه لحم او تمر فتطبخ وفي رواية وانا احيس له حيسا فرفعت يدي من الحيس.

(٢) الاديب الكثير وبر الوجه وأظهر الادغام لمناسبة الحوأب .

لو كان معتصما من زلة احد   كانت لعائشة الرتبي على الناس
كم سنة لرسول الله ذاكـرة   وتلو آي من القرآن مـدارس
قد ينزع الله من قوم عقولهم   حتى يكون الذي يقضي على الناس
فيرحم الله ام المؤمنين لقـد   كادت تبـدل ايحاشا بايناـس

وروى الطبرسي في الاحتجاج محاورة ام سلمة مع عائشة بطريقين نحوا مما ذكرناه من ارادهما فليرجع اليـه والطريق الثاني عن الصادق عليـه السلام واورد الابيات بتفاوت فقـال :

لو كان معتصما من زلة احد   كانت لعائشة الرتبى على النـاس
من زوجة لرسول الله فاضلة   وذكري آي من القرآن مدراس
وحكمة لم تكن الا لهاجسها   في الصدر تذهب عنها كل وسواس
يستنزع الله من قوم عقولهم   حتى يمر الذي يقضي على الراسي
ويرحم الله ام المؤمنين لقـد   تبدأت بي ايحاشـا بايناـاس

فقالت لها عائشة شتمتني يا اخت فقالت لها ام سلمة ولكـن الفتنة اذا اقبلت غطت على البصيرة واذا ادبرت ابصرها العاقل والجاهل اهـ واورد ابن أبي الحديد في شرح النهج هذه المحاورة نقلا عن أبي مخنف نحو ذلك •

وطلبوا من حفصة المسير معهم الى البصرة فأجابتهـم فمنعها اخوهـا عبدالله بن عمر • وجهزهم يعلى بن منية بالستمائة بعير والستمائـة الف درهم التي معه وجهزهم بن عامر بمال كثير • قال بن الاثير : ونادى مناديها ان ام المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة فمن اراد اعزاز الاسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا ستمائة على ستمائة بعير • واعطى يلي بن منية عائشة جملا اسمه عسكـر اشتراه بثمانين دينارا فركبته وقيل اشتروه من رجل من عرينة اعطوه ناقة لها مهرية وزادوه اربعمائة او ستمائة درهما • وساروا في ستمائـة وقيل

تسعمائة وقيل الف من اهل المدينة ومكة ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل ومعهم ابان والوليد ابنا عثمان ومروان بن الحكم وسائر بني امية قال الطبري وامرت على الصلاة عبدالرحمن بن عتاب بن اسيد فكان يصلي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قتل قال فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونجعة مساحلين لم يدن احد منهم من المنكدر ولا واسط ولا فلج حتى اتوا البصرة في عام خصب وتمثلت :

دعي بلاد جموع الظلم اذ صلحت فيها المياه وسيرى سير مذعور
تخيري النبت فارعي ثم ظاهرة وبطن واد من الضمار ممطور

وبعثت ام الفضل بنت الحارث زوجة العباس بن عبدالمطلب بكتاب الى أمير المؤمنين عليه السلام تخبره الخبر مع رجل من جهينة اسمه ظفر استأجرته على ان يطوي المنازل فأتاه بكتابها • فلما جازوا بئر ميمون اذا هم بجزور قد نحرت ونحرها يثعب فتطيروا • واذن مروان حين فصل من مكة ثم جاء فقال علي ايكما اسلم بالامرة واؤذن بالصلاة فقال عبدالله ابن الزبير على ابي عبدالله وقال محمد بن طلحة على أبي محمد فارسلت عائشة الى مروان اتريد ان تفرق امرنا ليصل بن اختي فكان يصلي بهم عبدالله بن الزبير ومر انها امرت غيره فكان بعضهم يقول لو ظفرنا لاقتتلنا وروى الطبري بسنده عن المغيرة بن الاحنس قال لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم واصحابه بذات عرق فقال اين تذهبون وثاركم على اعجاز الابل قال بن الاثير يعني عائشة وطلحة والزبير اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم لا تقتلوا انفسكم قالوا بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا • والى ذلك يشير مهيار بقوله في لاميته الطويلة :

وللقتيل يلزمون دمه — وفيهم القاتل — غير من قتل

فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال ان ظفرتما لمن تجعلان الامر قالا لاحدنا

اينا اختاره الناس قال بل اجعلوه لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه قالا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم قال فلا اراني اسعى لاخرجها من بني عبد مناف فرجع ورجع معه جماعة . قال الطبري وتبعهـا امهات المؤمنين الى ذات عرق فبكوا على الاسلام فلم ير يوم كان اكثر باكيـا وباكية منذلك اليوم فكـان يسمي يوم النحيب اه ولم يبين انهم لمـاذا تبعوهـا ومن اي شيء بكوا على الاسلام .

ولما بلغ عليا عليه السـلام نكث طلحة والزبير بيعته واجتماعهم مـع عائشة على التأليب عليه خطب بالمدينة على ما في ارشاد المفيد ناسبا لهالى حفظ العلماء عنه فحمد الله واثنى عليه وقال : اما بعد فان الله بعثمحمدا للناس كافة وجعله رحمة للعالمين فصدع بما امر به وبلغ رسالات ربـه فلم بـه الصدع ورتق به الفتق وآمن به السبل وحقن به الدماء والفبه بينذوي الاحن والعـداوة والوغر في الصدور والضغائـن الراسخة في القلوب ثم قبضه الله اليه حميدا وكان من بعده ماكان من التنازع فيالامرة فتولى أبو بكر وبعده عمر ثم تولى عثمان فلما كان مـن امره ماعرفتموه اتيتموني فقلتم بايعنا فقلت : لا افعل فقلتم بلـى فقلت لا وقبضت يـدي فبسطتموها ونازعتكم فجذبتموها حتى تداكتم علي تداك الابل الهيـم على حياضها يوم وردها حتى ظننت انكم قاتلي وان بعضكـم قاتل بعضا فبسطت يدي فبايعتموني مختارين وبايعني في اولكم طلحة والزبيرطائعين غير مكرهين ثم لم يلبثا ان استأذناني في العمرة والله يعلمانهما ارادا الغدرة فجددت عليهما العهد في الطاعة وان لايبغيا الامة الغوائل فعاهداني ثـم لم يفيا لي ونكثا بيعتي ونقضا عهدي فعجبا لهما من انقيادهما لابي بكـر وعمر وخلافهما لي ولست بدون احـد الرجلينولو شئت ان اقول لقلت اللهم احكم عليهما بما صنعا في حقي وصغرا من امري وظفرني بهما .

وحكى بن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي مخنف في كتاب الجمل ان عليا خطب لما سار الزبير وطلحة من مكة ومعهما عائشة يريدون البصرة فقال : ايها الناس ان عائشة سارت الى البصرة ومعها طلحة والزبير وكل منهما يرى الامر له دون صاحبه اما طلحة فابن عمها واما الزبير فختنها والله لو ظفروا بما ارادوا لن ينالوا ذلك ابدا ليضربن احدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد والله ان راكبة الجمل الاحمر ماتقطع عقبة ولا تحل عقدة الا في معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومن معها مواردالهلكة اي والله ليقتلن ثلثهم وليهربن ثلثهم وليتوبن ثلثهم وانها التي تنبحها كلاب الحوأب وانهما ليعلمان انهما مخطئان ورب عالم قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه حسبنا الله ونعم الوكيل فقد قامت الفتنة فيها الفئةالباغية اين المحتسبون اين المؤمنون مالي ولقريش اما والله لقد قتلتهم كافرين ولأقتلنهم مفتونين وما لنا الى عائشة من ذنب الا انا ادخلناها في حيزنا والله لابقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته فقل لقريش فلتضج ضجيجها ثم نزل قال بن الاثير ولما بلغ عليا خروجهم الى العراق دعا وجوه اهل المدينة فخطبهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح اوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم امركم فتثاقلوا فلما رأى زياد بن حنظلة تثاقلهم قال له من تثاقل عنك فانا نخف معك فنقاتل دونك وقام رجلان صالحان من اعظم الانصار أبو الهيثم بن التيهان وهو بدري ، وخزيمة بن ثابت قيل ذو الشهادتين وقيل غيره ولان ذا الشهادتين مات ايام عثمان فأجابا الى نصرته .

وقال أبو قتادة الانصاري لعلي يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلدني هذا السيف وقد اغمدته زمانا وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لايألون الامة غشا وقالت ام سلمة يا أمير

المؤمنين لولا ان اعصي الله وانك لاتقبله مني لخرجت معك وهذا ابني عمرو هو والله اعز علي من نفسي يخرج معك ويشهد مشاهدك فخرج معه ولم يزل معه واستعمله على البحرين واستخلف علي على المدينة تمام بن العباس وقيل سهل بن حنيف وعلي مكة قثم بن العباس وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل وهو يرجو ان يدركهم فيردهم قبل وصولهم الى البصرة او يوقع بهم وسار من المدينة في تعبيته التي تعباها لاهل الشام آخر ربيع الاول سنة ٣٦ حتى انتهى الى الربذة فأتاه الخبر بانهم سبقوه .

قال المفيد لما نزل أمير المؤمنين عليه السلام الربذة لقيه بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خباءه قال بن عباس فأتيته فوجدته يخصف نعلا فقلت له نحن الى ان تصلح امرنا احوج منا الى ماتصلح فلم يكلمني حتى فرغ من نعله ثم ضمها الى صاحبتها وقال لي قومهما فقلت ليس لهما قيمة قال على ذاك قلت كسر درهم قال والله لهما احب الي من امركم هذا الا ان اقيم حقا أو ادفع باطلا قلت ان الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي ان اتكلم فان كان حسنا كان منك وان كان غير ذلك كان مني قال لا أنا اتكلم ثم وضع يده على صدري وكان شثن الكفين فآلمني ثم قام فأخذت بثوبه وقلت نشدتك الله والرحم قال لا تنشدني كأنه خاف ان يتكلم بما ينفر الحاج ثم خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الله بعث محمدا وليس في العرب احد يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس الى منجاتهم اما والله مازلت في ساقتها ماغيرت ولا بدلت ولا خنت حتى تولت بحذافيرها مالي ولقريش اما والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين وان مسيري هذا عن عهد الي فيه اما والله لايقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته ماتنقم منا قريش الا ان الله اختارنا عليهم فادخلناهم في حيزنا وانشد :

ادمت لعمري شربك المحض خالصا   واكـك بالزبـد المقشرة البجـرا
ونحن وهبناك العلاء ولم تكـن   عليا وحطنا دونك حولك الجرد والسمرا

وارسل علي عليه السلام الى المدينة فأتاه مايريد من دابة وسلاح وأتاه وهو بالربذة جماعة من طيء فقيل له هذه جماعة قد اتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جزى الله كليهما خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما ثم سار من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح والراية مع محمد بن الحنفية وعلى الميمنة عبدالله بن العباس وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة وعلي على ناقة حمراء يقود فرسا كميتا حتى نزل بفيد فاتته اسدو طيء فعرضوا عليه انفسهم فقال الزموا قراركم في المهاجرين كفاية .

وسارت عائشة ومن معها حتى مروا بماء يدعى الحوأب فنبحتهم كلابه فقالوا اي ماء هذا قيل هذا ماء الحوأب فصرخت عائشة باعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقا ردوني تقولها ثلاثا فأناخت وأناخوا حولها يوما وليلة فقال لها عبدالله بن الزبير انه كذب وجاؤوا لها باربعين رجلا وقيل بخمسين من الاعراب رشوهم فشهدوا ان هذا ليس بماء الحوأب فسارت اهـ وكانت أول شهادة زور اقيمت في الاسلام . وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ام سلمة قالت ذكر النبي صلى الله عليه وسلم خروج بعض امهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال انظري ياحميراء ان لاتكوني انت (الحديث) وبسنده عن قيس بن أبي حازم لما بلغت عائشة بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب فقالت اي ماء هذا قالوا الحوأب قالت ما اظنني الا راجعة فقال الزبير لا تقدمي ويراك الناس ويصلح الله ذات بينهم قالت ما اظنني

الا راجعة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف باحداكن اذا نبحتها كلاب الحوأب • قال الطبري ولم يزل بها عبدالله بن الزبير وهي تمتنع فقال لها النجاء النجاء قد ادرككم علي بن ابي طالب فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا قريبا منها ارسلت عبدالله بن عامر بن كريز الذي كان أميرا على البصرة من قبل عثمان وله فيها صنائع فاندس الى البصرة وكتبت الى الاحنف بن قيس وجماعة من وجوه البصرة واقامت بالحفير تنتظر الجواب ولما بلغ ذلك عثمن بن حنيف أمير البصرة من قبل علي عليه السلام ارسل اليها عمران بن حصين وكان رجل عامة وأبا الاسود الدئلي وكان رجل خاصة فانتهيا اليها بالحفير فاذنت لهما فدخلا وسلما وسألاها عن مسيرها فقالت ما مثلي يغطي لبنيه الخبر ان الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا ترة ولا عذر فسفكوا الدم الحرام وانهبوا المال الحرام واحلوا البلد الحرام والشهر الحرام •

فخرجت في المسلمين اعلمهم ما اتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغي لهم من اصلاح هذه القصة وقرأت : لاخير في كثير من نجواهم الآية فهذا شأننا الى معروف تأمركم به ومنكر ننهاكم عنه فخرجا من عندها واتيا طلحة فقالا ما اقدمك قال الطلب بدم عثمان قالا الم تبايع عليا قال بلى والسيف على عنقي وما استقيل عليا البيعة ان لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان فاتيا الزبير فقالا له مثل ذلك فأجابهما بمثل قول طلحة ورجعنا الى عثمان ونادى مناديها بالرحيل فدخلا على عثمان فقال أبو الاسود :

يا ابن حنيف قد اتيت فانفر   وطاعن القوم وجالد واصبر
وابرز لهم مستلئما وشمر

فقال عثمان انا لله وانا اليه راجعون دارت رحى الاسلام وربالكعبة فقال عمران لتعر كنكم عركا طويلا قال فاشر علي قال اعتزل فاني قاعد قال بل امنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين فانصرف عمران الى بيته وَقام عثمان في امره وقال أبو مخنف لما انتهت عائشة وطلحة والزبير الى حفر أبي موسى قريبا من البصرة ارسل عثمان بن حنيف عامل عليعلىالبصرة الى القوم أبا الاسود الدئلي يعلم له علمهم فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها قالت اطلب بدم عثمان قال انه ليس بالبصرة من قتلة عثمان احد قالت صدقت ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة وجئت استنهض أهل البصرة لقتاله أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم فقال لها ما انت من السوط والسيف انما انت حبيس رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ان تقري في بيتكوتتلي كتاب ربك وليس على النساء قتال ولا لهن الطلب بالدماء وان عليا لاولى بعثمان منك وامس رحما فانهما ابنا عبدمناف قالت لستمنصرفة حتى امضي لما قدمت له افتظن يا أبا الاسود ان احدا يقدم على قتالي قال اما والله لنقاتلن قتالا اهونه الشديد .

ثم قام فأتى الزبير فقال يا أبا عبدالله عهد الناس بك وانت يومبويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول لا احد اولى بهذا الامر من بن أبيطالب واين هذا المقام من ذاك فذكر له دم عثمان فقال انت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا قال فانطلق الى طلحة فاسمع ما يقول فذهب الى طلحة فوجده مصرا على الحربوالفتنة فرجع الى عثمان بن حنيف فقال انها الحرب فتأهب لها فأتاه هشام بن عامر فخوفه عاقبة الحرب وقال ارفق بهم

وسامحهم حتى يأتي امر علي فأبى ونادى عثمن في الناس وامرهم بلبس السلاح فاجتمعوا الى المسجد وامرهم بالتجهيز واراد عثمن ان يعرف ماعند الناس فدس اليهم رجلا خدعا كوفيا قيسيا فقام فقال ايها الناس ان هؤلاء القوم الذين جاؤوكم ان كانوا جاؤوكم خائفين فقد اتوا من بلد يأمن فيه الطير وان كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته فأطيعوني وردوهم من حيث جاؤوا فقام الاسود بن سريع السعدي فقال انما اتوا يستعينون بنا على قتلة عثمن منا ومن غيرنا فحصبه الناس فعرف عثمن ان لهم بالبصرة ناصرا فكسره ذلك واقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا الى المربد وخرج اليها من اهل البصرة من اراد ان يكون معها ووقفوا حتى خرج عثمن فيمن معه وتكلم طلحة فحمد الله واثنى عليه وذكر عثمن وفضله وما استحل منه ودعا الى الطلب بدمه وحث عليه وكذلك الزبير فقال اصحابهما صدقا وبرا وامرا بالحق وقال اصحاب ابن حنيف فجرا وغدرا وأمرا بالباطل بايعا عليا ثم جاءا يقولا ما يقولان وتحاثى الناس وتحاصبوا وارهجوا فخطبت عائشة وكانت جهورية الصوت .

فحمدت الله وقالت كان الناس يتجنون على عثمن ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم فننظر في ذلك فنجده برا تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة فلما قووا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلاترة ولا عذر الا ان مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره اخذ قتلة عثمن واقامة كتاب الله وقرأت ألم الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الآية فافترق اصحاب ابن حنيف فرقتين فرقة قالت صدقت وبرت وقال آخرون كذبتم والله ما نعرف ماجئتم به فتحاثوا وتحاصبوا فلما رأت عائشة ذلك انحدرت ومال بعض اصحاب بن حنيف الى عائشة وبقي بعضهم معه قال الطبري وابن الاثير : واقبل جارية بن قدامة السعدي فقال يا ام المؤمنين والله

لقتل عثمن اهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وابحت حرمتك انه من رأى قتالك يرى قتلك ان كنت اتيتنا طائعة فارجعي الى منزلك وان كنت اتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس • وخرج غلام من بني سعد الى طلحة والزبير فقال ارى امكما معكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا قال فما انا منكم في شيء واعتزل وقال في ذلك :

صنم حلائلكم وقد تم امكم   هذا لعمرك قلة الانصاف
امرت بجر ذيولها في بيتها   فهوت تشق البيد بالايجاف
غرضا يقاتل دونها ابناؤها   بالنبل والخطي والاسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها   هذا المخبر عنهم والكافي

واقبل حكيم بن جبلة العبدي وهو على الخيل فانشب القتال واشرع اصحاب عائشة رماحهم وامسكوا ليمسك حكيم واصحابه فلم ينته وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها ويقول :

طعنا دراكا انها قريش   ليردينها جبينها والطيش

واقتتلوا على فم السكة واشرف اهل الدور ممن كان له في واحد من الفريقين هوى فرموا الاخرين بالحجارة وحجز الليل بينهم ورجع عثمن الى القصر واتى اصحاب عائشة الى ناحية دار الرزق وباتوا يتأهبون وبات الناس يأتونهم واجتمعوا بساحة دار الرزق واصبح عثمن بن حنيف فناداهم وغدا حكيم بن جبلة فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديدا الى الزوال وكثر القتل في اصحاب بن حنيف وكثر الجراح في الفريقين فلما عضتهم الحرب تنادوا الى الصلح وتوادعوا فكتبوا بينهم كتابا على ان يبعثوا رسولا الى المدينة يسأل اهلها فان كان طلحة والزبير اكرها على البيعة خرج بن حنيف عن البصرة ولا خرج عنها طلحة والزبير وارسلوا كعب بن سور الى المدينة يسألهم فلم يجبه احد الا اسامة بن زيد فقال لم يبايعا الا وهما كارهان فأمر به تمام بن العباس فواثبه سهل بن حنيف

والناس وثار صهيب وأبو أيوب الانصاري في عدة فيهم محمدبن مسلمة حين خافوا ان يقتل اسامة واخذ صهيب اسامة الى منزلـه ورجع كعب وبلغ عليا الخبر فبادر بالكتاب الى عثمن يعجزه ويقول والله ما اكرهـا على فرقة ولقد اكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فـلا عذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا فقدم الكتاب على عثمن وقدم كعب بن سور فارسلوا الى عثمن ليخرج فاحتج بالكتاب وقال هذا امر آخر غير ماكنا فيه فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح وندى ومطر ثم قصدا المسجد فوافيا صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها فابطأ عثمن بن حنيف فقدما عبدالرحمن بن عتاب فشهر الزط والسبابجة السلاح ثم وضعوه فيهـم فاقبلوا عليم فاقتتلوا في المسجد فقتلوا السبابجة وهم اربعون رجلا فادخلا الرجال على عثمن فاخرجوه اليهمـا فوطؤه باقدامهم فارسلوا الى عائشة فقالت اطلقوه وقيل بل قالت اقتلوه فقالت لها امرأة نشدتك الله في عثمن وصحبتـه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت احبسوه وقال لهم مجاشع بن مسعود اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه واشفـار عينيه فضربوه اربعين سوطا ونتفوا لحيتـه وحاجبيه واشفار عينيه وحبسوه ودخلوا القصر واخرجوا منه الحـرس الذين كانوا مع عثمان وكانوا يعتقبون حرس عثمان في كل يوم وفـي كل ليلة اربعون (قال الطبري) فيما رواه كتبت عائشة لما قدمت البصرة الى زيد بن صوحان بالكوفة من عائشة ام المؤمنـين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابنها الخالص زيد ابن صوحان اما بعد فاذا اتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا على امرنا هذا فان لم تفعل فخذل الناس عن علي فكتب من زيد بن صوحان الى عائشة اما بعد فانا ابنك الخالص ان اعتزلت هذا الامر ورجعت الى بيتك والا فانا اول من انابذك قـال

زيد بن صوحان رحم الله ام المؤمنين امرت ان تلزم بيتها وامرنا ان نقاتل فتركت ما امرت به وامرتنا به وصنعت ما امرنا به وانهتنا عنه وقيل في اخذ بن حنيف غير هذا وهو انه لما قدمت عائشة ومن معها البصرة قال لهم عثمان بن حنيف مانقمتم على صاحبكم فقالوا لم نراه اولى بها منا وقد صنع ماصنع قال فان الرجل امرني فاكتب اليه فاعلمه ماجئتم له على ان اصلي انا بالناس حتى يأتينا كتابه فوقفوا عنه فكتب فلم يلبث الا يومين او ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به وارادوا قتله ثم خشوا غضب الانصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه واصبح طلحة والزبير بعد اخذ بن حنيف وبيت المال والحرس في ايديهما فجعلوا على بيت المال عبدالرحمن بن ابي بكر والناس معهما ومن لم يكن معهما استتر وقام طلحة والزبير خطيبين فقالا يا اهل البصرة توبة لحوبة انما اردنا ان نستعتب امير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه فقال الناس لطلحة يا ابا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا فقال الزبير هل جاءكم مني كتاب في شأنه ثم ذكر قتل عثمان واظهر عيب علي فقام اليه رجل من عبد القيس فقال يا معشر المهاجرين انتم اول من اجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس في الاسلام كما دخلتم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلا منكم فرضينا وسلمنا ولم تستأمرنا في شيء ثم مات واستخلف عليكم رجلا فلم تشاورونا فرضينا وسلمنا فلما توفي جعل أمركم الى ستة فاخترتم عثمان عن غير مشورتنا ثم أنكرتم منه شيئا فقتلتموه عن غير مشورة منا ثم بايعتم عليا عن مشورة منا فما الذي نقمتم عليه فنقاتله هل استأثر بفيء او عمل بغير الحق او أتى شيئا تنكرونه فنكون معكم عليه فهموا بقتل الرجل فمنعته عشيرته فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من معه وقتلوا منهم سبعين وبلغ حكيم بن جبلة ماصنع بعثمن بن حنيف فقال اخاف الله ان لم انصره فجاء في جماعة من

عبدالقيس وبكر بن وائل واكثرهم عبدالقيس وتوجه نحو دار الرزق وبها طعام يرتزقه الناس فأراد عبدالله بن الزبير ان يرزقه اصحابه فقال عبدالله مالك ياحكيم قال نريد ان نرتزق من هذا الطعام وان تخلوا عثمن فيقيم في دار الامارة على ماكتبتم بينكم حتى يقدم علي والله لو اجد اعوانا عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى اقتلكم بمن قتلتم ولقد اصبحتم وان دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من اخواننا اما تخافون الله عز وجل بم تستحلون سفك الدماء بدم عثمن قال فالذين قتلتم قتلوا عثمن اما تخافون مقت الله فقال له بن الزبير لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلي سبيل عثمن بن حنيف حتى يخلع عليا قال حكيم اللهم انك حكم عدل فاشهد وقال لاصحابه اني لست في شك من قتال هؤلاء ونادى اصحاب عائشة من لم يكن من قتلة عثمن فليكفف عنا فانا لا نريد الا قتلة عثمن فانشب حكيم القتال ولم يرع للمنادي فاقتتلوا قتالا شديدا ومع حكيم اربعة قواد فكان حكيم بحيال طلحة وذريح بحيل الزبير وابن المحرش بحيال عبدالرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بحيال عبدالرحمن ابن الحارث ابن هشام فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلثمائة رجل وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول :

اضربهم باليابس ضرب غلام عابس
من الحياة آيس في الغرفات نافس

فضرب رجل ساق حكيم فقطعها فاخذ حكيم ساقه فرماه بها فاصاب عنقه فصرعه ووقذه ثم حبا اليه فقتله واتكأ عليه وقال :

يا فخذ لا تراعي ان معي ذراعي احمي بها كراعي

وقال اقول لما جد بي زماعي للرجل يارجلي لمن تراعي
ان معي من نجدة ذراعي

وقال ليس علي ان اموت عار والعار في الناس هو الفرار
والمجد لايفضحه الدمار

فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على اخر فقال مالك ياحكيم قال
قتلت قال من قتلك قال وسادتي فاحتمله فضمه في سبعين من اصحابه
فتكلم يومئذ حكيم وانه لقائم على رجل واحدة وان السيوف لتأخذهم
فما يتعتع ويقول انا يخلفنا هذين ، وقد بايعا عليا واعطياه الطاعة ثم اقبلا
مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمن بن عفان ففرقا بيننا ونحن اهل دار
وجوار اللهم انهما لم يريدا عثمن فقتل حكيم والسبعون الذين معه من
عبدالقيس وقتل مع حكيم ابنا الاشرف وأبو الرعل بن جبلة واختلف
في قاتل حكيم فقيل قتله رجل من الحدان يقال له ضخيم وقيل قتله يزيد
ابن الاسحم الحداني فوجد حكيم قتيلا بين يزيد بن الاسحم واخيه
كعب ابن الاسحم وهما مقتولان فلما قتل حكيم ارادوا قتل عثمن ابن
حنيف فقال لهم ان اخي سهلا وال على المدينة فان قتلتموني قتل منكم
فاطلقوه وقتل ذريح ومن معه وافلت حرقوص بن زهير في نفر من
اصحابه فلجؤوا الى قومهم ثم صار حرقوص بعد ذلك من الخوارج
وقتل يوم النهروان فنادى منادي طلحة والزبير من كان فيهم احد ممن
غزا المدينة فليأتنا بهم فجيء بهم فقتلوا ولم ينج منهم الا حرقوص ابن
زهير فان عشيرته بني سعد منعوه فمسهم في ذلك امر شديد وضربوا
لهم فيه اجلا وخشنوا صدور بني سعد مع انهم عثمانية وغضبت
عبدالقيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة ومن كان هرب
اليهم الى ما هم عليه من لزوم طاعة علي وامر طلحة والزبير للناس باعطياتهم
وارزاقهم وفضلا اهل السمع والطاعة فخرجت عبدالقيس وكثير من
بكر بن وائل حين منعوهم الفضول فبادروهم الى بيت المال واكب عليهم
مما كتبوا به انا خرجنا لوضع الحرب واقامة كتاب الله فبايعنا خيار
اهل البصرة وخالفنا شرارهم وقالوا فيما قالوا نأخذ ام المؤمنين رهينة
ان امرتهم بالحق وحثتهم عليه واننا نناشدكم الله في انفسكم الا نهضتم
الناس فأصابوا منهم وخرجوا حتى نزلوا على طريق علي وكتب طلحة

بمثل ما نهضنا بـه وكتبوا الى اهل الكوفة واهل اليمامة واهل المدينة وكتبت عائشة الى اهل الكوفة تخبرهم بذلك وتأمرهم ان يثبطوا الناس عن علي وتحثهم على طلب قتلة عثمن فمما ذكرته في كتابها اقيموا كتاب الله باقامة ما فيه قدمنا البصرة فدعوناهم الى اقامة كتاب الله فأجابنا الصالحون واستقبلنا من لاخير فيه بالسلاح وعزم عليهم عثمان بن حنيف والزبير الى اهل الشام يخبرونهم بذلك ويحثونهم على النهوض فكان الا قاتلوني حتى منعني الله عز وجل بالصالحين واحتجوا باشياء فاصطلحنا عليها فخافوا وغدروا وخانوا وحشروا وكتبت الى رجال باسمائهم فثبطوا الناس عن هؤلاء القوم ونصرتهم واجلسوا في بيوتكم فان هؤلاء لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان وفرقوا بين جماعة الامة وخالفوا الكتاب والسنة حتى شهدوا علينا بالكفر فانكر ذلك الصالحون وقالوا ما رضيتم ان قتلتم الامام حتى خرجتم على زوجة نبيكم ان امرتكم بالحق لتقتلوها واصحاب رسول الله وائمة المسلمين فكان ذلك الدأب ستة وعشرين يوما ندعوهم الى الحق فغدروا وخانوا فغادروني في الغلس ليقتلوني والذي يحاربهم غيري فلم يبرحوا حتى بلغوا سدة بيتي فوجدوا نفرا على الباب فدارت عليهم الرحى • وكتبت الى اهل اليمامة واهل المدينة وكانت هذه الوقعة لخمس بقين من ربيع الاخر سنة ست وثلاثين وبايع اهل البصرة طلحة والزبير فقال الزبير الا الف فارس اسير بهم الى علي اقتله بياتا أو صباحا قبل ان يصل الينا فلم يجبه احد فقال ان هذه للفتنة التي كنا نحدث عنها فقال له مولاه اتسميها فتنة وتقاتل فيها •

وكان علي عليه السلام ارسل وهو بالربذة محمد بن أبي بكر ومحمد ابن جعفر الى الكوفة وكتب اليهم اني اخترتكم على الامصار وفزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله اعوانا وانصارا وانهضوا الينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الامة اخوانا فقدما الكوفة واتيا أبا موسى بكتاب علي وقاما في الناس بأمره فلم يجابا الى شيء واستشار ناس من اهل الحجى

أبا موسى فقال القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فغضب محمد ومحمد واغلظا لابي موسى فلم ينجع فيه فانطلقا الى علي فاخبراه الخبر وهو بذي قار ولما نزل علي عليه السلام الثعلبية اتاه خبر عثمن بن حنيف فأخبر اصحابه وقال اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير من قتل المسلمين فلما انتهى الى الاسآد اتاه خبر حكيم بن جبلة فقال :

دعا حكيم دعوة الزماع　　　حل بها منزلة النزاع

فلما نزل بذي قار اتاه فيها عثمن بن حنيف وليس في وجهه شعرة وقيل اتاه بالربذة فقال يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية وقد جئتك امرد فقال اصبت اجرا وخيرا • قال المفيد ولما نزل بذي قار أخذ البيعة على من حضره وتكلم فأكثر من الحمد لله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قد جرت امور صبرنا عليها في اعيننا القذى تسليما لامر الله تعالى فيما امتحننا به ورجاء الثواب على ذلك وكان الصبر عليها امثل من يتفرق المسلمون وتسفك دماؤهم نحن أهل بيت النبوة وعترة الرسول واحق الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة التي ابتدأ الله بها هذه الامة وهذا طلحة والزبير وليسا من اهل النبوة ولا من ذرية الرسول حين رأيا ان الله قد رد علينا حقنا بعد اعصر لم يصبرا حولا واحدا ولا شهرا كاملا حتى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقي ويفرقا جماعة المسلمين عني ثم دعا عليهما • واقام بذي قار ينتظر محمدا ومحمدا فأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس ونزولهم بالطريق كما تقدم فقال عبدالقيس خير ربيعة وفي كل ربيعة خير وقال :

يالهف مانفسي على ربيعة　　　ربيعة السامعة المطيعة
قد سبقني فيهم الوقيعة　　　دعا علي دعوه سميعة
حلوا بها المنزلة الرفيعة

وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لها ما قال لطيء واسد ولما جاء محمد ومحمد وأخبراه خبر أبي موسى بذي قار قال للاشتر انت صاحبنا في أبي

موسى اذهب انت وابن عباس فاصلح ما افسدت وكان الاشتر اشـار بابقاء أبي موسى لما اراد أمير المؤمنين عليه السلام عزله فاتيا الكوفـة فكلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من اهلها فلم يكن من ابي موسى غير التثبيط فقال في جملة كلامه هـذه فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقـائم خـير من الراكب والراكب خير من الساعي فاغمدوا السيوف وانصلوا الاسنة واقطعوا الاوتار حتى تنجلي هذه الفتنة وكان يكرر هذا الكلام ونحوه في كل مقام فرجعا الى علي فاخبراه الخبر فارسل ابنه الحسن وعمـار ابن ياسر وقيل بل ارسلهمـا اولا ثم ارسل الاشتر وابن عبـاس وهو الاقرب الى الاعتبار فان الحسن عليه السلام وعمارا شأنهما اللين والرفق والاشتر شأنه الشدة فلما لم يفد في أبي موسى الرفق استعملت الشـدة وآخر الدواء الكي فأقبل الحسـن وعمار حتى دخلا المسجد فلقيهمـا المسروق بن الاجدع فسلم واقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمن فجرى بينهما في ذلك حوار وخرج أبو موسى فضم الحسن اليـه وجعل يكلم عمارا في قتل عثمن ويؤنبه فقال له الحسن لم تثبط النـاس عنا فوالله ما اردنا الا الاصلاح ولا مثل أمير المؤمنـين يخاف على شيء فقال صدقت بأبي انت وامي ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب وقد جعلنا الله اخوانا وحرم علينا دماءنا واموالنا وتلا في ذلك آيات قال الطبري فغضب عمار وساءه وقال ابن الاثير وسبه وقال يا أيها الناس انما قال له خاصة انت فيها قاعدا خير منك قائما (اقول) العجب لابي موسى يحتج بمثل هذا الذي لاحجة فيه ويغفل عن قوله تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهمـا على الاخرى فقـاتلوا التي تبغي حتـى تفيء الى امـر الله) .

وقام رجل من بني تميم فقال لعمار اسكت ايها العبد انت امس مـع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار النــاس ووقف زيد على باب المسجد ومعه كتابان مــن عائشة اليه والى اهــل الكوفة وفيهما الامر بملازمة بيوتهم أو نصرتها فقرأهما على الناس وقال امرت ان تقر في بيتها وامرنا ان نقاتل حتى لاتكون فتنة فأمرتنا بمــا امرت بــه وركبت ما امرنا به فقال له شبث بن ربعي ياعماني لانه مــن عبدالقيس وهم يسكنون عمان وعابه وتهاوى الناس وقــام أبو موسى يسكن النــاس ويثبطهم عن الخروج الى علي عليه السلام بشتى الافانين وبكلام طويل فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال ياعبدالله بن قيس رد الفرات على ادراجه اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ فان قدرت على ذلك فستقدر على ماتريد فدع عنك ما لست مدركه ثم قرأ : الـم احسب الناس ان يتركوا الى اخر الايتين ثم قال سيروا الى أمير المؤمنين وسيد المسلمين وانفروا اليه اجمعين تصيبوا الحق وقال عبدالخير الخيواني يا أبا موسى هل بايع طلحــة والزبير عليا قال نعم قال هل احدث علــي ما يحل بــه نقض بيعته قال لا ادري قال لا دريت نحن نتركك حتى تدري هل تعلم احد خارجا من هذه الفتنة انما الناس اربع فرق علي بظهــر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعوية بالشام وفرقة بالحجــاز لاغناء بها ولا يقاتل بها عدو قال أبو موسى اولئك خير الناس وهي فتنة فقــال عبدالخير غلب عليك غشك يا أبا موسى وقال سيحــان بن صوحان ايهــا الناس لا بد لهذا الامر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع الناس وهذا واليكم (يعني أمير المؤمنين عليه السلام) يدعوكــم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الامة الفقيه في الديــن فمن نهض اليه فانا سائرون معه وقام الحسن بن علي فقــال ايها الناس اجيبوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر مــن ينفر اليه والله لان يليه اولو النهى امثل في العاجل والآجل وخير فــي

العاقبة فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا بــه وابتليتم وان أمــير المؤمنين يقول قد خرجت مخرجي هذا ظالمــا أو مظلوما واني اذكر للاله رجلا رعى حق الله الانفر فان كنت مظلوما اعانني وان كنت ظالما اخــذ مني والله ان طلحة والزبير لاول من بايعني واول من غدر فهل استأثرت بمال أو بدلت حكما فأنفروا فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكــر فسامح الناس واجــابوا •

وأتى قوم من طيء عدي بن حاتم فقالوا ماذا ترى وما تأمر فقال قــد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا الى جميل والى هذا الحدث العظيم لننظــر فيه ونحن سائرون وناظرون فقام هند بن عمرو فقال ان امير المؤمنــين قد دعانا وارسل الينا رسله حتى جاءنا ابنه فاسمعوا الى قوله وانتهوا الى امره وانفروا الى اميركم فانظروا معه في هذا الامر وأعينوه برأيكم وقام حجر بن عدي فقال ايها الناس اجيبوا أمير المؤمنــين وانفروا خفافا وثقالا مروا وانا اولكم فأذعن الناس للمسير (وعلى الرواية الاخرى) ان امير المؤمنين ارسل الاشتر بعد ابنه الحسن وعمار الى الكوفة فدخلها والناس في المسجد وابو موسى يخطبهم ويثبطهم والحسن وعمار معــه في منازعة وكذلك سائر الناس كما مر والحسن يقول له اعتزل عملنــا لا ام لك وتنح عن منبرنا • فجعل الاشتر لايمر بقبيلة فيها جماعة الادعاهم وقال اتبعوني الى القصر فانتهى الى القصر في جماعة من الناس فدخله واخرج غلمان أبي موسى منه فخرجوا يعدون وينادون يا أبا موسى هذا الاشتر قد دخل القصر فضربنا واخرجنا فنزل ابو موسى فدخل القصــر فصاح بــه الاشتر اخرج لا ام لك اخرج الله نفسك فوالله انك لمــن المنافقين قديما ذكره الطبري فقال اجلني هذه العشية فقال هي لك ولا ولا تبيتن في القصر الليلة ودخل الناس ينهبون متاع ابي موسى فمنعهم الاشتر وقال أنا له جار فكفوا وقال الحسن ايها الناس اني غاد فمن شاء منكم ان يخرج معي على الظهر ومن شاء في الماء فنفر معه تسعة آلاف

اخـذ في البر ستة الاف ومائتان واخذ في الماء الفان وثمان مائة وقيل ان عدد من سار من الكوفة اثنا عشر الف رجل ورجل ويمكن كون الذين ساروا مع الحسن هم المذكورون والباقون ساروا بعد ذلك • روى الطبري في تاريخه قال حدثني عمر حدثنا ابو الحسن حدثنا ابو مخنف عـن جابر عن الشعبي عن ابي الطفيل قال علي يأتيكم من الكوفة اثنا عشر الف رجل ورجل فقعدت على نجفة ذي قار فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا • قال المفيد في الارشاد : وقال عليه السلام بذي قار وهو جالس لاخذ البيعة يأتيكـم من قبل الكوفة الف رجـل لايزيدون رجلا ولا ينقصون رجلا يبايعوني على الموت قال بن عباس فجزعت لذلك وخفت ان ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه فيفسد الامـر علينا ولم ازل مهموما دأبي احصاء القوم حتى ورد اوائلهم فجعلت احصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة وتسعة وتسعين رجلا ثم انقطع مجيء القوم فقلت انا لله وانا اليه راجعون ما حمله على ماقال فبينما انا مفكر في ذلك اذ رأيت شخصا قد اقبل واذا هو اويس القرني فسري والله عني اهـ وهذا من ابن عباس لايخلو من غرابة مع سعة علمه ومعرفته بمقام امير المؤمنين عليـه السلام ومنزلته ويمكن الجمع بينه وبين رواية الطبري بان الذي في رواية الطبري هو عـدد المجموع والذي في هذه الرواية عدد فرقة خاصـة جاءت أخيرا أو هما واقعتان والله اعلم •

وروى الطبري قال لما التقوا بذي قار تلقاهم علي في اناس فيهم ابـن عباس فرحب بهم وقال يا اهل الكوفـة انتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم مواريثهم فمنعتم حوزتكم واعنتـم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصرة فـان يرجعوا فذاك الذي نريد وان يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤونا بظلم ولم ندع امرا فيه صلاح الا آثرناه على مافيه الفساد انشـاء الله : وفي ارشاد المفيد : روى عبدالحميد بن عمران العجلي عن سلمة بن كهيل قال

لما التقى اهل الكوفة أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار رحبوا به ثم قالوا الحمد لله الذي خصنا بجوارك واكرمنا بنصرك فقام اميرالمؤمنين عليه السلام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه وقال يا اهل الكوفة انكم من اكرم المسلمين واقصدهم تقويما واعدلهم سنة وافضلهم سهما في الاسلام واجودهم في العرب مركبا ونصابا انتم اشد العرب ودا للنبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته وانما جئتكم ثقة بعد الله بكم للذي بذلتم من انفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلعهما طاعتي واقبالهما بعائشة للفتنة واخراجهما اياها من بيتها حتى اقدماها البصرة فاستغووا طغامها وغوغاءها مع انه قد بلغني ان اهل الفضل منهم وخيارهم في الدين قد اعتزلوا وكرهوا ماصنعا فقال اهل الكوفة نحن انصارك واعوانك على عدوك ولو دعوتنا الى اضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه فدعا لهم امير المؤمنين عليه السلام واثنى عليهم ثم قال لقدعلمتم معاشر المسلمين ان طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين راغبين ثم استأذناني في العمرة فأذنت لهما فسارا الى البصرة فقتلا المسلمين وفعلا المنكر اللهم انهما قطعاني وظلماني ونكث بيعتي والبا الناس علي فاحلل ماعقدا ولا تحكم ما ابرما وارهما المساءة فيما عملا اهـ واجتمعوا عنده بذي قار وعبدالقيس باسرها في الطريق بين علي والبصرة ينتظرونه وهم الوف وكان رؤساء الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب وزيد بن صوحان والاشتر وعدي بن حاتم والمسيب ابن نجبة ويزيد بن قيس وحجر بن عدي وامثالهم قال بن الاثير : سأل علي جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره بدقيق امرهما وجليله وقال له اما الزبير فيقول بايعنا كرها واما طلحة فيتمثل الاشعار ويقول:

الا ابلغ بني بكر رسولا ... فليس الى بني كعب سبيل
سيرجع ظلمكم منكم عليكم ... طويل الساعدين له فضول

فتمثل علي عندها:

الم تعلـم أبا سمعـــان انا نرد الشيخ مثلك ذا صـــداع
ويذهل عقله بالحـرب حتى يقوم فيستجيب لغـير داعـــي
فدافع عن خزاعـة جمع بكر وما بك ياسراقـــة من دفـاع

وسار علي عليه السلام من ذي قار ومعه الناس حتى نزل على عبدالقيس فانضموا اليه وسار من هناك فنزل الزاوية وسار من الزاوية يريدالبصرة وسار طلحة والزبير وعائشة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد فلما نزل الناس ارسل شقيق بن ثور الى عمرو بن مرجوم العبـدي ان اخرج فاذا خرجت فمل بنا الى عسكر علي فخرجا في عبدالقيس وبكر ابن وائل فعدلوا الى عسكر علي واقاموا ثلاثة ايام لم يكن بينهم قتـال فكان يرسل علي اليهم يكلمهم ويدعوهم وكان نزولهم في النصف مـن جمادي الاخرة سنة ٣٦ يوم الخميس قاله الطبري وبن الاثير وفي مروج الذهب وكان مسير علي الى البصرة سنة ٣٦ وفيها كانت وقعة الجمـل وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الاولى منها اهـ وظاهر الطبري وابن الاثير وصوله كان بذلك التاريخ وظاهر المسعودي ان الوقعة كانت قبل ذلك التاريخ بخمسة ايام وخرج اليه الاحنف بن قيس وبنـو سعد مشمر بن قد منعوا حرقوص بن زهير وهم معتزلون قال بن الاثـير وكان الاحنف قد بايع عليا بالمدينة بعد قتل عثمن لانه كان قد حج وعاد من الحج فبايعه فقال لامير المؤمنين اختر مني واحـدة من اثنتين اما ان اقاتل معك واما ان اكف عنك عشرة آلاف سيف قال بل اكفف عنا عشرة الاف سيف فاعتزل فلما كان القتال فظفر علي دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين وروى الطبري قال كانت ربيعة مع علي يوم الجمل ثلث اهـل الكوفة ونصف الناس يوم الوقعة وكانت تعبيتهم مضر ومضر وربيعـة وربيعة واليمن واليمن •

وكان عسكر عائشة ثلاثين الفا وعسكر علي عشرين الفا وافترق اهـل البصرة ثلاث فرق فرقة مع علي وفرقة مع عائشة وفرقة اعتزلوا • قـال

المفيد في الارشاد ومن كلامه عليه السلام حين دخل البصرة وجمع اصحابه فحرضهم على الجهاد وكان مما قال : عباد الله انهدوا الى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم فانهم نكثوا بيعتي واخرجوا بن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة وقتلوا السبابجة وقتلوا حكيم ابن جبلة العبدي وقتلوا رجالا صالحين ثم تتبعوا منهم من يحبني يأخذونهم في كل حائط وتحت كل رابية ثم يأتون بهم فيضربون رقابهم صبرا مالهم قاتلهم الله اني يؤفكون انهدوا اليهم وكونوا اشداء عليهم والقوهم صابرين محتسبين تعلمون انكم منازلوهم ومقاتلوهم وقد وطنتم انفسكم على الطعن والضرب ومبارزة الاقران واي امرىء منكم احس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من احد من اخوانه فشلا فليذب عن اخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ·

وخطب عليه السلام لما تواقف الجمعان فقال : لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم فانكم بحمد الله على حجة وكفكم عنهم حتى يبدؤوكم حجة اخرى واذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح واذا هزمتموهم فلاتتبعوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا من اموالهم شيئا ولا تهيجوا امرأة بأذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القول والانفس والعقول لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيعير بها وعقبة من بعده ·
وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابي بكر قال عصمني الله بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هلك كسرى قال من استخلفوا قالوا ابنته فقال لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة فلما قدمت عائشة ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم فعصمني الله به · وروى أيضا ان عائشة كانت خطيبة القوم وهم لها تبع فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه السلاح فقيل لعلي هذا الزبير فقال اما انه احرى الرجلين

ان ذكر بالله ان يذكر وخرج طلحة فخرج اليهما علي فدنا منهما حتى اختلفت اعناق دوابهم فقال علي لعمري لقد اعددتما سلاحا وخيلاورجالا ان كنتما اعددتما عند الله عـذرا فاتقيا الله سبحانـه ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا الم اكن اخا كما في دينكما تحرمان دمي واحرم دماء كما فهل من حدث احل لكما دمي قال طلحة البت الناس على عثمان قال علي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين يا طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان ياطلحة جئت بعـرس رسول اللهصلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك اما بايعتني قال بايعتك والسيف على عنقي .

قال الطبري وقال علي للزبير اتطلب مني دم عثمان وانت قتلتـه سلط الله على اشدنا عليه اليوم مايكره يازبير اتذكر يوم مررت مع رسـول الله صلى اللهعليهوسلم في بني غنم فنظر الي فضحك وضحكت اليهفقلت لا يدع بن أبي طالب زهوه فقال لك صه انه ليس به زهو ولتقاتلنهوانت لهظالم فقال اللهم نعم ولو ذكرت ماسرت مسيري هذا والله لا اقاتلـك ابدا (وفي رواية) ولعلها الاقرب للصواب ان عليا لقي الزبير وحدهبعد ما دعاه مرارا يا أبا عبدالله وكان علي حاسرا والزبير دارع مدجج فجرى بينهما ذلك فلما رجع علي قال له اصحابه يا أمير المؤمنين تبرزالى الزبير حاسرا وهوشاك في السلاح وانت تعرف شجاعته قال انه ليس بقـاتلي انما يقتلني رجل خامل الذكر ضئيل النسب غيلة في غير مأقط حرب ولا معركة رجال ويل امه اشقى البشر ليودن ان امه هبلت به اما انه واحمـر ثمود لمقرونان في قرن فانصرف علي الى اصحابه فقال اما الزبير فقـد اعطى الله عهدا ان لا يقاتلكم ورجع الزبير الى عائشة فقـال لها ماكنت في موطن منذ عقلت الا وانا اعرف فيه امري غير موطني هذا قالت فمـا تريد ان تصنع قال اريد ان ادعهم واذهب فقال له ابنه عبدالله جمعت بين هذين العسكرين حتى اذا حدد بعضهم لبعض اردت ان تتركهم وتذهب

لكنك خشيت رايات بن أبي طالب وعلمت انها تحملها فتية انجاد وان تحتها الموت الاحمر فجبنت فأحفظه ذلك وقال اني حلفت ان لا اقاتله قال كفر عن يمينك وقاتله فاعتق غلامه مكحولا فقال عبدالرحمن ابن سليمان التميمي :

لم ار كاليوم اخا اخوان اعجب من مكفر الايمان
بالعتق في معصية الرحمن

وقال رجل من شعرائهم :

يعتق مكحولا لصون دينه كفارة لله عن يمينه
والنكث قد لاح على جبينه

وفي رواية ان الزبير انصل سنان رمحه وحمل على عسكر علي برمح لا سنان له فقال علي افرجوا له فانه محرج ثم عاد الى اصحابه ثم حمل ثانية ثم ثالثة ثم قال لابنه اجبنا ويلك ترى فقال لقد اعذرت وقال الزبير :

نادى علي بامر لست انكره وكان عمر ابيك الخير مذ حين
فقلت حسبك من عذل أبا حسن بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني
ترك الامور التي تخشى مغبتها لله امثل في الدنيا وفي الدين
فاخترت عارا على نار مؤججة اني يقوم لها خلق من الطين

فترك الزبير الحرب ولم يحارب مع علي وتوجه من فوره الى وادي السباع قاصدا المدينة ومعه غلام له يدعى عطية والاحنف بن قيس هناك معتزل في جمع من بني تميم فقال الاحنف جمع الزبير بين عسكرين من المسلمين حتى اذا ضرب بعضهم بعضا لحق ببيته وقال من يأتينا بخبره فقال عمرو بن جرموزا انا فاتبعه وكان فاتكا فلما نظر اليه الزبير قال

ما وراءك قال انما اريد ان اسألك فقال غلام الزبير انه معد فقال مايهولك من رجل وحضرت الصلاة فقال بن جرموز الصلاة فقال الزبير الصلاة فنزلا واستدبره بن جرموز فطعنه من خلفه فقتله واخذ فرسه وخاتمه وسلاحه وخلى عن الغلام فدفنه بوادي السباع ورجع الى الناس بالخبر فاما الاحنف فقال والله ما ادري احسنت ام اسأت ثم انحدر الى علي وابن جرموز معه وقيل ذهب بن جرموز الى علي وحده فدخل عليه فأخبره فدعا بالسيف فهزه فقال سيف طالما كشف بـه الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه قال له انت قتلته قال نعم قال والله ماكان بن صفية جبانا ولا لئيما ولكن الحين ومصارع السوء فقال ابن جرموز الجائزة يا أمير المؤمنين فقال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشر قاتل بن صفية بالنار ثم خرج بن جرموز على علي عليه السلام مع اهل النهر فقتله معهم فيمن قتل ذكره بن ابي الحديد في شرح النهج • وروى أبو مخنف انه لما تزاحف الناس يوم الجمل قال علي عليه السلام لاصحابه لا يرمين رجل منكم بسهم ولا يطعنن احدكم فيهم برمح حتى يبدؤوكم بالقتال وبالقتل فرمى اصحاب الجمل عسكر علي عليه السلام بالنبل رميا شديدا متتابعا فضج اليه اصحابه وقالوا عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين وجيء اليه برجل فقيل له هذا فلان قد قتل فقال اللهم اشهد ثم قال أعذروا الى القوم فأني برجل آخر فقيل وهذا قد قتل فقال اللهم اشهد أعذروا الى القوم ثم اقبل عبدالله ابن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أخاه عبدالرحمن قد اصابه سهم فقتله فقال يا أمير المؤمنين هذا أخي قد قتل فاسترجع علي عليه السلام ودعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات الفضول فلبسها فتدلت على بطنه فرفعها بيده وقال لبعض اهله فحزم وسطه بعمامة وتقلد ذا الفقار ودفع الى ابنه محمد راية رسول الله السوداء وتعرف بالعقاب وقال لحسن وحسين عليهما

السلام انما دفعت الراية الى اخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال وطاف علي على اصحابه وهو يقرأ (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) ثم قال افرغ الله علينا وعليكم الصبر واعز لنا ولكم النصر وكان لنا ولكم ظهيرا في كل امر ثم رفع مصحفا بيده فقال من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم الى ما فيه وله الجنة فقام غلام شاب اسمه مسلم عليه قباء ابيض فقال انا آخذه فنظر اليه علي وقال يافتى ان اخذته فان يدك اليمنى تقطع فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ثم تضرب بالسيف حتى تقتل فقال الغلام لا صبر لي على ذلك فنادى علي ثانية فقام الغلام واعاد عليه القول واعاد الغلام القول مرارا حتى قال الغلام انا آخذه وهذا الذي ذكرت في الله قليل فأخذه وانطلق فلما خالطهم ناداهم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى فتناوله باليسرى فضربه اخرى فقطع اليسرى فاحتضنه وضربوه بأسيافهم حتى قتل فقالت ام ذريح العبدية في ذلك :

يارب ان مسلما اتاهم	بمصحف ارسله مولاهم
للعدل والايمان قد دعاهم	يتلو كتاب الله لايخشاهم
فخضبوا من دمه ظباهم	وامهم واقفة تراهم

تأمرهم بالغي لا تنهاهم

فعند ذلك امر علي عليه السلام ولده محمدا ان يحمل بالراية فحمل وحمل معه الناس واستحر القتل في الفريقين وقامت الحرب على ساق وروى الطبري في تاريخه هذه القصة بما يخالف ذلك بعض المخالفة فقال : اخذ علي مصحفا يوم الجمل فطاف به في اصحابه وقال من يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى مافيه وهو مقتول فقام اليه فتى من اهل الكوفة عليه قباء ابيض محشو اسمه مسلم بن عبدالله فقال انا فاعرض

عنه ثم اعاده ثانياً فقال الفتى انا فاعرض عنه ثم اعاده الثالثة فقال انا فدفعه اليه فدعاهم فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فدعاهم فقطعوا يده اليسرى فأخذه بصدره وفي رواية باسنانه والدماء تسيل على قبائه فقتل فكان أول قتيل بين يدي أمير المؤمنين وعائشة فقال علي الآن حل قتالهم فقالت ام الفتى ترثيه :

لاهم ان مسلما دعاهم يتلو كتاب الله لايخشاهم فرملوه رملت لحاهم

وفي رواية اخرى للطبري :

لاهم ان مسلما اتاهم مستسلما للموت اذ دعاهم الى كتاب الله لايخشاهم فرملوه من دم اذجاهم وامهم قائمة تراهم يأتمرون الغي لاتنهاهم

واقتتل الناس وركبت عائشة الجمل المسمى عسكرا الذي كان اشتراه لها يعلى بن منية في مكة بمائتي دينار والبسوا هودجها الرفرف وهو البسط ثم البس جلود النمر ثم البس فوق ذلك دروع الحديد . وكان الجمل لواء اهل البصرة لم يكن لهم لواء غيره وخطبت عائشة والناس قد اخذوا مصافهم للحرب فقالت : اما بعد فانا كنا نقمنا على عثمن ضرب السوط وامرة الفتيان وموقع السحابة المحمية الا وانكم استعتبتموه فلما مصتموه كما يماص الثوب الرخيص عدوتم عليه فارتكبتم منه دما حراما وايم الله ان كان لاحصنكم فرجا واتقاكم لله واخذ كعب بن سور وهو قاضي البصرة بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول :

يا امنا عائش لا تراعي كل بنيك بطل المصاع
ينعي ابن عفان اليك ناعي كعب بن سور كاشف القناع
فارضي بنصر السيد المطاع والازد فيهم كرم الطباع

وكان اخذ مصحف عائشة فبدر به بين الصفين يناشدهم الله في دمائهم فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه وكان في الجاهلية نصرانيا وكان اول قتيل بين يدي عائشة من اهل البصرة والكوفة .واقتتلوا الى صدر النهار وقيل الى الزوال ثم انهزم عسكر عائشة قال الطبري ضرب محمد

ابن الحنفية يد رجل من الازد فقطعها فنادى يا معشر الازد فروا واستحر القتل في الازد فنادوا نحن على دين علي بن أبي طالب واقبل المنهزمون يريدون البصرة فلما رأوا الخيل احافت بالجمل عادوا الى الحرب وكان القتال في صدر النهار مع طلحة والزبير وفي وسطه مع عائشة اكثرهم ضبة والازد .

اما طلحة فجاءه سهم غرب لا يدري راميه عند هزيمة الناس فشك رجله بصفحة الفرس وفي رواية فخل ركبته بالسرج وهو ينادي الي الي عباد الله الصبر الصبر فقال له القعقاع بن عمرو يا ابا محمد انك لجريح وانك عما تريد لفي شغل فأدخل البيوت فدخل ودمه يسيل وهو يقول اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى وفي رواية اعط عثمان مني حتى يرضى فلما امتلأ خفه دماء وثقل قال لغلامه اردفني وامسكني وابلغني مكانا انزل فيه لا اعرف فيه فلم ار كاليوم شيخا اضيع دما مني فدخل البصرة فأنزله في دار خربة فمات فيها قال بن الاثير وكان الذي رمى طلحة مروان ابن الحكم وقيل غير اهـ وكان ذلك منه اخذا بثأر عثمن ولما قضى دفن في بني سعد وقال الطبري انه لما دخل البصرة تمثل مثله ومثل الزبير :

فان تكن الحوادث اقصدتني | واخطأهن سهمي حين ارمي
فقد ضيعت حين تبعت سهما | سفاهة ما سفهت وضل حلمي
ندمت ندامة الكسعي لما | شريت رضا بني سهم برغمي
اطعتهم بفرقة آل لاي | فالقوا للسباع دمي ولحمي

وحرضت عائشة الناس فحملت مضر البصرة حتى ردت مضر الكوفة وكانت راية علي عليه السلام يوم الجمل مع ولده محمد بن الحنفية فنخس قفاه وقال له احمل فتقدم حتى لم يجد متقدما الا على سنان رمح

فقال تقدم لا ام لك فتلكأ فتناول الراية من يده وقال يابني بين يدي
(وفي رواية) ابن أبي الحديد انه دفع اليه الراية يوم الجمل وقداستوت
الصفوف وقال له احمل فتوقف قليلا فقال له احمل فقال يا امير المؤمنين
اما ترى السهام كأنها شآبيب المطر فدفع في صدره وقال ادركك عرق
من امك ثم اخذ الراية فهزها ثم قال :

اطعن بها طعن ابيك تحمد لاخير في الحرب اذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسدد

ثم حمل وحمل الناس خلفه فطحن عسكر البصرة . قيل لمحمد لم يغرر
بك ابوك في الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين فقال انهما عيناه وأنا
يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه ثم دفع الراية الى محمد وقال امح الاولى
بالاخرى وهذه الانصار معك وضم اليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين
في جمع من الانصار كثير من اهل بدر وحمل حملات كثيرة ازال بها
القوم عن مواقفهم وابلى بلاء حسنا فقال خزيمة بن ثابت لعلي عليه السلام
اما انه لو كان غير محمد اليوم لافتضح ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو
بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه وان كنت اردت ان تعلمه الطعان
فطالما علمته الرجال وقالت الانصار يا أمير المؤمنين لولا ما جعل الله تعالى
للحسن والحسين ماقدمنا على محمد احدا من العرب فقال علي عليه
السلام اين النجم من الشمس والقمر اما انه قد اغنى وابلى وله فضله
فقال خزيمة بن ثابت فيه :

محمد مافي عودك اليوم وصمة ولا كنت في الحرب الضروس معردا
ابوك الذي لم يركب الخيل مثله علي وسماك النبي محمدا
فلو كان حقا من ابيك خليفة لكنت ولكن ذاك مالا يرى ابدا
وانت بحمد الله اطول غالب لسانا وانداها بما ملكت يدا
واقربها من كل خير تريده قريش واوفاها بما قال موعدا
واطعنهم صدر الكمي برمحه واكساهم للهام عضبا مهندا

سوى اخويك السيدين كلاهما امام الورى والداعيان الى الهـدى
ابى الله ان يعطي عدوك مقعـدا من الارض أو في اللوح مرقى ومصعدا

وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا قدام الجمل ومع علي قوم من غـير مضر منهم زيد بن صوحان طلبوا ذلك منه فقال لزيد رجل من قومه تنح الى قومك مالك ولهذا الموقف الست تعلم ان مضرا بحيالك والجمل بـين يديك وان الموت دونه فقال الموت خير من الحياة الموت ازيد فاصيب هو وأخوه سيحان وارتث اخوهما صعصعة واشتدت الحرب فلما رأى ذلك علي بعث الى اليمن والى ربيعة ان اجتمعوا على من يليكم قـال القعقاع لقد رأينا يوم الجمل ندافعهم باسنتنا وتتكي على ازجتنا وهم مثل ذلك حتى لو ان الرجال مشت عليها لاستقلت بهم وقال آخر لما كان يوم الجمل ترامينا النبل حتى فنيت وتطاعنا بالرماح حتى تشبكت في صدورنا وصدورهم ثم قال على السيوف يا ابناء المهاجرين فما شبهت اصواتها الا بصوت القصارين وتزاحفت الناس وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم ونهد علي بمضر الكوفة الى مضر البصرة وقال : ان الموت ليس منه فوت يدرك الهارب ولا يترك المقيم وهـذه من الكلمات الجليلة الخالدة ثم عاد يمن الكوفة فقتل على رايتهم خمسـة عشر من همدان وخمسة من سائر اليمن فلمـا رأى ذلـك يزيد بن قيس اخذها فثبتت في يـده •

وقال بن أبي نمران الهمداني من اصحاب علي عليه السلام وهو يقاتل:

جردت سيفي في رجال الازد اضرب في كهولهم والمرد
كل طويل الساعدين نهد

ورجعت ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل علي رايتهم اثنـان واشتد الامر فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا طرفوا اذا فرغ الصبر فجعلوا يقصدون الاطراف الايدي والارجل فمارؤي وقعة كانت اعظم منها قبلها ولا بعدها ولا اكثر ذراعا مقطوعا وكان الرجل

منهم اذا اصيب شيء من اطرافه استقتل الى ان يقتل ونظرت عائشة من على يسارها فقالت من القوم قال صبرة بن شيمان بنوك الازد فقالت يا آل غسان حافظوا اليوم فجلادكم الذي كنا نسمع به وتمثلت :

وجالد من غسان اهل حفاظها وكعب واوس جالدت وشبيب

فكان الازد يأخذون بعر الجمل يشمونه ويقولون بعر جمل امنا ريحه ريح المسك وقالت لمن عن يمينها من القوم قالوا بكر بن وائل قالت لكم يقول القائل:

وجاؤوا الينا في الحديد كأنهم من الغرة القعساء بكر بن وائل

انما بازائكم عبد القيس (تحرضهم بذلك لان عبدالقيس معروفون بولاء علي عليه السلام) فاقتتلوا اشد من قتالهم قبل ذلك واقبلت على كتيبة بين يديها فقالت من القوم قالوا بنو ناجية قالت بخ بخ سيوف ابطحية قرشية فجلدوا جلادا يتفادى منه (وفي رواية) انها قالت صبرا يابني ناجية فاني اعرف فيكم شمائل قريش • وبنو ناجية مطعون في نسبهم فقتلوا حولها جميعا ثم اطافت بها بنو ضبة فقالت ويها جمرة الجمرات فلما رقوا خالطهم بنو عدي بن عبد مناة وكثروا حولها فقالت من انتم قالو بنو عدي خالطنا اخواننا فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضربا شديدا وكره القوم بعضهم بعضا وانضمت مجنبتا علي فصاروا في القلب وكذلك فعل اهل البصرة وتلاقوجميعا بقلبيهم وقال اصحاب علي عليه السلام لايزال القوم او يصرع الجمل واخذ عميرة بن يثري برأس الجمل وكان قاضي البصرة قبل كعب بن سور فشهد الجمل هو واخوه عبدالله فقال علي عليه السلام من يحمل على الجمل فانتدب له هند بن عمرو الجملي المرادي وكان خطام الجمل مع بن يثري ثم فدفعه الى ابنه واعترض هندا فاختلفا ضربتين فقتله بن يثري ثم حمل علباء بن الهيثم السدوسي فاعترضه ابن يثري فقتله ثم دعا الى البراز فقال زيد بن صوحان العبدي يا أمير المؤمنين اني رأيت يدا اشرفت علي من السماء وهي تقول هلم الينا وانا

خارج الى بن يثري فاذا قتلني فادفني بدمي ولا تغسلني فاني مخاصم عند ربي ثم خرج فقتله بن يثري وقتل سيحان بن صوحان وارتث صعصعة ثم رجع الى خطام الجمل وجعل يرتجز ويقول :

ارديت علباء وهندا في طلق ثم ابن صوحان خضيبا في علق
قد سبق اليوم لنا ماقد سبق والوتر منا في عدي ذي الفرق
والاشتر الغاوي وعمرو بن الحمق والفارس المعلم في الحرب الحنق
اعني عليا ليته فينا مرق ذاك الذي في الحادثات لم يطق

وقال ابن يثري :

انا لمن ينكرني ابن يثري قاتل علباء وهند الجملي
وابن لصوحان على دين علي

وقال ايضا :

اضربهم ولا ارى أبا حسن كفى بهذا حزنا من الحزن
انا نمر الامر امرار الرسن

فبرز اليه عمار وهو ابن تسعين سنة أو اكثر وعليه فرو قد شد وسطه بحبل ليف وهو اضعف من بارزه فاسترجع الناس وقالوا هذا لاحق باصحابه .

فترك الزمام في يد رجل من بني عدي اسمه عمرو بن بجرة وضرب عمارا فاتقاه بدرقته فنشب سيفه فيها فعالجه فلم يخرج وضربه عمار على رجليه فقطعهما فوقع على استه واخذ اسيرا فاتي به الى علي فقال استبقني فقال ابعد ثلاثة تقتلهم .وأمر به فقتل وقيل ان المقتول عمرو بن يثري وان عميرة بقي حتى ولي قضاء البصرة مع معوية (أقول) اختلف كلام المؤرخين في هذا المقام كثيرا فابن الاثير ذكر كما مر والطبري نسب ما مر عن ابن الاثير والرجز الاول الى بن يثري من دون ان يسميه ثم قال وقتل يومئذ عمرو بن يثري علباء بن الهيثم السدوسي وهند بن عمرو الجملي وزيد ابن صوحان وهو يرتجز ويقول : اضربهم ولا ارى أبا حسن (الرجز المتقدم)

قال وعرض عمار لعمرو بن يثري وذكر نحوا مما مر الى قوله فنشب سيفه فيها ثم قال ورماه الناس حتى صرع وهو يقول :

ان تقتلوني فانا ابن يثري ... قاتل علباء وهند الجملي

ثم ابن صوحان على دين علي

واخذ اسيرا الى آخر مامر وقال بعضهم ان عمرو بن يثري كان فارس اهل الجمل وشجاعهم فلما برز قال للازداني قد وترت القوم وهم قاتلي ولست اخشى ان اقتل حتى اصرع فان صرعت فاستنقذوني فقالوا مانخاف عليك الا الاشتر قال فاياه اخاف فخرج الاشتر وهو يقول :

اني اذا ما الحرب ابدت نابها ... وغلقت يوم الوغى ابوابها

ومزقت من حنق اثوابها ... كنا قداماها ولا اذنابها

ليس العدو دوننا اصحابها ... من هابها اليوم فلن اهابها

لا طعنها اخشى ولا ضرابها

ثم حمل عليه الاشتر فطعنه فصرعه وحامت عنه الازد فاستنقذوه فوثب وهو مشرف على الموت فلم يستطع ان يدفع عن نفسه فطعنه رجل فصرعه ثانية وسحبه آخر برجله حتى اتى به عليا فناشده الله وقال يا أمير المؤمنين اعف عني فان العرب لم تزل قائلة عنك انك لم تجهز على جريح قط فعفا عنه واطلقه فجاء الى اصحابه وحضره الموت فقيل له دمك عند اي الناس فقال ضربني فلان وفلان وصاحبي الاشتر فقالت ابنته ترثيه وشكرت الازد وعاتبت قومها وشعرها هذا من جيد الشعر والنساء اذا رثت اجادت لما في طباعهن من الرقة :

ياضب انك قد فجعت بفارس ... حامي الحقيقة قاتل الاقران

عمرو بن يثري الذي فجعت به ... كل القبائل من بني عدنان

لم يحمه وسط العجاجة قومه ... وحنت عليه الازد ازد عمان

فلهم علي بذاك حادث نعمة ... ولحبهم احببت كل يماني

لو كان يدفع عن منية هالك ... طول الاكف بذابل المران

او معشر وصلوا الخطى بسيوفهم وسط العجاجة والحتوف دواني
ما نيل عمرو والحوادث جمة حتى ينال النجم والقمران
لو غير الاشتر ناله لندبته وبكيته ما دام هضب ابان
لكنه من لايعاب بقتله اسد الاسود وفارس الفرسان

والذي يغلب على الظن انه وقع اشتباه بين عميرة بن يثري واخيه عبدالله وعمرو بن يثري فنسب مالاحدهم للاخر ورواية عفو امير المؤمنين عليه السلام عنه بعدما وجب عليه القصاص بقتل من قتل مستبعدة ولما قتل ابن يثري دفع العدوي الزمام الى رجل من بني عدي وبرز فخرج اليه ربيعة العقيلي وهو يرتجز ويقول :

يا امنا اعق ام تعلم والام تغذو ولدها وترحم
الا ترين كم شجاع يكلم وتختلي منه يد ومعصم

ثم اقتتلا فاتخن كل واحد منهما صاحبه فماتا جميعا وقال ابو مخنف الزجر للحارث بن زهير الازدي من اصحاب علي عليه السلام وقام مقام العدوي الحارث الضبيفما رؤي اشد منه وجعل يقول :

نحن بني ضبة اصحاب الجمل ننعي ابن عفان باطراف الاسل
الموت احلى عندنا من العسل ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وفي رواية :

نحن بني ضبة اصحاب الجمل نبارز القرن اذا القرن نزل
ننعي ابن عفان باطراف الاسل الموت احلى عندنا من العسل

وفي رواية ان وسيم بن عمرو بن ضرار الضبي كان يوم الجمل يقول:

نحن بني ضبة اصحاب الجمل ننازل الموت اذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

قال الطبري كان عمرو بن يثري يحضض قومه يوم الجمل وقد تعاوروا الخطام يرتجزون •

نحن بني ضبة لا نفر حتى نرى جماجما تخر
يخر منها العلق المحمر

يا امنا ياعيش لا تراعـي كل بنيك بطـل المصـاع
يا امنـا يا زوجـة النبي يازوجـة المبارك المهـدي

قال ابو مخنف خرج عوف بن قطن الضبي وهو ينادي ليس لعثمن ثار الا علي بن أبي طالب وولده فأخذ خطام الجمل وقال :

يا ام يا ام خلا منـي الوطن لا ابتغي القبـر ولا ابغي الكفـن
من هاهنا محشر عوف بن قطن ان فاتنـا اليوم علـي فالغبـن
او فاتنا بنـاه حسين وحسن اذن امت بطول هـم وحـزن

ثم تقدم فضرب بسيفه حتى قتل ١٠ وتناول عبدالله بن ابزي خطام الجمل وكان من اراد الجد في الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدم الى الجمـل فيأخذ بخطامه ثم شد بن ابزي على عسكر علي فقال:

اضربهم ولا ارى أبا حسن هـا ان هذا حزن مـن الحـزن

فشد عليه أمير المؤمني عليه السلام بالرمح فطعنه فقتله وقال قد رأيت أبا حسن فكيف رأيته وترك الرمح فيه وأخـذت عائشة كفـا من حصى فحصبت به أصحاب علي وصاحت بأعلى صوتها شاهت الوجوه كماصنع رسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لها قائل وما رميت اذرميت ولكن اللهرمى ولم يزل الامر كذلك حتى قتل على الخطام اربعون رجلا قالت عائشة ما زال جملي معتدلا حتى فقدت أصوات بني ضبة وأخـذ الخطام سبعون رجلا من قريش كلهم يقتل وهو آخذ به وممن أخـذ به محمد بن طلحة فجعل لا يحمل عليه أحد الا حمل وقال حم لاينصرون قال ابن الصباغ وكان ذلك شعار اصحاب علي عليه السلام وكان علي قـد أوصى أصحابـه ان لا يقتلوا محمد بن طلحة فحمل عليه شريح بن اوفى العبسي فقال حم وقد سبقه شريح بالطعنـة فأتى علي نفسه فكان كمـا قيل سبق السيف العذل وكان محمد بن طلحة هذا من العباد الزهـاد واعتزل الناس وانما خرج برابابيه (أقول) ولكنه لاطاعة لمخلوق فـي معصية الخالق وقال الطبري اجتمع عليه اربعة نفر كل ادعى قتله فأنفذه

بعضهم بالرمح وقال بن الصباغ وفي ذلك يقول قاتله شريح :

واشعث قوام بآيـــات ربـــه قليل الاذى فيما ترى العـــين مسلم
هتكت لـــه بالرمح جيب قميصه فخـــر صريعـــا لليديـــن وللفـــم
على غير شيء غيران ليس تابعـــا عليـــا ومن لا يتبـــع الحق ينـــدم
يذكرني حـــم والرمـــح شاجر فهلا تـــلا حم قبـــل التقـــدم

واحدق أهل النجدات والشجاعـــة بعائشة فكان لا يأخذ الخطام احد الاقتل وما رامه احد من أصحاب علي الا قتل أو افلت فلم يعد وحمـــل عدي بن حاتم الطائي عليهم ففقئت عينه وخرج رجل من عسكر البصـــرة يعرف بجناب بن عمرو الراسبي فارتجز فقـــال :

اضربهم ولو ارى عليا عممتـــــه ابيض مشرفيـــــا
اريح منـــه معشرا غويا

فصمد له الاشتر فقتله ثم تقـــدم عبدالرحمـــن بن عتاب بن اسيـــد ابن أبي العاص بن امية بن عبد شمس وهو من اشراف قريش وكـــان اسم سيفه ولول فارتجز فقال :

انا ان عتـــاب وسيفي ولول والموت عنـــد الجمـــل المجلل

فحمل عليه الاشتر فقتله وقتـــل الاشتر جنـــدب بن زهير الغامـــدي وعبدالله بن حكيم بن حرام اشترك في قتله هو وعدي بن حاتم وكانت راية بكر بن وائل من اهل الكوفة في بني ذهل كانت مع الحارث ابـــن حسان بن خوط الذهلي فقيل له ابق على نفسك وقومك فأقـــدم وقال يا معشر بكر بن وائل انه لم يكن احد له من رسول الله صلى عليه وسلم مثل منزلة صاحبكم فانصروه فأقدم فقتل وقتل ابنه وقتل خمسة اخوة له وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلا فقال رجل لاخيه وهو يقـــاتل يا أخي ما احسن قتالنا ان كنا على حق قال فانا على الحق ان الناس اخذوا يمينا وشمالا وانما تمسكنا بأهل بيت نبينا فقاتلا حتى قتلا وجرح عمير ابن الاهلب الضبي فمر به رجل من اصحاب علي وهو يفحص برجليـــه ويقول :

لقد اوردتنا حومة الموت امنا　　فلم تنصرف الا ونحن رواء
لقد كان عن نصر ابن ضبة امه　　وشيعتها مندوحة وغناء
اطعنا قريشا ضلة من حلومنا　　ونصرتنا أهل الحجاز عناء
اطعنا بني تيم بن مرة شقوة　　وهل تيم الا اعبد واماء

فقال له الرجل فوثب عليه فعض اذنه فقطعها وخرج عبدالله بن خلف الخزاعي وهو رئيس البصرة واكثر اهلها مالا وضياعا وطلب المبارزة وسأل ان لايخرج اليه الا علي وارتجز عليه فقال :

يابا تراب ادن مني فترا　　فانني دان اليك شبرا
وان في صدري عليك غمرا

فخرج اليه علي فلم يمهله ان ضربه ففلق هامته . واستدار الجمل كما تدور الرحى وتكاثف الرجال حوله واشتد رغاؤه واشتد زحام الناس عليه وقصد اهل الكوفة قصد الجمل ودونه كالجبال كلما خف قوم جاء اضعافهم فنادى امير المؤمنين ويحكم ارشقوا الجمل بالنبل اعقروه فرشق بالسهام فلم يبق فيه موضع الا اصابة النبل وكان مجففا فتعلقت السهام به فصار كالقنفذ ونادت الازد وضبة يالثارات عثمن فاخذوها شعارا ونادى اصحب علي يامحمد فاخذوهاا شعارا واختلط الفريقان ونادى علي بشعار رسول الله صلى الله عليه وسلم يامنصور امت وقيل كان شعاره حم لا ينصرون اللهم انصرنا على القوم الناكثين وهذا في اليوم الثاني من ايام الجمل فلما بها تزلزلت اقدام القوم وذلك وقت العصر بعد ان كان الحرب من الفجر ثم تحاجز الفريقان والقتل فاش فيهما الا انه في اهل البصرة اكثر وامارات النصر لائحة لعسكر الكوفة ثم تواقفوا في اليوم الثالث فجاء عبدالله بن الزبير فلم يتكلم وكان كل من يأخذ الخطام ينتسب فقالت عائشة من انت قال ابنك ابن اختك قالت واثكل اسماء وفي رواية ان عبدالله بن الزبير برز في اليوم الثالث اول الناس ودعا الى المبارزة فبرز اليه الاشتر فقالت عائشة من برز الى عبدالله قيل الاشتر فقالت واثكل اسماء وكان

الاشتر طاويا ثلاثة ايام وكانت هذه عادته في الحرب وهو شيخ عالي السن فضرب الاشتر عبدالله على رأسه فجرحه جرحا شديدا وضربه عبدالله ضربة خفيفة واعتنق كل واحد منهما صاحبه وسقطا الى الارض يعتركان فقال بن الزبير :

اقتلوني ومالكا　　　واقتلوا مالكا معي

فلو يعلمون من مالك لقتلوه وانما كان يعرف بالاشتر فحمل اصحاب علي وعائشة فخلصوهما . ودخل الاشتر على عائشة بعد حرب الجمل فقالت انت الذي صنعت بابن اختي ما صنعت قال نعم ولولا اني كنت طاويا ثلاثة ايام لارحت امة محمد منه قالت اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحل دم مسلم الا باحد امور ثلاثة كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بغير حق فقال على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا ام المؤمنين والله خانني سيفي قبلها وقد اقسمت ان لا يصحبني بعدها وفي ذلك يقول الاشتر :

اعائش لولا انني كنت طاويا　　　ثلاثا لالفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه　　　كوقع الصياصي اقتلوني ومالكا
فلم يعرفوه اذ دعاهم وغمه　　　خدب عليه في العجاجة باركا
فنجاه مني اكله وشبابه　　　واني شيخ لم اكن متماسكا
وقالت على اي الخصال صرعته　　　بقتل اتى ام ردة لا ابالكا
ام المحصن الزاني الذي حل قتله　　　فقلت لها لا بد من بعض ذالكا

واخذ الخطام الاسود بن أبي البختري فقتل وهو قرشي واخذه عمرو ابن الاشرف العتكي فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من اهل بيته وهو ازدي ولم يبق شيخ من بني عامر الا اصيب قدام الجمل وما يأخذ بخطام الجمل أحد الا قتل حتى ضاع الخطام وكان آخر من اخذه زفر بن الحارث وهو يرتجز ويقول :

يا امنا مثلك لا يراع　　　كل بنيك بطل شجاع

وزحف علي نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والانصار وحوله بنوه حسن وحسين ومحمد ودفع الراية الى محمد وقال اقدم بها حتى تركزها في عين الجمل ولا تقفن دونه فتقدم محمد فرشقته السهام فقال لاصحابه رويدا حتى تنفد سهامهم فلم يبق الا رشقة أو رشقتان فانفذ علي اليه يحثه ويأمره بالمناجزة فلما ابطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الايمن وقال له اقدم لا ام لك فكان محمد اذا ذكر ذلك يبكي ويقول لكأني اجد ريح نفسه في قفاي والله لا انسى ذلك ابدا ثم ادركت عليا رقة على ولده فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور في اليمنى ثم حمل فغاص في عسكر الجمل ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فقال له اصحابه وبنوه والاشتر وعمار نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فلم يجب احدا منهم ولا رد اليهم بصره وظل ينحط ويزأر زئير الاسد حتى فرق من حوله وتبادروه وانه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لايبصر من حوله ولا يرد حوارا ثم دفع الراية الى محمد ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدما قدما والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة وشآمة حتى خضب الارض بدماء القتلى ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فاعصوصب به اصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الاسلام وقالوا انك ان تصب يذهب الدين فأمسك ونحن نكفيك فقال والله ما اريد بما ترون الا وجه الله والدار الآخرة ثم قال لمحمد هكذا تصنع يابن الحنفية فقال الناس من يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين .

وعن المدائني والواقدي ماحفظ رجز قط اكثر من رجز قيل يوم الجمل واكثره لبني ضبة والازد الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل والايدي تطيح من المعاصم واقتاب البطن تندلق من الاجواف وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل ونادى علي عليه السلام اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا عنه

وفي رواية حتى لقد صرخ علي بأعلى صوته ويلكم اعقروا الجمل فانه شيطان ثم قال اعقروه والا فنيت العرب ولا يزال السيف قائما وراكما حتى يهوي هذا البعير الى الارض •

روى أبو مخنف عن حبة العرني قال لما رأى علي ان الموت عند الجمل وانه ما دام قائما فالحرب لا يطفأ وضع سيفه على عاتقه وعطف نحوه وامر اصحابه بذلك والخطام مع بني ضبة فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من بني ضبة مقتلة عظيمة وخلص علي عليه السلام في جماعة من النخع وهمدان الى الجمل فقال لرجل من النخع اسمه بجير دونك الجمل يا بجير فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه وضرب بجرانه الارض وعج عجيجا لم يسمع بمثله فلما سقط الجمل كانت الهزيمة وفرت الرجال عنه كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب •

وجاء محمد بن أبي بكر ومعه عمار بن ياسر فقطعا الانساع عن الهودج واحتملاه فلما وضعاه ادخل محمد يده فقالت من هذا قال أخوك محمد فقالت مذمم قال يا اخية هل اصابك شيء قالت ما انت من ذاك قال فمن اذا الضلال قالت بل الهداة وقيل انها لما سألته قال اخوك البر قالت عقوق وامر علي عليه السلام بالجمل ان يحرق ثم يذري في الريح وقال لعنه الله من دابة فما اشبهه بعجل بني اسرائيل وقرأ وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا • وامر نفرا ان يحملوا الهودج من بين القتلى وانه كالقنفذ لما فيه من السهام وأمر اخاها محمد بن أبي بكر ان يضرب عليها قبة فلما كان الليل ادخلها البصرة فأنزلها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي وهي اعظم دار بالبصرة وكان علي عليه السلام يقول ذلك اليوم بعد الفراغ من القتال :

اليك اشكو عجري وبجري ومعشرا اغشوا علي بصري
قتلت منهم مضري بمضري شفيت نفسي وقتلت معشري

وامر علي عليه السلام مناديا فنادى ألا لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولاتدخلوا الدور ولا ترزءوا سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا ومن القى سلاحه فهو آمن ومن غلق بابه فهو آمن ٠

وتسلل الجرحى من بين القتلى ليلا فدخلوا البصرة وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يطوف على القتلى حكى بن أبي الحديد عن الاصبغ بن نباتة انه ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وكانت باقية عنده وسار في القتلى يستعرضهم قال المفيد ومن كلامه عند تطوافه على القتلى: هذه قريش جدعت انفي وشفيت نفسي لقد تقدمت اليكم احذركم عض السيف ولكنه الحين وسوء المصرع واعوذ بالله من سوء المصرع ثم مر على معبد بن المقداد فقال رحم الله أبا هذا لو كان حيا لكان رأيه أحسن من رأي هذا فقال عمار بن ياسر الحمد لله الذي اوقعه وجعل خده الاسفل انا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي من عند من الحق من والد وولد فقال أمير المؤمنين عليه السلام رحمك الله وجزاك عن الحق خيرا ومر بعبدالله بن ربيعة بن دراج فقال هذا البائس ماكان اخرجه ادين ام نصر لعثمن والله ماكان رأي عثمن فيه ولا في ابيه بحسن ثم مر بمعبد بن زهير فقال لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام ثم مر بمسلم ابن قرظة فقال البر اخرج هذا والله لقد كلمني ان اكلم عثمن في شيء كان يدعيه قبله بمكة فأعطاه عثمن وقال لولا انت ما اعطيته ان هذا ما علمت بئس أخو العشيرة ثم جاء المشوم للحين ينصر عثمن ثم مشى قليلا فمر بكعب بن سور فقال هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم انه ناصر امه يدعو الناس الى ما فيه ثم استفتح فخاب كل جبار عنيد اما انه دعا الله ان يقتلني فقتله الله اجلسوا كعب بن سور فأجلس فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ياكعب لقد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك

ربك حقا ثم قال اضجعوه فأضجعوه وفي رواية الاصبغ بن نباتة انه قال له ويل امك كعب بن سور لقد كان لك علم لو نفعك ولكن الشيطان اضلك فاذلك فعجلك الى النار ارسلوه قال المفيد ومر على طلحة فقال هذا الناكث بيعتي والمنشيء الفتنة في الامة والمجلب علي والداعي الى قتلي وقتل عترتي اجلسوا طلحة فأجلس فقال له ياطلحة قد وجدت ماوعدني ربي حقا فهل وجدت ماوعدك ربك حقا اضجعوا طلحة وسار فقال له بعض من كان معه يا أمير المؤمنين اتكلم كعبا وطلحة بعد قتلهما فقال ام والله لقد سمعا كلامي كما سمع اهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وفي رواية الاصبغ ثم مر بعبدالله بن خلف الخزاعي وكان قتله بيده مبارزة وكان رئيس أهل البصرة فقال اجلسوه فأجلس فقال الويل لك يابن خلف لقد عاينت امرا عظيما قال بن أبي الحديد وقال شيخنا أبو عثمان الجاحظ ومر بعبدالرحمن بن عتاب بن اسيد فقال اجلسوه فأجلس فقال هذا يعسوب قريش هذا اللباب المحض من بني عبدمناف ثم قال شفيت نفسي وقتلت معشري الى الله اشكو عجري وبجري قتلت الصناديد من بني عبدمناف وافلتني الاعيار من بني جمح فقال له قائل لشد ما اطريت هذا الفتى منذ اليوم يا أمير المؤمنين قال انه قام عني وعنه نسوة لم يقمن عنك اهـ واقام علي عليه السلام بظاهر البصرة ثلاثا واذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا اليهم فدفنوهم وفي مروج الذهب : خرجت امرأة من عبدالقيس تطوف القتلى (يوم الجمل) فوجدت ابنين لها قد قتلا وقد كان قتل زوجها واخوان لها فيمن قتل قبل مجيء علي البصرة فأنشأت تقول :

شهدت الحروب فشيبنني ... فلم ار يوم كيوم الجمل
اضر على مؤمن فتنة ... واقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة في بيتها ... وليتك عسكر لم ترتحل

اهـ وكانت عبدالقيس معروفة بولاء علي عليه السلام وابناها قتلا مع

علي عليه السلام وزوجها واخواها قتلا في طاعته قال الطبري وصلى علي على القتلى من اهل البصرة والكوفة وامر فدفنت الاطراف المقطوعة من جمادى الاخرة سنة ٣٦ في قول الواقدي والمسعودي لكنه مر عن الطبري ان نزولهم كان في النصف من جمادى الاخرة يوم الخميس ٣٦ وانهم بقوا ثلاثة ايام لم يكن بينهم قتال وقد ذكر الطبري ايضا ان الوقعة كانت يوم الخميس ومر ان القتال استمر ثلاثة ايام وفي ذلك من التنافي ما لا يخفى لكن المسعودي قال ان وقعة الجمل كانت وقعة واحدة في يوم واحد ويمكن الجمع بان الوقعة العظمى الفاصلة كانت في يوم واحد وغيرها كان مناوشات وكانت القتلى خمسة عشر الفا قتل من أهل البصرة في المعركة الاولى خمسة الاف وفي المعركة الثانية مثلها وقتل من اهل الكوفة خمسة الاف وقيل كان جميع القتلى عشرة الاف نصفهم من اصحاب علي ونصفهم من اصحاب عائشة وقتل من ضبة الف رجل وقتل من بني عدي حول الجمل سبعون قد قرأوا القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ وعلم اهل المدينة بالوقعة يوم الخميس قبل ان تغرب الشمس من نسر مر بماء حول المدينة سقط منه كف فيه خاتم نقشه عبدالرحمن بن عتاب وعلم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل اليهم النسور من الايدي والاقدام ثم دخل عليه السلام البصرة يوم الاثنين بعد الوقعة بثلاث فأنتهى الى المسجد فصلى فيه ثم دخل البصرة فأتاه الناس قال المفيد : فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الله ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة وعفو جم وعقاب أليم قضى ان رحمته ومغفرته وعفوه لاهل طاعته من خلقه وبرحمته اهتدى المهتدون وقضى ان نقمته وسطواته وعقابه على اهل معصيته من خلقه وبعد الهدى والبينات ماضل الضالون فما ظنكم يا اهل البصرة وقد نكثتم بيعتي وظاهرتم علي عدوي فقام اليه رجل فقال نظن خيرا ونراك قد ظهرت وقدرت فان عاقبت فقد اجترمنا وان عفوت فالعفو احب الى الله تعالى فقال قد عفوت عنكم فأياكم والفتنة فانكم اول الرعية نكث البيعة وشق عصا هذه

الامة ثم جلس للناس فبايعوه اهـ قال الطبري فبايعه اهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة وبايع الاحنف من العشي لانه كان خارجا في بني سعد قال الطبري : ثم راح الى عائشة على بغلته فلما انتهى الى دار عبدالله ابن خلف وجد النساء يبكين على عبدالله وعثمان ابني خلف وكان عبدالله قتل مع عائشة وعثمان قتل مع علي وكانت صفية بنت الحارث وهي ام طلحة الطلحات بن عبدالله بن خلف مختمرة تبكي فلما رأته قالت له يا علي يا قاتل الاحبة يا مفرق الجمع أيتم الله منك بنيك كما اتيمت ولد عبدالله منه فلم يردعليها شيئا ودخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها وفي رواية انه لم يسمع احد من قول علي شيئا الا أن عائشة كانت امرأة عالية الصوت قالوا فسمعنا كهيئة المعاذير اني لم افعل ثم قال جبهتنا صفية اما اني لم ارها منذ كانت جارية فلما خرج علي اعادت عليه القول فكف بغلته وقال اما لهممت واشار الى الابواب من الدار ان افتح هذا الباب واقتل من فيه ثم هذا فاقتل من فيه ثم هذا فأقتل من فيه وكان اناس من الجرحى قد لجأوا الى عائشة منهم مروان بن الحكم في حجرة ومعه جماعة وعبدالله ابن الزبير في حجرة ومعه جماعة وآخرون في حجرة فأخبر علي بمكانهم عندها فتغافل عنهم فسكتت فخرج علي فقال رجل من الازد والله لاتغلبنا هذه المرأة فغضب وقال صه لا تهتكن سترا ولا تدخلن دارا ولا تهجين امرأة بأذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحاءكم فأنهن ضعاف ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده فلا يبلغني عن احد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس (اقول) وهذا غاية الحلم ونهاية الصفح والكرم ومكارم الاخلاق الخارجة عن مجرى العادة .

قال الطبري ولما فرغ أمير المؤمنين من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فاذا فيه ستمائة الف وزيادة فقسمها على من شهد معه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة خمسمائة وقال لكم اذا اظفركم الله عز وجل بالشام

مثلها الى اعطياتكم اهـ وحكى ابن أبي الحديد عن أبي الاسود الدئلي قال لما ظهرعلي عليه السلام يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة في اناس من المهاجرين والانصار وأنا معهم فلما رأى كثرة ما فيـه قال غري غيري مرارا ثم نظر الى المال وصعد فيه بصره وصوب وقال اقسموه بين اصحابي خمسمائة خمسمائة فقسم بينهم فلا والذي بعث محمدا بالحق ما نقص درهما ولا زاد درهما كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره كان ستة الاف الف درهم أي ستة ملايين والناس اثني عشر الفا (أقول) هذه الرواية اقرب الى الصواب لان جيش أمير المؤمنين عليه السلام كان عشرين الفا كما مـر فقتل منه خمسة الاف على رواية يبقى خمسة عشر الفا وخمسـة الاف وسبعمائة على اخرى يبقى اربعة عشر الفا وثلثمائة وكلا الروايتـين وان كان لا ينطبق على ان يكون الباقي اثنى عشر الفا الا ان مثل ذلك التفاوت يتسامح فيه عادة في عدد الجيش وعدد من يقتل منه بخلاف رواية ستمائـة الف فأنا اذا قسمناها خمسمائة خمسمائة كان الباقي من الجيش الفـاً ومائتين وهو لا يقارب شيئا من الروايات ولا يطابقه فلا يبعد ان يكـون ستمائة الف تصحيف ستة الاف الف والله اعلم .

ثم حكى عن حبة العرني قال قسم علي بيت مال البصرة على اصحابـه خمسمائة خمسمائة واخذ خمسمائة درهما كواحد منهم فجاءه انسـان لم يحضر الوقعة فقال يا أمير المؤمنين كنت شاهدا معك في قلبي وان غاب عنك جسمي فأعطني من الفيء شيئا فدفع اليه الذي اخذه لنفسه ولـم يصب من الفيء شيئا قال الطبري : وجمع ماكان في العسكـر من شيء وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه الا سلاحا كان في الخزائن عليه سمة السلطان اهـ ولكن بن أبي الحديـد يقول اتفقت الرواة كلها على انه عليه السلام قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض فقسمه بين اصحابه وانهم قالوا له اقسـم بيننا اهل البصرة فأجعلهم رقيقا فقال لا فقالوا كيف تحل لنا دماؤهـم

ويحرم علينا سبيهم فقال كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة واسلام اما ما اجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم واما ما دارت عليه الدور واغلقت عليه الابواب فهو لاهله فلما اكثروا عليه قال اقترعوا على عائشة فقالوا نستغفر الله قال المفيد : ثم كتب بالفتح الى أهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين الى اهل الكوفة سلام عليكم فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال اخبركم عنا وعمن سرنا اليه من جموع أهل البصرة ومن تأشب اليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكثهم صفقة ايمانهم فنهضت من المدينة حين انتهى الي خبر من سار اليها وجماعتهم وما فعلوا بعاملي عثمن ابن حنيف حتى قدمت ذا قار فبعثت الحسن بن علي وعمار بن ياسر وقيس ابن سعد فأستنفرتكم بحق الله وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقي فأقبل الي اخوانكم سراعا حتى قدموا علي فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء وقمت بالحجة واقلت العثرة والزلة من اهل الردة من قريش وغيرهم واستتبتهم من نكثهم بيعتي وعهد الله عليهم فأبوا الاقتالي وقتال من معي والتمادي في الغي فناهضتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثا وولى من ولى الى مصرهم وقتل طلحة والزبير وخذلوا وادبروا وتقطعت بهم الاسباب فلما رأوا ما حل بهم سألوني العفو عنهم فقبلت منهم وغمدت السيف عنهم واجريت الحق والسنة فيهم واستعملت عبدالله بن العباس على البصرة وانا سائر الى الكوفة انشاء الله تعالى وقد بعثت اليكم زحر بن قيس الجعفي لتسألوه فيخبركم عنا وعنهم وردهم الحق علينا ورد الله لهم وهم كارهون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وروى الكشي في رجاله بسنده والمفيد في الرسالة الكافية بسندين

احدهما من طريق العامة والاخر من طريق الخاصة وابن أبي الحديد في شرح النهج بالفاظ متقاربة قالوا بعث أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد وقعة الجمل عبدالله بن عباس الى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلة العرجة قال بن عباس فأتيتها وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة فطلبت الاذن عليها فلم تأذن فدخلت من غير اذن فاذا بيت قفار لم يعد لي فيه مجلس فاذا هي من وراء ستر فضربت ببصري فاذا في جانب البيت رحل عليه طنفسة فمددت الطنفسة فجلست عليها فقالت من وراء الستر يا ابن عباس اخطأت السنة دخلت بيننا بغير اذننا وجلست على وسادتنا بغير اذننا فقال لها بن عباس نحن اولى بالسنة منك ونحن علمنا السنة وانما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت منه فاذا رجعت الى بيتك لم ندخله الا بأذنك ولم نجلس على وسادتك الا بأمرك ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يأمرك بالرحيل الى المدينة وقلة العرجة قالت وأين امير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب قال وهذا علي ابن أبي طالب قالت ابيت ابيت قال اما والله ان كان اباؤك فيه الا قصير المدة عظيم التبعة ظاهر الشؤم بين النكد وما كان اباؤك فيه الا حلب شاة حتى صرت ماتأمرين ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين وما كنت الا كما قال أخو بني أسد :

مازال اهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الالقاب
حتى تركت كان صوتك بينهم في كل مجمعة طنين ذباب

قال فبكت حتى سمع نحيبها من وراء الحجاب ثم قالت اني معجلة الرحيل الى بلادي والله مامن بلدا بغض الي من بلد انتم فيه قال ولم ذاك وقد جعلناك للمؤمنين اما وجعلنا أباك صديقا قالت يا بن عباس تمنون علي برسول الله قال ولم لا نمن عليك بمن لو كان منك قلامة منه مننت به علينا ونحن لحمه ودمه ومنه واليه وما انت الا حشية من تسع حشايا فصرت تأمرين فتطاعين وتدعين فتجابين ثم نهضت واتيت أميرالمؤمنين

عليه السلام فأخبرته بمقالتها وما رددت عليها فسر بذلك وقال لي ذريــة بعضها من بعض والله سميع عليم (وفي رواية) انا كنت اعلم بك حيث بعثتــك .

وروى الطبري ان عمار بن ياسر قال لعائشة حــين فرغ القوم يا ام المؤمنين ما ابعد هذا المسير من العهد الذي عهد اليك قالت أبو اليقظــان قال نعم قالت والله انك ما علمت قوال بالحق قال الحمد لله الذي قضى لي على لسانك قال : وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع واخرج معها كل من نجا ممن خرج معها الا من احب المقــام واختار لها أربعين امرأة من نساء اهل البصرة المعروفات وارسل معهــا أخاها محمدا وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ٣٦ وفي اثبات الوصية للمسعودي وكل بها نساء ملثمات اركبهن الخيل وفي تذكــرة الخواص عن هشام الكلبي بعث معها أخاها عبدالرحمن في ثلاثين رجلا وعشرين امرأة البسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لا تعلمنها انكن نســوة وتلثمن ولا يقرب منها رجل فلما وصلت المدينة عرفنها انهن نسوة وفي كامل المبرد قال عمرو بن العاص لعائشة لوددت انك كنت قتلت يــوم الجمل فقالت ولم لا ابالك فقال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنــة ونجعلك اكبر التشنيع على علي .

واستخلف أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة بــن عباس وولى زيادا الخراج وبيت المــال وتوجه الى الكوفة ثم ان بن عباس كتب اليه يذكر اختلاف أهل البصرة فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام سأخبرك عن القوم هم من بين مقيم لرغبة يرجوها أو عقوبــة يخشاها فأرغب راغبهم بالعدل عليه والانصاف له والاحسان اليه وحل عقدة الخوف عن قلوبهم وأحسن الى هذا الحي من ربيعة وكل من قبلك فأحسن اليهم ما استطعت ان شاء الله والسلام وكتب عبدالله بن أبي رافع في ذي القعدة سنة ٣٦ وكتب الى بن عباس ايضا اما بعد فانظر ما اجتمع عندك من غلات المسلمين

وفيئهم فأقسمه على من قبلك حتى تغنيهم وابعث الينا بما فضل نقسمه فيمن قبلنا والسلام.

وكتب عليه السلام الى امراء الجنود ان لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي عنكم امرا الا في حكم ولا اؤخر حقا لكم عن محله ولا ارزأكم شيئا وان تكونوا عندي في الحق سواء فان ابيتم ان تستقيموا لي على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن فعل ذلك منكم ثم اعاقبه عقوبة لا يجد عندي فيها هوادة . وكتب الى امراء الخراج : ارحموا ترحموا ولا تعذبوا خلق الله ولا تكلفوهم فوق طاقتهم وانصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم فأنكم خزان الرعية لا تتخذن حجابا ولا تحجبن احدا عن حاجة حتى ينهيها اليكم لا تأخذوا احدا بأحد الا كفيلا عمن كفل عنه واياكم وتأخير العمل ودفع الخير فان في ذلك الندم والسلام وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين بسنده انه لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة الى الكوفة يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين وقد اعز الله نصره واظهره على عدوه ومعه اشراف الناس واهل البصرة استقبله اهل الكوفة وفيهم قراؤهم واشرافهم فدعوا له بالبركة وقالوا له يا امير المؤمنين اين تنزل اتنزل القصر (يعني قصر الامارة) قال لا ولكني انزل الرحبة وهي محلة بالكوفة (وفي رواية) انه لما لحقه ثقله قالوا اي القصرين تنزل فقال قصر الخبال لاتنزلونيه ونزل على جعدة بن هبيرة المخزومي وهو بن اخته ام هاني تزوجها هبيرة ابن أبي وهب المخزومي فأولدها جعدة وكان شريفا . ويظهر من هذه الرواية انه كان بالكوفة قصران للامارة والخبال الفساد والظاهر انه لم يرض ان ينزل بقصر الامارة وسماه قصر الخبال باعتبار من كان ينزله من بعض حكام الجور . فتنزه عن ان ينزل في محل نزولهم مبالغة في انكار الظلم ولم يعلم انه هل استمر على هجر قصر الامارة او نزله بعد ما تمهدت له الامور لم نجد في ذلك تصريحا للمؤرخين وفي طبقات ابن

سعد نزل علي الكوفة في الرحبة التي يقل لها رحبة علــي في اخصاص كانت فيهاولم ينزل القصر الذي كانت تنزله الولاة قبله اهـ ولعله نــزل اولا على جعدة ثم نزل الرحبة ولكن يظهر من بعض احاديث وفاتـــه انها كانت بالقصر فيكون قــد نزلــه بعد ذلك واقبل حتى دخل المسجد الاعظم فصلى فيه ركعتين :

ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما بعد يا اهل الكوفة فان لكم في الاسلام فضلا ما لم تبدلوا وتغيروا دعوتكم الى الحق فأجبتم وبدأتم بالمنكـــر فغيرتم الا ان فضلكم فيما بينكم وبين الله فاما في الاحكام والقسم انتم اســوة مــن اجابكم ودخل فيما دخلتم فيه الا ان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الآخرة الا ان الدنيا قد ترحلت مدبرة والاخرة قد ترحلت مقبلة ولكــل واحدة منهن بنون فكونوا من ابناء الاخرة اليوم عمل ولا حساب وغــدا حساب ولا عمل الحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه واعز انصار الحق واذل الناكث المبطل عليكم بتقوى الله وطاعة من اطاع الله من اهــل بيت نبيكم الذين هم اولى بطاعتكم فيما اطاعوا الله فيه من المنتحلــين المدعين المقبلين لنا يتفضلون بفضلنا ويجاحدوننا امرنا وينازعوننا حقنــا ويدافعوتنا عنه فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيا الا أنــه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فانا عليهم عاتب زار فأهجروهم واسمعوهم مايكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة فقام اليه مالك ابن حبيب اليربوعي وكان صاحب شرطتــه فقــال والله لارى الهجــر وسماع المكروه لهم قليلا والله لئن امرتنا لنقتلهم فقال علي سبحان الله يا مال جزت المدى وعدوت الحد واغرقت في النزع فقال يا أمير المؤمنين

لبعض الغشم ابلغ في امور تنوبك من مهادنة الاعادي

فقال علي عليه السلام هكذا قضى الله يا مال قال النفس بالنفس فما بال الغشم وقال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا والاسراف في القتل ان تقتل غير قاتلك فقد نهى الله عنه وذلك هو الغشم ٠

فقام اليه أبو بردة بن عوف الازدي وكان ممن تخلف عنه فقال يا أمير المؤمنين أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة بم قتلوا قال قتلوا شيعتي وعمالي وقتلوا أخا ربيعة العبدي رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين قالوا لا ننكث كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم فسألتهم ان يدافعوا الي قتلة اخواني اقتلهم بهم ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم فأبوا علي وقاتلوني وفي اعناقهم بيعتي ودماء قريب من الف رجل من شيعتي فقتلتهم بهم أفي شك انت من ذلك قال قد كنت في شك فأما الان فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم وانك انت المهدي المصيب قال نصر وكان اشياخ الحي يذكرون انه كان عثمانيا وقد شهد مع علي على ذلك صفين لكنه بعد مارجع كان يكاتب معوية فلما ظهر معوية اقطعه قطيعة بالفلوجة وكان عليه كريما ثم ان عليا تهيأ لينزل وقام رجال ليتكلموا فلما رأوه نزل جلسوا وسكتوا وفي رواية انه لما قدم الكوفة نزل على باب المسجد فدخل وصلى ثم تحول فجلس اليه الناس فسأل عن رجل من اصحابه كان ينزل الكوفة فقيل استأثر الله به فقال ان الله لا يستأثر باحد من خلقه انما اراد الله بالموت اعزاز نفسه واذلال خلقه وقرأ وكنتم امواتا فأحياكم الله ثم يميتكم ثم يحييكم ٠

ودخل عليه سليمان بن صرد الخزاعي فعاتبه وعذله وقال له ارتبت وتربصت وراوغت وقد كنت من اوثق الناس في نفسي واسرعهم فيما اظن الى نصرتي فما قعد بك عن اهل بيت نبيك وما زهدك في نصرهم فقال يا امير المؤمنين لا تردن الامور على اعقابها ولا تؤنبني بما مضى فيها

واستبق مودتي تخلص لك نصيحتي وقد بقيت امور تعرف بهـا ولبك من عدوك فسكت عنه . وجلس سليمان قليلا ثم نهض فخرج الى الحسن ابن علي وهو قاعد في المسجد فقال الا اعجبك من أمير المؤمنين وما لقيت منه من التبكيت والتوسيخ فقال لـه الحسن انما يعاتب من ترجي مودتـه ونصيحتـه فقال انه بقيت امور سيستوسق فيها القنا وينتضى فيهـا السيوف ويحتاج فيها الى اشباهي فلاتستبشعوا غيبتي ولاتتهموا نصيحتي فقال له الحسن رحمك الله ما انت عندنا بالظنين .

ودخل عليه سعيد بن قيس فسلم عليـه فقال له علي وعليك السـلام وان كنت من المتربصين فقال حاش لله يا أمير المؤمنين لست من اولئك قال فعل الله ذلك .

ودخل عليه مخنف بن سليم فاذا بين يديه رجال يؤنبهم وهم عبـدالله ابن المعتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي وكانت لهما صحبة وأبـو بردة بن عوف الازدي وغريب بن شرحبيل الهمداني وهو يقول لهـم ما ابطأ بكم عني وانتم اشراف قومكم والله لئن كـان من ضعف النيـة وتقصير البصيرة انكم لبور وان كان من شك في فضلي ومظـاهرة علي انكم لعدو قالوا حاش لله يا أمير المؤمنين نحن سلمك وحرب عـدوك ثم اعتذروا بمرض أو غيبة أو عذر آخـر ونظر الى مخنف فقال لكـن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلفوا ولم يكن مثلهم مثل القوم الذين قـال الله تعالى وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكـم فضل من الله ليقولن كـأن لم تكن بينكم وبينه موده ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما .

واتم علي الصلاة يوم دخل الكوفة فلما كانت الجمعة وحضرت الصلاة صلى بهم وخطب واقام بالكوفة واستعمل العمال فبعث يزيـد بن قيس الارحبي على المدائن وجوخى كلها وبعث مخنف بن سليم علـى اصبهان وهمدان فلما هرب بالمال قال عذرت القردان فما بال الحلم وبعث قرظة

ابن كعب على البهقباذات وقدامه بن مظعون الازدي على كسكر وعدي ابن الحارث على مدينة بهرسير واستانها وابا حسان البكري على استان العالي وسعد بن مسعود الثقفي على استان الزوابي وربعي ابن كاس على سجستان وخليد الى خراسان فلما دنا من نيسابور بلغه ان اهل خراسان قد كفروا ونزعوا ايديهم من الطاعة وقدم عليهم عمال كسرى من كابل فقاتل اهل نيسابور فهزمهم وحصر اهلها وبعث الى علي بالفتح والسبي ثم صعد لبنات كسرى فنزلن على أمان فبعث بهن الى علي فلما قدمن عليه قال ازوجكن قلن لا الا ان تزوجنا ابنيك فانا لا نرى لنا كفوا غيرهما فقال اذهبا حيث شئتما فقال نرسا فقال مر لي بهن فانهاً منك كرامة فبيني وبينهن قرابة ففعل فأنزلهن نرسا معه وجعل يطعمهن ويسقيهن في الذهب والفضة ويكسوهن كسوة الملوك ويبسط لهن الديباج وبعث الاشتر على الموصل ونصيبين ودارا وسنجار وآمد وهيت وعانات وما غلب عليه من ارض الجزيرة .

وبعث معوية بن أبي سفيان الضحاك بن قيس الفهري على ما في سلطانه من ارض الجزيرة وكان بيده حران والرقة والرها وقرقيسيا وكان من بالكوفة والبصرة من العثمانية قد هربوا فنزلو الجزيرة في سلطان معوية فخرج الاشتر يريد الضحاك بن قيس بحران فلما بلغ ذلك الضحاك بعث الى اهل الرقة فأمدوه وجل اهلها عثمانية فالتقى بهم بمرج مرينا بين حران والرقة فرحل الاشتر حتى نزل عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا فلما كان المساء رجع الضحاك بمن معه فسار ليلته كلها حتى اصبح بحران واصبح الاشتر فرأى ماصنعوا فتبعهم حتى اتى حران فحصرهم واتى الخبر معوية فبعث عبدالرحمن بن خالد في خيل يغيثهم فلما بلغ ذلك الاشتر كتب كتائبه وعبأ جنوده وخيله ثم ناداهم الاشتر الا تنزلون ايها الثعالب الرواغة احتجرتم احتجار الضباب ثم تركهم وانصرف لما علم بالمدد وبلغ عبدالرحمن بن خالد انصرافه فانصرف .

وحشر علي اهل السواد فلما اجتمعوا اذن لهم فلما رأى كثرتهم قال اني لا اطيق كلامكم ولا انقه عنكم فاسندوا امركم الى ارضاكم في انفسكم واعمه نصيحة لكم قالوا نرسا ما رضي فقد رضيناه وما سخط فقد سخطناه فتقدم فجلس اليه فقال اخبرني عن ملوك فارس كم كانوا قال كانت ملوكهم في هذه المملكة الاخرة اثنين وثلاثين ملكا قال كيف كانت سيرتهم قال ما زالت سيرتهم في عظم امرهم واحدة حتى ملكنا كسرى ابن هرمز فأستأثر بالمال والاعمال وخالف اولينا واخرب الذي للناس وعمر الذي له واستخف بالناس فأوغر نفوس فارس حتى ثاروا اليه فقتلوه فقال يانرسا ان الله عز وجل خلق الخلق بالحق ولا يرضى من احد الا بالحق وفي سلطان الله تذكرة مما خول الله وانها لا تقوم مملكة الا بتدبير ولا بد من امارة ثم امر على اهل السواد امراءهم • ثم كتب الى العمال في الآفاق كتب الى جرير بن عبدالله البجلي مع زحر بن قيس وكان جرير عاملا لعثمن على ثغر همدان يخبره بوقعة الجمل ونكثهم بيعته وفعلهم بعامله عثمن بن حنيف وعفوه عنهم ومسيره الى الكوفة فخطبهم جرير فقال ايها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو المأمون على الدين والدنيا وقد كان من امره وامر عدوه مانحمد الله عليه وقد بايعه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والتابعين بأحسان ولو جعل هذا الامر شورى بين المسلمين كان احقهم بها الا وان البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة وعلي حاملكم على الحق ما استقمتم فان ملتم اقام ميلكم فقال الناس سمعا وطاعة رضينا رضينا فكتب جرير جواب كتابه بالطاعة وكان مع علي رجل من طيء بن اخت لجرير فكتب الى خاله ابياتا مع زحر بن قيس منها •

جرير بن عبدالله لاتردد الهدى ... وبايع عليا انني لك ناصح

فان عليا خير من وطيء الحصى ... سوى احمد والموت غاد ورائح

فانك ان تطلب به الدين تعطه ... وان تطلب الدنيا فبيعك رابح

ابى الله الا انه خــير دهـره وافضل من صمت عليه الاباطـح

وقال جرير في ذلك من ابيات :

مضينـا يقينا على ديننـا ودين النبي مجلي الظلـم
امين الالـه وبرهـانه وعدل البريـة والمعتصم
رسول المليك ومن بعـده خليفتنـا القائم المـدعم
عليـا عنيت وصي النبي نجالـد عنه غواة الامـم
له الفضل والسبق والمكرمات وبيت النبوة لا يهتضـم

فسر الناس بخطبة جرير وشعره وقال بـن الازور القسري يمـدح جريرا في خطبته :

لعمر ابيـك والانبـاء تنمى لقـد جلى بخطبتـه جريـر
اتـاك بأمره زحـر بن قيس وزحر بالتي حـدثت خبـير
فكنت بمـا أتاك بـه سميعا وكـدت اليه من فرح تطـير
فأحرزت الثواب ورب حـاد حدا بالركب ليس لـه بعـير
ليهنك ما سبقت بـه رجـالا من العليـاء والفضل الكبـير

ثم اقبل جرير من ثغر همدان حتى ورد على علي عليه السلام بالكوفـة فبايعه ودخل فيما دخل فيه الناس من الطاعة • وكتب علي عليه السـلام الى الاشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمداني والاشعث عامل عثمن على آذربيجان وقد كان عمرو بن عثمن تزوج ابنة الاشعث بن قيس: اما بعد لولا هنات كن فيك كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس ولعل امرك يحمل بعضه بعضا ان اتقيت الله ثم انه كان من بيعة الناس اياي ماقـد بلغك وكان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي على غير حدث واخرجـا ام المؤمنين وسارا الى البصرة فسرت اليهما فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا فابلغت في الدعاء واحسنت في البقية وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه امانة وفي يديك مال من مال الله وانت من خزان الله عليه حتى تسلمه الي ولعلي ان لا اكون شر ولاتك لك ان استقمت

ولا قوة الا بالله .وهذا الكتاب هو عزل للاشعث . فقام زياد بن مرحب فخطب وذكر ماجرى لاهل الجمل ثم قام الاشعث فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان أمير المؤمنين عثمان ولاني آذربيجان فهلك وهي في يدي وقد بايع الناس عليا وطاعتنا له كطاعتنا من كان قبله وقد كان من امر طلحة والزبير ماقد بلغكم وعلي المأمون على ماغاب عنكم وعنا فلما اتى منزله دعا اصحابه فقال ان كتاب علي قد اوحشني وهو آخذ مال آذربيجان وأنا لاحق بمعوية فقالوا الموت خير لك من ذلك اتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل الشام فاستحيا فسار حتى قدم على علي .

انتهى

حرب صفين

الكتب المؤلفة في وقعة صفين

وقد صنفت في وقعةصفين كتب مستقلة مثل كتاب نصر بن مزاحم المنقري وكتاب ابراهيم بن ديزيل وكتاب أبي مخنف لوط بن يحيى الازدي وغيرها ٠

مقدار الجيشين

قال المسعودي : اختلف في مقدار ما كان مع علي من الجيش وما كان مع معوية فمكثر ومقل والمنفق عليه من قول الجميع انه كان مع علي تسعون الفا ومع معوية خمسة وثمانون الفا ٠

تأريخ الوقعة

الذي ذكره جماعة من المؤرخين انها كانت من ابتداء ذي الحجة سنة ٣٦ وانتهت في ١٣ صفر سنة ٣٧ ففي جمادى الاخرة سنة ٣٦ كانت وقعة الجمل كما مر وفي ١٢ رجب منها سار أميرالمؤمنين عليه السلام من البصرة الى الكوفة والمسافة بينهما نحو عشرة ايام فيكون وصوله اليها في نحو ٢٢ منه وقال نصر في كتاب صفين في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ٣٦ قدم علي من البصرة الى الكوفة اهـ وظاهره ان وصوله اليها كان بذلك التاريخ ويمكن ان يريد خروجه اليها ٠ ثم خرج الى النخيلة معسكر الكوفة في اواخر شهر رمضان او اول شوال منها وفي ٥ أو ٦ من شوال سار من النخيلة الى صفين اما وصوله الى صفين فلا يحضرني الان تعيينه ويظهر من الطبري ان وصولهم الى صفين كان في

أواسط ذي القعدة سنة ٣٦ فانه بعد ماذكر القتال على الماءعند وصولهم قال فمكث علي يومين لا يراسل معوية ثم راسله أول ذي الحجة اهـ فيكون مقامهم في الطريق بين الكوفة وصفين نحو شهر وعشرين يوما والمسافة بينهما وان كان يمكن قطعها بأقل من نصف هذه المدة الا ان مسير جيش فيه تسعون الفا أو اكثر باثقالها لا يمكن الا ان يكون في قليل من كل يوم غدوة وعصرا لا سيما انه كان يجمع العساكر في طريقه من المدائن وغيرها وان اهل الرقة منعوه من العبور وقطعوا الجسر ومضت مدة حتى اعادوه وجرت خطوب كما يأتي استغرقت زمنا طويلا • وقال المسعودي وغيره ان مقامهم بصفين كان مائة يوم وعشرة ايام كان فيها نحو تسعين أو سبعين وقعة اهـ وهو يقارب ماذكره الطبري بان يكون وصولهم الى صفين في العشرين من ذي القعدة فاذا ضمت العشرة الباقية منه الى ذي الحجة والمحرم وصفر الذي كتبت الصحيفة لايام بقيت منه لعلها لاتتجاوز الثلاثة فهذه نحو مائة يوم والى ان امضيت الصحيفة واستعدوا للسفر مضى نحو ثلاثة عشر يوما فهذه مائة يوم وعشرة ايام• وقال المسعودي ايضا كان بين دخول علي الى الكوفة والتقائه مع معوية للقتال بصفين ستة اشهر و ١٣ يوما ولعله اراد المدة بين دخوله الكوفة وانتهاء الحرب فخرج من البصرة في ١٢ رجب ووصل الكوفة في آخره فقطع المسافة بينهما في ١٨ يوما وان كان يمكن قطعها بأقل فأقام بها شعبان ورمضن وخرج الى صفين في شوال أو أواخر شهر رمضان ووصلها في ذي القعدة وانتهت الحرب في ١٣ صفر فهذه ستة اشهر و ١٣ يوما •

والحاصل انه في جمادى الاخرة سنة ٣٦ كانت وقعة الجمل وفي ١٢ رجب منها سار أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة الى الكوفة وفي آخر رمضان او اول شوال خرج من الكوفة الى النخيلة وفي ٥ أو ٦ من شوال سار من النخيلة الى صفين فوصلها في ذي القعدة وابتدأ الحرب في اول ذي الحجة سنة ٣٦ قاله بن الاثير وغيره واستمر الى آخره

وتركوا الحرب في المحرم سنة ٣٧ واستؤنف واشتد في اول صفر الى ١٣ منه فوقع الصلح وفي مروج الذهب كان الصلح لايام بقين من صفر سنة ٣٧ وقيل بعد هذا الشهر منها وفيه في موضع آخر وكتبت صحيفة الصلح لايام بقين منه اهـ . واجتمع الحكمان في شعبان سنة ٣٧ .هذا ماذكره جماعة من المؤرخين في تاريخ هذه الوقعة .

وقيل كانت الوقعة سنة ٣٨ وعليه ينطبق قول المسعودي كان التقاء الحكمين سنة ٣٨ وما حكماه الطبري عن الواقدي ان اجتماع الحكمين كان في شعبان سنة ٣٨ أو ان اجتماع الحكمين تأخر اكثر من سنة وهو بعيد وقال نصربن مزاحم في كتاب صفين انهم تراسلوا بعد وصول علي عليه السلام الى صفين ثلاثة شهور ربيع الثاني وجماديين وهو يقتضي ان يكون وصولهم لصفين في أواخر ربيع الاول وهو يخالف مامر من ان وصولهم كان في اواخر ذي القعدة مع عدم انطباقه على كون الوقعة سنة ٣٦ ولا على كونها سنة ٣٧ ولا ٣٨ لانه ان كان من سنة ٣٦ فحرب الجمل لم تكن قد وقعت بعد وان كان من سنة ٣٧ يلزم كون مقامهم بصفين اكثر من سنة وقد مر انه كان مائة يوم وعشرة ايام وان كان من سنة ٣٨ فيلزم ان يكون مقامهم بصفين اكثر من سنة ايضا .

ونحن ننقل حرب صفين ملخصا من كتاب نصر بن مزاحم بحذف الاسانيد اختصارا فانه من الكتب المعتمدة فان نقلنا شيئا من غيره صرحنا به . قال نصر بن مزاحم ان عليا مكث بالكوفة فقال الشني في ذلك شن عبد القيس :

قل لهذا الامام قد خبت الحرب	ب وتمت بذلك النعماء
وفرغنا من حرب من نقض العهـ	ـد وبالشام حية صماء
تنفث السم مالمن نهشته	فارمها قبل ان تعض شفاء
انه والذي تحج له النا	س ومن دون بيته البيداء
لضعف النخاع ان رمي اليو	م بخيل كأنها الاشلاء
تتبارى بكل اصيد كالفحـ	ـل بكفيه صعدة سمراء

او تـذره فمـا معوية الدهـ	ـر بمعطيك ما اراك تشاء
ولنيل السماك اقـرب من ذا	ك ونجم العيوق والعواء
فاضرب الحد والحديد اليهـم	ليس والله غير ذاك دواء

وكتب علي الى العمال في الآفاق وكان اهم الوجوه اليه الشام وقـدم عليه الاحنف بن قيس وجارية بن قدامة وحارثة بن قدامة بن بدر وزيـد ابن جبلة واعين بن ضبيعة فتكلم الاحنف فقال يا أمير المؤمنـين ان تك سعد لم تنصرك يوم الجمل فانها لم تنصر عليك وقد عجبوا امس ممـن نصرك وعجبوا اليوم ممن خذلك لانهم شكوا في طلحة والزبير ولـم يشكوا في معوية وعشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا اليهم فقـدموا الينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم وادركوا اليوم مافاتهم امس فقال علي لجاريـة ابن قدامة وكان رجل تميم بعد الاحنف ماتقول يا جارية فأجاب بما يدل على كراهته لاشخاص قومه عن البصرة وكان حارثة بن بدر اسد الناس عند الاحنف وكان شاعر بني تميم وفارسهم فقال علي ما تقول ياحارثـة فقال من جملة كلام ان لنا في قومنا عددا لا نلقى بهم عدوا اعـدى مـن معوية ولا نسدبهم ثغرا اشد من الشام ووافق الاحنف في رأيه فقـال علي للاحنف اكتب الى قومك فكتب الى بني سعد اما بعد فانه لم يبق احـد من بني تميم الا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم وعصمكم الله برأيي لكم حتى قلتم مارجوتم وامنتم ماخفتم واصبحتم منقطعين من أهل البـلاء لا حين باهل العافية واني اخبركم انا قدمنا على تميم الكوفة فأخـذوا علينا بفضلهم مرتين بمسيرهم الينا مع علي واجابتهم الى المسير الى الشام فاقبلوا الينا ولا تتكلوا عليهم وكتب معوية بن صعصعة وهو بن أخـي الاحنف اليهـم :

تميـم ابن مران احنف نعمـة	من الله لم يخصص بها دونكم سعدا
وعـم بها من بعدكم اهل مصركم	ليالي ذم النـاس كلهـم الوفـدا
سواه لقطع الحبل عن اهل مصره	فامسوا جميعا آكلين بـه رغـدا
وكان لسعد رأيـه امس عصمة	فلم يخط لا الاصدار فيهم ولا الوردا

وفي هذه الاخرى له مخض زبدة سيخرجها عفوا فلا تعجلوا الزبدا
ولا تبطئوا عنه وعيشوا برأيه ولا تجعلوا مما يقول لكم بدا
اليس خطيب القوم في كل وفدة واقربهم قربا وابعدهم بعدا
وان عليا خير حاف وناعل فلا تمنعوه اليوم جهدا ولا جدا
ومن نزلت فيه ثلاثون آية تسمية فيها مؤمنا مخلصا فردا
سوى موجبات جئن فيه وغيرها بها اوجب الله الولاية والودا

فلما انتهى كتاب الاحنف وشعر معوية بن صعصعة الى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة ثم قدمت عليهم ربيعة •

ارسال جرير الى معاوية

واراد علي ان يبعث الى معوية رسولا فقال له جرير بن عبدالله البجلي ابعثني اليه فانه لم يزل لي مستنصحا فأدعوه الى ان يسلم لك الامر على ان يكون اميرا من امرائك وعاملا من عمالك • ما عمل بطاعة الله وادعو اهل الشام الى طاعتك وجلهم قومي واهل بلادي وقد رجوت ان لا يعصوني فقال له الاشتر لاتبعثه فوالله اني لاظن هواه هواهم فقال له علي دعه حتى ننظر مايرجع به الينا فبعثه وقال له ان حولي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الدين والرأي من قد رأيت وقد اخترتك عليهم ائت معوية بكتابي فان دخل فيما دخل فيه المسلمون والا فانبذ اليه واعلمه اني لا ارضى به أميرا وقال المبرد في الكامل ان جريرا قال له والله يا أمير المؤمنين ما ادخرك من نصرتي شيئا وما اطمع لك في معوية فقال علي انما قصدي حجة اقيمها فانطلق جرير حتى اتى الشام ودخل على معوية فقال اما بعد يامعوية قد اجتمع لابن عمك اهل الحرمين واهل المصريين واهل الحجاز واليمن ومصر واهل العروض وعمان واهل البحرين واليمامة ولم يبق الا هذه الحصون التي انت بها لو سال عليها سيل من اوديته غرقها وقد اتيتك ادعوك الى مايرشدك ويهديك الى مبايعة هذا الرجل ودفع اليه كتاب علي بن أبي طالب وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان بيعتي لزمتك بالمدينة وانت بالشام لانه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه فلم يك للشاهد ان يختار وللغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اما ماكان ذلك لله رضا فان خرج من امرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه الى ماخرج منه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله فاما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ قريش من دم عثمان واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك والى من قبلك جرير بن عبدالله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله فلما قرأ الكتاب قام جرير فخطب خطبة قال في آخرها ايها الناس ان امر عثمان قد اعيا من شهده فما ظنكم بمن غاب عنه وان الناس بايعوا عليا واثر ولا موتور وكان طلحة والزبير ممن بايعه ثم نكثا بيعته على غير حدث الا وان هذا الدين لايحتمل الفتن الا وان العرب لاتحتمل السيف وقد كانت بالبصرة امس ملحمة ان يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس وقد بايعت العامة عليا ولو ملكنا والله امورنا لم نختر لها غيره وما خالف هذا استعتب فادخل يامعوية فيما دخل فيه الناس فان قلت استعملني عثمان ثم لم يعزلني فان هذا امر لو جاز لم يقم لله دين وكان لكل امريء مافي يديه ولكن الله لم يجعل للاخر من الولاة حق الاول وجعل تلك امورا موطأة وحقوقا ينسخ بعضها بعضا فقال معوية انظر وتنظر واستطلع رأي اهل الشام وامر معوية مناديا فنادى الصلاة جامعة فصعد المنبر

وقال : الحمد لله الذي جعل الدعائم للاسلام اركانا والشرائع للايمان برهانا يتوقد قابسه في الارض المقدسة التي جعلها الله محل الانبياء والصالحين من عباده فأحلها اهل الشام ورضيهم لها ورضيها لهم لما سبق من مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوام بأمره والذابين عن دينه وحرماته ثم جعلهم لهذه الامة نظاما وفي سبيل الخيرات اعلاما يردع الله بهم الناكثين ويجمع بهم الفة المؤمنين والله نستعين على ما تشعب من امر المسلمين بعد الالتئام وتباعد بعد القرب اللهم انصرنا على اقوام يوقظون نائمنا ويخيفون آمننا ويريدون هراقة دمائنا واخافة سبلنا وقد يعلم الله انا لم نرد بهم عقابا ولا نهتك لهم حجابا ولا نوطئهم زلفا غير ان الله الحميد كسانا من الكرامة ثوبا لن تنزعه طوعا ماجاوب الصدى وسقط الندى وعرف الهدى حملهم على خلافنا البغي والحسد فالله نستعين عليهم ايها الناس قد علمتم اني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واني خليفة عثمن بن عفان عليكم واني لم اقم رجلا منكم على خزاية قط واني ولي عثمن وقد قتل مظلوما والله يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا وانا احب ان تعلموني ذات انفسكم في قتل عثمن فقام اهل الشام بأجمعهم فأجابوا الى الطلب بدم عثمن وبايعوه على ذلك واوثقوا له على ان يبذلوا انفسهم واموالهم ويدركوا ثأره ويفني الله ارواحهم فلما جن معوية الليل وكان قد اغتم وعنده اهل بيته قال :

تطاول ليلي واعترتني وساوسي ... لآت اتى بالترهات البسابس

اتانا جرير والحوادث جمة ... بتلك التي فيها اجتداع المعاطس

اكابده والسيف بيني وبينه ... ولست لأثواب الدني بلابس

ان الشام اعطت طاعة يمنية ... تواصفها اشياخها في المجالس

فان يجمعوا اصدم عليا بجبهة ... تغث عليه كل رطب ويابس

واني لارجو خير ما انا نائل ... وما انا من ملك العراق بآيس

واستحثه جرير بالبيعة فقال ياجرير انها ليست بخلسة وانه امر له

فابلعني ريقي حتى انظـر .

طلب معوية عمرو بن العاص

ودعا ثقاته فقال له عتبة بن أبي سفيان وكان نظيره استعن على هـذا الامر بعمرو بن العاص واثمن له بدينه فانه من قد عرفت وقد اعتزل امر عثمن في حياته وهو لامرك اشد اعتزالا الا ان يرى فرصة فكتب معوية الى عمرو وهو بفلسطين كان ذهب اليها لما حوصر عثمن وكان له منـزل بها : اما بعد فانه كان من امر علي وطلحة والزبير ماقد بلغك وقد سقط الينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبدالله في بيعة علي وقد حبست نفسي عليـك حتى تأتيني اقبل اذاكـرك امرا فاستشار عمرو ابنيه عبدالله ومحمدا فقال عبدالله قتل عثمان وانت عنـه غائب فقر في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا نريد ان تكون حاشيـة لمعوية على دنيا قليلة اوشك ان تهلك فتشقى فيها وقال محمد انك شيـخ قريش وصاحب امرها وان تصرم هذا الامر وانت فيه خامل تصاغر امرك فالحق بجماعه اهل الشام فكن يدا من ايديها واطلب بدم عثمان فقـال عمرو اما انت ياعبدالله فأمرتني بما هو خير لي في ديني واما انت يامحمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وانا ناظر فيه فلما جنه الليل رفع صوته واهله ينظرون اليه فقال :

تطـاول ليلي للهموم الطوارق ... وحولي التـي تجلو وجوه العواتق
وان ابن هنـد سائلي ان ازوره ... وتلك التي فيهـا بنـات البوائق
اتاه جرير مـن علـي بخطة ... امرت عليـه العيش ذات مضايـق
فان نـال مني مايؤمـل رده ... وان لم ينله ذل ذل المطـابق
فوالله ما ادري وما كنت هكذا ... اكون ومهمـا قادني فهو سائقي
اخـادعه ان الخـداع دنيـة ... ام اعطية من نفسي نصيحـة وامق
أو اقعد في بيتي وفي ذاك راحة ... لشيخ يخاف الموت فيكـل شـارق
وقـد قال عبـدالله قولا تعلقت ... به النفس ان لـم تعتلقني عوائقي

وخالفه فيه اخوه محمد   واني لصلب العود عند الحقائق

فقال عبدالله ترحل الشيخ ودعا عمروغلاما له يقال له وردان وكان داهيا ماردا فقال ارحل يا وردان ثم قال حط يا واردن فقال له وردان خلطت أبا عبدالله اما انك ان شست انبأتك في نفسك قال هات ويحك قال اعتركت الدنيا والاخرة على قلبك فقلت علي معه الآخرة في غيردنيا وفي الاخرة عوض من الدنيا ومعوية معه الدنيا بغير اخرة وليس في الدنيا عوض من الاخرة فأنت واقفت بينهما قال والله ما اخطأت فما ترى ياوردان قال ارى ان تقيم في بيتك فان ظهر اهل الدين عشت عفو دينهم وان ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك قال الان لما شهدت العرب مسيري الى معوية فارتحل وهو يقول :

يا قاتل الله وردانا وقرحته	ابدى لعمرك مافي النفس وردان
اما علي فدين ليس يشركه	دنيا وذاك له دنيا وسلطان
فاخترت من طمعي دينا على بصر	وما معي بالذي اختار برهان
لكن نفسي تحب العيش في شرف	وليس يرضى بذل العيش انسان

فسار حتى قدم على معوية وعرف حاجة معوية اليه فباعده وكايد كل واحد منهما صاحبه فلما دخل عليه قال أبا عبدالله طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة اخبار ليس فيها ورد ولا صدر قال وما ذاك قال ذاك ان محمد ابن أبي حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو واصحابه وهو من آفات هذا الدين ومنها ان قيصر زحف بجماعة الروم الي ليغلب على الشام ومنها ان عليا نزل الكوفة متهيأ للمسير الينا قال ليس كل ماذكرت عظيما اما ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في اشباهه ان تبعث اليه خيلا تقتله أو تأتيك به وان فاتك لا يضرك واما قيصر فاهد له من وصفاء الروم ووصائفها وآتية الذهب والفضة وسله الموادعة فانه اليها سريع واما علي

فلا والله يا معوية ماتسوي العرب بينك وبينه في شيء مـن الاشياء وان له في الحرب لحظا ما هو لاحـد من قريش وانه لصاحب ماهو فيـه الا ان تظلمـه .

وقال معويـة لعمرو يا أبا عبدالله اني أدعوك الى جهاد هذا الرجـل الذي عصى ربه وقتل الخليفة واظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم قال عمرو الى من قال الى جهاد علي فقال عمرو والله يامعوية ما انت وعلـي بعكمي بعير مالك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه والله ان له مع ذلك حدا وحدودا وحظا وحظوة وبـلاء من الله حسنا فما تجعل لي ان شايعتك على خربه وانت تعلـم مافيه من الغـرر والخطر قال حكمك قال مصر طعمة فتلكأ عليه معوية (وفي رواية) قـال له معوية اني اكره لك ان يتحدث العرب عنك انك انما دخلت في هـذا الامر لعرض الدنيا قال دعني عنك قال معوية اني لو شئت ان امنيـك واخدعك لفعلت قال عمرو لا لعمر الله ما مثلي يخدع لانا اكيس من ذلك قال له معوية ادن مني برأسك اسارك فدنا منه عمرو يساره فعض معويـة اذنه وقال هذه خدعة هل ترى في بيتي احدا غيري وغيرك فانشأ عمـرو يقـول :

معاوي لا اعطيك ديني ولم انـل	بذلك دنيا فانظرن كيف تصنـع
فان تعطني مصرا فاربح بصفقـه	اخـذت بها شيخا يضر وينفـع
وما الدين والدنيـا سواء وانـني	لآخـذ ما تعطي ورأسي مقنـع
واعطيك امرا فيـه للملـك قوة	واني به ان زلت النعل اضـرع

قال يا أبا عبدالله الم تعلم ان مصر مثل العراق قل بلى ولكنها انماتكون لي اذا كانت لكوانما تكون لك اذا غلبت عديا على العراق وقد كان اهلها

بعثوا بطاعتهم الى علي ودخل عتبة بن أبي سفيان فقال اما ترضى ان تشتري عمرا بمصر ان هي صفت لك فليتك لاتغلب على الشام فقال معوية يا عتبة بت عندنا الليلة فلما جن الليل على عتبة رفع صوته ليسمع معوية وقال من ابيات :

اعط عمرا ان عمرا تارك — دينه اليوم لدنيا لم تحز
اعطه مصرا وزده مثلها — انما مصر لمن عز وبز
ان مصرا لعلي أو لنا — يغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معوية قوله ارسل الى عمرو واعطاه مصر فقال عمرو لي الله عليك بذلك شاهد قال نعم لك الله علي بذلك ان فتح الله علينا الكوفة فقال عمرو والله على ما نقول وكيل فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه ماصنعت قال اعطانا مصر طعمة قالا وما مصر في ملك العرب قال لا اشبع الله بطونكما ان لم تشبعكما وكتب معوية له بمصر كتابا وكتب على ان لا ينقض شرط طاعة فكتب عمرو على ان لاينقض طاعة شرطا فكايد كل واحد منهما صاحبه ذكر هذا اللفظ ابو العباس محمد بن يزيد المبرد في الكامل وتفسيره ان قول معوية على ان لا ينقض شرط طاعة اي ان الاخلال بما شرط لاينقض طاعة عمرو له فعليه ان يطيعه ولو اخل بالشرط وقول عمرو على ان لاينقض طاعة شرطا أي ان الاخلال بالطاعة لاينقض هذا الشرط فعليه ان يفي بما شرط ولو اخل عمرو بالطاعة وكان مع عمرو ابن عم له فتى شاب وكان داهيا حليما فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا عجب الفتى وقال الا تخبرني ياعمرو باي رأي تعيش في قريش اعطيت دينك ومنيت دنيا غيرك اترى اهل مصر وهم قتلة عثمن يدفعونها الى معوية وعلي حي وتراها ان صارت الى معوية لا يأخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب فقال عمرو يا ابن الاخ ان الامر لله دون علي ومعوية

فقال الفتى في ذلك شعرا :

الا يا هند اخت بني زيـاد — دهي عمرو بداهية البـلاد
له خدع يحار العقل فيهـا — مزخرفـة صوئـد للفؤاد
تشرط في الكتاب عليه حرفا — ينـاديه بخدعتـه المنـادي
واثبت مثله عمـرو عليـه — كلا المرئين حية بطـن وادي
الا ياعمرو ما احرزت مصرا — وما ملت الغداة الى الرشـاد
وبعت الدين بالدنيا خسارا — فانت بذاك من شر العبـاد
فلو كنت الغداة أخذت مصرا — ولكن دونها خرط القتـاد
وفدت الى معوية بن حرب — فكنت بها كوافـد قوم عـاد
واعطيت الذي اعطيت منه — بطرس فيه نضح مـن مـداد
الم تعرف أبا حسـن عليا — وما نالت يداه مـن الاعادي
عدلت به معوية بن حـرب — فيا بعد البياض مـن السواد
ويابعد الاصابع من سهيل — ويابعد الصلاح مـن الفساد
اتأمن ان تراه على خدب — يحث الخيل بالأسل الحـداد
ينادي بالنزال وانت منـه — بعيد فانظرن من ذا تعـادي

فقـال عمرو يا ابن أخي لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكن الآن مع معوية فقال له الفتى انك ان لم ترد معوية لم يردك ولكنك تريد دنياه ويريد دينك وبلغ معوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلي فحدثه بامر عمرو ومعوية فسره ذلك وقربـه • وغضب مـروان وقال مـا بالي لا اشتري كما اشتري عمرو فقال معوية انما تبتاع الرجال لك وقال معوية لعمرو ما ترى قال امض الرأي الاول فبعث مالك ابن هبيرة الكندي في طلب ابن أبي حذيفة فادركه فقتله وبعث الى قيصر بالهدايا فوادعه ثم قال ما ترى في علي قال ان رأس اهل الشام شرحبيل بن السمط بن جبلة الكندي هو عدو لجرير المرسل اليك فارسل اليه ووطن له ثقاتك فليفشوا في الناس ان عليا قتـل عثمن وليكونوا اهـل الرضا عنـد شرحبيل فانها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب وان تعلق بقلبه لم

يخرجها شيء ابدا فكتب اليه ان جرير ابن عبدالله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بامر فظيع فاقدم ودعا جماعة هم رؤساء قحطان واليمن وثقات معوية وخاصته وبنو عم شرحبيل وامرهم ان يلقوه ويخبروه ان عليا قتل عثمان فلما قدم عليه كتاب معوية وهو بحمص استشار اهل اليمن فاختلفوا عليه فقام اليه عبد الرحمن بن غنم الازدي وكان أفقه اهل الشام فقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم انه قد القي الينا قتل عثمان وان عليا قتله فان يك قتله فقد بايعه المهاجرون والانصار وهم الحكام على الناس وان لم يكن قتله فعلام تصدق معوية عليه لا تهلك نفسك وقومك فان كرهت ان يذهب بحظها جرير فسر الى علي فبايعه على شامك وقومك فابى شرحبيل الا ان يسير الى معوية فبحث اليه عياض اليماني وكان ناسكا بهذه الابيات :

ايا شرح يا ابن السمط انك بالغ	بود علي ما تريد من الامر
ويا شرح ان الشام شامك ما بها	سواك فدع قول المضلل من فهر
فان ابن حرب ناصب لك خدعة	تكون علينا مثل راغية البكر
فان نال ما يرجو بنا ملكنا	هنيئا له والحرب قاصمة الظهر
وان عليا خير من وطيء الحصى	من الهاشميين المداريك الوتر
له في رقاب الناس عهد وذمة	كعهد ابي حفص وعهد أبي بكر
فبايع ولا ترجع على العقب كافرا	اعيذك بالله العزيز من الكفر
ولا تسمعن قول الطغام فانما	يريدون ان يلقوك في لجة البحر
وماذا عليهم ان تطاعن دونهم	عليا باطراف المثقفة السمر
فان غلبوا كانوا علينا أئمة	وكنا بحمد الله من ولد الطهر
وان غلبوا لم يصل بالحرب غيرنا	وكان علي حربنا آخر الدهر
يهون على عليا لؤي بن غالب	دماء بني قحطان في ملكهم تجري
فدع عنك عثمان بن عفان اننا	لك الخير لا ندري وانك لا تدري
على اي حال كان مصرع جنبه	فلا تسمعن قول الاعيور أو عمرو

فلما قدم شرحبيل على معوية تلقاه الناس فاعظموه ودخل على معوية

فقال معوية ان جرير بن عبد الله يدعونا الى بيعة علي وعلي خير الناس لولا انه قتل عثمان بن عفان وحبست نفسي عليك وانما أنا رجل من اهل الشام ارضيّ ما رضوا واكره ما كرهوا فقال شرحبيل اخرج فانظر فخرج فلقيه هؤلاء النفر الموطئون له فكلهم يخبره بان عليا قتل عثمان فرجع الى معوية مغضبا فقال يا معوية ابى الناس الا ان عليا قتل عثمان ووالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك قال معوية ما كنت لاخالف عليكم ما انا الا رجل من أهل الشام قال فرد هذا الرجل الى صاحبه اذن فعرف معوية ان شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وان الشام كله مع شرحبيل فخرج شرحبيل فقال لحصين بن نمير ابعث الى جرير فبعث اليه فاجتمعا عنده فقال شرحبيل يا جرير اتيتنا بامر ملفف لتلقينا في لهوات الاسد واردت ان تخلط الشام بالعراق واطريت عليا وهو قاتل عثمن والله سائلك عما قلت يوم القيامة فقال جرير اما قولك اني جئت بامر ملفف فكيف يكون امرا ملففا وقد اجتمع عليه المهاجرون والانصار وقوتل على رده طلحة والزبير واما قولك اني القيتك في لهوات الاسد ففي لهواته القيت نفسك واما خلط العراق بالشام فخلطها بها على حق خير من فرقتها على باطل واما قولك ان عليا قتل عثمان فوالله ما في يديك من ذلك الا القذف بالغيب من مكان بعيد ولكنك ملت الى الدنيا وشيء كان في نفسك علي زمن سعد بن أبي وقاص فبلغ معوية قول الرجلين فبعث الى جرير فزجره وكتب جرير الى شرحبيل :

شرحبيل يا إبن السمط لا تتبع الهوى	فمالك في الدنيا من الدين من بدل
وقل لابن حرب مالك اليوم حرمة	تروم بها ما رمت فاقطع له الامل
شرحبيل ان الحق قد جد جده	وانك مأمون الاديم من النغل
وارود ولا تفرط بشيء تخافه	عليك ولا تعجل فلا خير في العجل
ولانك كالمجري الى شر غاية	فقد خرق السربال واستنوق الجمل

وقال ابن هند في علي عضيهة(٢) ... ولله في صدر ابن أبي طالب اجل
وما لعلي في ابن عفان سقطة ... بامر ولا جلب عليه ولا قتل
وما كان الا لازما قعر بيته ... الى ان اتى عثمن في بيته الاجل
فمن قال قولا غير هذا فحسبه ... من الزور و البهتان بعض الذي احتمل
وصي رسول الله من دون اهله ... وفارسه الاولى به يضرب المثل

فلما قرأ شرحبيل الكتاب ذعر وفكر وقال هذه نصيحة لي في ديني ودنياي لا والله لا اعجل في هذا الامر بشيء فلفف له معوية الرجال يدخلون اليه ويخرجون ويعظمون عنده قتل عثمان ويرمون به عليا ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلقة حتى اعادوا رأيه وشحذوا عزمه وبلغ ذلك قومه فبعث اليه ابن اخت له من بارق كان يرى رأي علي بن أبي طالب فبايعه وكان ممن لحق به من اهل الشام وكان ناسكا فقال :

لعمر ابي الاشقى ابن هند لقد رمى ... شرحبيل بالسهم الذي هو قاتله
ولفف قوما يسحبون ذيولهم ... جميعا واولى الناس بالذنب فاعله
فالقى يمانيا ضعيفا نخاعه ... الى كل ما يهوون تحدى رواحله
وقالوا علي في ابن عفان خدعة ... ودبت اليه بالشنان غوائله
ولا والذي ارسي ثبير امكانه ... لقد كف عنه كفه ووسائله
وما كان الا من صحاب محمد ... وكلهم تغلي عليه مراجله

فقال شرحبيل هذا بعيث الشيطان الآن امتحن الله قلبي والله لاسيرن الى صاحب هذا الشعر او ليفوتني فهرب الفتى الى الكوفة وكان اصله منها وكاد اهل الشام ان يرتابوا • وبعث معوية الى شرحبيل انه قد كان من اجابتك الحق وما وقع فيه اجرك على الله وقبله عنك صلحاء الناس ما علمت وان هذا الامر الذي قد عرفته لا يتم الا برضا العامة فسر في مدائن الشام وناد فيهم بان عليا قتل عثمان وانه يجب على المسلمين ان يطلبوا بدمه فسار فبدأ اهل حمص فقام فيهم خطيبا وكان مأمونا في اهل الشام ناسكا متالها فقال ايها الناس ان عليا قتل عثمان وقد غضب له قوم

فقتلهم وغلب على الارض فلم يبق الا الشام وهو واضع سيفه على عاتقه ثم خائض به غمار الموت حتى يأتيكم او يحدث الله امرا ولا نجد احدا اقوى على قتاله من معوية فجدوا فأجابه الناس الانساك من اهل حمص فانهم قالوا بيوتنا قبورنا ومساجدنا وانت اعلم بما ترى وجعل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها لا يأتي على قوم الا قبلوا ما اتاهم به فبعث اليه النجاشي ابن الحارث وكان صديقا له :

شرحبيل ما للدين فرقت امرنا	ولكن لبغض المالكي جريــــر
وشحناء دبت بين سعــد وبينه	فاصبحت كالحادي بغير بعــير
انفصل امرا غبت عنه بشبهــة	وقد حار فيها عقل كـــل بصــير
بقول رجال لم يكونوا أئمــة	ولا التــي لقوكهـــا بحضــور
وما قول قوم غائبين تقاذفــوا	من الغيب ما دلاهـــم بغرور
وتترك ان الناس اعطوا عهودهم	عليــا علــى انس به وسرور
اذا قيل هاتوا واحدا تقتدونــه	نظيرا له لـــم يفصحوا بنظــير
لعلك ان تشقى الغداة بحربــة	شرحبيل ما مـــا جئته بصغــير

(وروى) نصر بن مزاحم بسنده عن الشعبي ان شرحبيل دخل على معوية فقال انت عامل أمير المؤمنين وابن عمه ونحن المؤمنون فان كنت رجلا تجاهد عليا وقتلة عثمن حتى تدرك ثأرنا او تفني ارواحنا استعملناك علينا والا عزلناك واستعملنا غيرك ممن نريد ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم عثمان او نهلك فقال جرير يا شرحبيل مهلا فان الله قد حقن الدمــاء ولم الشعث وجمع امر الامة ودنا من هذه الامة سكون فاياك ان تفسد بين الناس وامسك عن هذا القول قبل ان يظهر منك قول لا تستطيع رده قال لا والله لاسره ابدا ثم قام فتكلم فقال الناس صدق صدق القول ما قال والرأي ما رأى فأيس جرير عند ذلك من معوية ومن عوام اهــل الشام . وكان معوية اتى جريرا في منزله فقال اني رأيت رأيا قال هاته قال اكتب الى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية فاذا حضرته الوفاة لم يجعل لاحد بعده بيعة في عنقي واسلم له هذا الامر واكتب اليه بالخلافة

فقال جرير اكتب بما اردت واكتب معك فكتب معوية بذلـك الى علي. فكتب علي الى جرير اما بعد فانما اراد معوية ان لا يكون لي في عنقه بيعة وان يختارمن امره ما احب واراد ان يريثك حتى يذوق اهل الشام وان المغيرة بن شعبة قد كان اشار علي ان استعمل معوية على الشام وانا بالمدينة فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله ليراني اتخذ المضلين عضدا فـان بايعك الرجل والا فأقبل وفشا كتاب معوية في العرب فبعث اليه الوليد بن عقبـــة :

معاوي ان الشام شامك فاعتصم ... بشامك لا تدخل عليك الافاعيـا
وحـام عليها بالقنابـل والقنا ... ولا بك محشوش الذراعين وانيـا
وان عليا ناظرا مـا تجيبـه ... فهد له حربا يشيب النواصيـا
والا فسلم ان في السلم راحـة ... لمن لا يريد الحرب فاختر معاويـا
وان كتابا يـا ابن حرب كتبته ... على طمع يزجي اليك الدواهيـا
سألت عليا فيه مـا لن تناله ... ولو نلته لم يبق الا لياليـا
وسوف ترى منه الذي ليس بعده ... بقاء فلا تكثر عليك الامانيـا
امثـل علي تعتريه بخدعـة ... وقد كان ما جربت من قبل كافيـا
ولو نشبت اظفاره فيـك مرة ... حذاك ابن هند منه ما كنت حاذيا

وابطأ جرير عند معوية حتى اتهمه الناس وقـال علي وقت لرسولي وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا أو عاصيا وابطأ على علي حتى ايس منـه فكتب اليه اما بعد فاذا أتاك كتابي هذا فاحمل معوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم محظية فان اختار الحرب فانبذ له وان اختار السلم فخذ بيعته فاقرأ معوية الكتاب وقال يا معوية لا اظن قلبك الا مطبوعا اراك قد وقفت بين الحق والباطل فقال معوية القاك بالفيصل اول مجلس انشاء الله فلما بايع معوية اهل الشام وذاقهم قال يا جرير الحق بصاحبك وكتب اليه بالحرب • قال المبرد في الكامل وكتب اليه مع جرير جواب كتابه المتقدم من معوية ابن صخر الى علي بن أبي طالب اما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت بريء من دم

عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ولكنـك اغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فاطاعك الجاهل وقوي بك الضيف وقد ابى اهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ليس حججك علي كحججك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم ابايعك وما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة اطاعوك ولم يطعك أهل الشام فاما شرفك في الاسلام وقرابتك من النبي (ص) وموضعك من قريش فلست ادفعه وكتب في اسفل الكتاب ابيات كعب ابن جعيل :

ارى الشام تكره ملك العراق	واهل العراق لهم كارهونا
وقالوا علي امام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وما في علي لمستعتب	مقال سوى ضمه المحدثينا
وايثاره اليوم اهل الذنوب	ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سيل عنه حدا شبهة	وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط	ولا في النهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سره	ولا بد من بعض ذا ان يونا

قال المبرد في الكامل فأجابه علي عليه السلام عن كتابه هذا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الى معاوية بن صخر بن حرب اما بعد فانه اتاني منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فاجابه وقاده الضلال فاتبعه زعمت انما افسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين اوردت كما اوردوا واصدرت كما اصدروا وما كان الله ليجمعهم على الضلال ولا يضربهم بالعمى وبعد فما انت وعثمان انما انت رجل من بني امية وبنو عثمان اولى بذلك منك فان زعمت انك اقوى على دم ابيهم منهم فادخل في طاعتي ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على المحجة واما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير واهل الشام واهل البصرة فلعمري ما الامر فيما هناك الا سواء لانها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر واما شرفي في الاسلام

وقرابتي من رسول الله (ص) وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته . وفي هذا الجواب ما يقطع معاذير اهل الجمل وغيرهم التي كانوا يظهرون التشبث بها وقلوبهم منطوية على خلافها فانهم ليس لهم المطالبة بدم عثمن مع وجود اولاده الذينهم اولياء الدم فعليهم اولا ان يبايعوا ويقدموا الطاعة ثم يحاكموا قتلة عثمان والمتهمين بقتله فما يوحيه الشرع يجري عليهم على ان المباشر لقتله واحد أو اثنان ولكن هوى النفس ورقة الدين والعداوة يبعثان على اختلاق المعاذير وامر علي النجاشي فأجاب عن الشعر فقال :

دعن يا معاوي مالن يكونا — فقد حقق الله ما تحذرونا
اتاكم علي باهل الحجاز — واهل العراق فما تصنعونا
يرون الطعان خلال العجاج — وضرب الفوارس في النقع دينا
هم هزموا الجمع يوم الزبير — وطلحة والمعشر الناكثينا
وقالوا يمينا على حلفة — لنهدي الى الشام حربا زبونا
تشيب النواصي قبل المشيب — وتلقي الحوامل منها الجنينا
فقل المضلل من وائل — ومن جعل الغث يوما سمينا
جعلتم عليا واتباعه — نظير ابن هند الا تستحونا
الى اول الناس بعد الرسول — وصنو الرسول من العالمينا
وصهر الرسول ومن مثله — اذا كان يوم يشيب القرونا

واجتمع جرير والاشتر عند علي عليه السلام فقال الاشتر اما والله يا أمير المؤمنين لو كنت ارسلتني الى معوية لكنت خيرا لك من هذا الذي ارخى من خناقه واقام حتى لم يدع بابا يرجو روحه الا فتحه او يخاف غمه الا سده فقال جرير والله لو اتيتهم لقتلوك وخوفه بعمرو وذي الكلاع وحوشب ذي ظليم وقد زعموا انك من قتلة عثمان فقال الاشتر لو اتيته لم يعيني جوابها ولم يثقل علي ولحملت معوية على خطة اعجله فيها عن الفكر قال فأتهم اذن قال الآن وقد افسدتهم ووقع بينهما الشر (وفي رواية)ان الاشتر قال اليس قد نهيتك يا امير المؤمنين ان تبعث جريرا

واخبرتك بعداوته وغشه واقبل الاشتر يقول يا اخا بجيلة والله ما انت باهل ان تمشي فوق الارض حيا انما اتيتهم لتتخذ عندهم يدا بمسيرك اليهم ثم رجعت الينا تهددنا بهم وانت والله منهم ولا ارى سعيك الا لهم ولئن اطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسنك واشباهك في محبس لا تخرجون منه حتى تستبين هذه الامور ويهلك الله الظالمين قال جرير وددت والله انك كنت مكاني بعثت اذا والله لم ترجع فلما سمع جرير ذلك لحق بقرقيا ولحق به اناس من قسر من قومه فخرج علي الى دار جرير فهدم منها وحرق مجلسه فقيل له ان فيها ارضا لغير جرير فخرج منها واحرق دار ثوير بن عامر وهدم منها وكان قد لحق بجرير •

ولما اراد معوية المسير الى صفين قال لعمرو بن العاص اني رأيت ان نلقي الى اهل مكة واهل المدينة كتابا نذكر لهم فيه امر عثمان فاما ان ندرك حاجتنا واما ان يكف القوم عنا فقال عمرو انما نكتب الى ثلاثة نفر راض بعلي فلا يزيده ذلك الا بصيرة ورجل يهوى عثمان فلن نزيده على ما هو عليه ورجل معتزل فلست باوثق في نفسه من علي قال على ذلك فكتبا فأجابهما عبدالله بن عمر ما انتما والخلافة اما انت يا معوية فطليق واما انت يا عمرو فظنون الا فكفا فليس لكما ولي ولا نصير وكتب معوية الى عبد الله بن عمر خاصة والى سعد بن ابي وقاص والى محمد بن مسلمة فكان في كتابه الى ابن عمر اما بعد فانه لم يكن احد من قريش احب الي ان تجتمع عليه الامة بعد قتل عثمان منك ثم ذكرت خذلك اياه وطعنك على انصاره فتغيرت لك وقد هون ذلك علي خلافك على علي فاعنا رحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فاني لست اريد الامارة عليك ولكني اريدها لك فان ابيت كانت شورى بين المسلمين فأجابه ابن عمر بانه لن يترك عليا في المهاجرين والانصار وطلحة والزبير وعائشة ام المؤمنين ويتبعه • وكتب الى سعد اما بعد فان احق الناس بنصر عثمان اهل الشورى من قريش الذين اثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكان في الامر ونظيراك في الاسلام وخفت لذلك

ام المؤمنين فلا تكرهن ما رضوا ولا تردن ما قبلوا فانا نردها شورى بين المسلمين • وقال ابياتا اولها :

الا يا سعد قد اظهرت شكـــا وشك المرء فـي الاحــداث داء
فامـــا اذ ابيت فليس بيني وبينك حرمة ذهب الرجـــاء
سوى قولي اذا اجتمعت قريش على سعــد من الله العفـــاء

فأجابه سعد اما بعد فان عمر لم يدخل في الشورى الا من تحل لـــه الخلافة من قريش غير ان عليا قد كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه فاما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيرا لهما والله يغفر لام المؤمنين ما اتت واجابه عن شعره بابيات اولها :

معاوي داؤك الداء العيــاء فليس لمـــا تجيء بـه دواء
فمـا الدنيـا بباقيـة لحي ولا حي لـه فيها بقـــاء
اتطمع في الذي اعيا عليـا على ماقد طمعت بـــه العفاء
ليـوم منــه خير منك حيا وميتـا انت المرء الفـــداء

وكتب معوية الى أمير المؤمنين عليه السلام كتابا نذكره مع جوابـه عبرة لمن نظر واعتبر ليعلم انه كيف يصف الطائي بالبخل ما در ويعير قسا بالفهاهة باقل ويقول السهى الشمس انت ضئيلة ويقول الدجى للصبح لونك حائل وتفاخر الارض السماء وتطاول الشهب الحصى والجنـادل وانه لا يستبعد وقوع شيء في هـذا الكون مـن بني البشر وان ابن آدم يمكنه ان يحتج على الليل بانه نهار وعلى النهار بانه ليل وعلى ان العلقم احلى من العسل ويقبل ذلك منه ويجد له عليه اعوانا قال ابن أبي الحديد : كتب معوية : من عبد الله معوية بن أبي سفيان الى علي ابن أبي طالب اما بعد فان الله تعالى يقول في محكم كتابه ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك واني احذرك الله ان تحبط عملك وسابقتك بشق عصي هذه الامة وتفريق جماعتها فاتق الله واذكر موقف القيامة واقلع عما اسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين واني سمعت رسول الله (ص) يقول لو تمالا اهل صنعاء وعدن على قتل رجل

واحد من المسلمين لاكبهم الله على مناخرهم في النار فكيف يكون حال من
قتل اعلام المسلمين وسادات المهاجرين بله ما طحنت رحى حربه من اهل
القرآن وذوي العبادة والايمان من شيخ كبير وشـــاب غرير كلهم بالله
مؤمن وبرسوله مقر فان كنت أبا حسن انما تحارب على الامرة والخلافة
فلعمري لو صحت خلافتك لكنت قريبا من ان تعذر في حرب المسلمين
ولكنها ما صحت لك واني نصحتها واهل الشام لم يدخلوا فيها وخف
الله وسطواته واغمد سيفك عن الناس فقد والله اكلتهم الحرب فلم يبق
منهم الا كالثمد في قرارة الغدير والله المستعان • فكتب اليه أمير المؤمنين
عليه السلام وبعضه مذكور في نهج البلاغة : من عبدالله علي أمير المؤمنين
الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فقد اتتني منك موعظة موصلة ورسالة
محبرة نمقتها بضلالك وامضيتها بسوء رأيك وكتاب امريء ليس لـــه
بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فاجابه وقاده للضلال فاتبعه فهجر
لاغطا وضل خابطا فما امرك لي بالتقوى فارجو ان تكون من اهلهـــا
واستعيذ بالله من ان اكون من الذين اذا امروا بها اخذتهم العزة بالاثم
واما تحذيرك اياي ان يحبط عملي وسابقتي في الاسلام فلعمري لو كنت
الباغي عليك لكان لك ان تحذرني ذلك ولكني وجدت الله يقول فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فنظرنا الى الفئتين فاما الفئة الباغيـة
فوجدناها الفئة التي انت فيها لان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام كما
لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وانت امير لعمر على الشام واما شق عصي هذه
الامة فانا احق ان انهاك عنه واما تخويفك لي من قتل اهل البغي فان رسول
الله (ص) امرني بقتالهم وقتلهم وقال لاصحابه ان فيكم من يقاتل على
تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله واشار الي وانا اولى من اتبع امره
واما قولك ان بيعتي لم تصح لان اهل الشام لم يدخلوا فيها كيف وانما
هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب لا يثني فيها النظر ولا يستانف فيها
الخيار الخارج منها طاعن والموري فيها مداهن فاربع على ظلعك وانزع
سربال غيك واترك مالا جدوى له عليك فليس لك عندي الا السيف حتى

تفيء الى امر الله صاغرا وتدخل في البيعة راغما قال نصر بن مزاحم :
وكتب أمير المؤمنين عليه السلام الى معوية : من عبد الله علي أمير المؤمنين الى معوية بن أبي سفيان سلام على من اتبع الهدى (الى ان قال) واعلم يا معوية انك قد ادعيت امرا لست من اهله ولست تقول فيه بامر بين ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ومتى كنتم يا معوية ساسة الرعية أو ولاة لامر هذه الامة بغير قدم حسن ولا شرف سابق على قومكم فانك مترف قد اخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدم في العروق. واعلم ان هذا الامر لو كان الى الناس او بايديهم لحسدونا ولا متنوا به علينا ولكنه قضاء ممن امتن به علينا على لسان نبيه الصادق المصدق لا افلح من شك بعد البرهان والبينة . وفي الكلام الاخير دلالة على ان الامامة بالنص لا باختيار الامة فأجابه معوية : اما بعد فدع الحسد فانك طالما لم تنتفع به ولاتفسد سابقة قدمك بشره نخوتك فان الاعمال بخواتيمها ولعمري ما مضى لك من السابقات يشبه ان يكون ممحوقا لما اجترأت عليه من سفك الدماء وخلاف اهل الحق فاقرأ سورة الفلق وتعوذ من شر نفسك فانك الحاسد اذا حسد . ومثل هذا الجواب نذكره عبرة الناظر كالذي مضى قبله .

ولما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معوية بالشام ارسل معوية الى عمرو بن العاص فقال يا عمرو ان الله قد احيا لك عمر ابن الخطاب بالشام بقدوم عبيد الله وقد رأيت ان اقيمه خطيبا فيشهد على علي بقتل عثمان وينال منه فقال الرأي ما رأيت فبعث اليه معوية فأتاه فقال يا ابن اخ ان لك اسم ابيك فانظر بملئي عينيك وتكلم بكل فيك فانت المأمون المصدق فاشتم عليا واشهد عليه انه قتل عثمان فقال اما شتمه فانه علي بن ابي طالب وامه فاطمة بنت اسد ابن هاشم فما عسى ان اقول في حسبه واما باسه فهو الشجاع المطرق واما ايامه فما عرفت ولكني ملزمة دم عثمان فقال عمرو اذا والله قد نكأت القرحة فلما خرج عبيد الله قال معوية اما والله لولا قتله الهرمزان ومخافة علي على نفسه ما اتانا ابدا الم تر الى

تقريظه عليا فقال عمرو يا معوية ان لـــم تغلب فاخلب فخرج حديثه الى عبيد الله فلما قام خطيبا تكلم بحاجته حتى اذا اتى الى امر علي امسك فقال له معوية ابن اخ انك بين عي أو خيانة فبعث اليه كرهت ان اقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان وعرفت ان الناس محتملوهـــا عني فهجره معوية واستخف بحقه وفسقه فقال شعرا يذكر فيه عليا آوى قتلة عثمان وقربهم فلما بلغ معوية شعره بعث اليه فارضاه وقربه وقـــال حسبي هذا منك .

وقام ابو مسلم الخولابي فى ناس من قراء الشام الى معوية فالوا علام تقاتل عليا وليس لك مثل صحبته ولا قرابته ولا سابقته قال لهم ما اقاتل عليا وانا ادعي ان لي في الاسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ولكن الستم تعلمون ان عثمن قتل مظلوما قالوا بلى قال فليدفع الينا قتلته فنقتلهم به ولا قتال بيننا وبينه قالوا فاكتب اليه كتابا يأته به بعضنا فكتب اليه مع ابي مسلم الخولاني : بسم الله الرحمن الرحيم من معوية بن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا الهالاهو اما بعد فان الله اصطفى محمدا بعلمه وجعله الامين على وحيه واجتبى له من المسلمين اعوانا ايده الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام فكان افضلهم الخليفة من بعده وخليفة خليفته والثالث الخليفة المظلوم فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك الهجر وتنفسك الصعداء وابطائك عن الخلفاء تقاد الى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتى تبايع ثم لم تكن لاحد منهم باعظم حسدا منك لابن عمك عثمان فقطعت رحمه والبت الناس عليه فقتل معك في المحلة فاقسم صادقا ان لو قمت فيما كان من امره مقامـــا واحدا تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس احدا واخرى انت بها عند انصار عثمان ظنين ايواؤك قتلة عثمان وقد ذكر لي انك تتنصل من

دمه فان كنت صادقا فامكنا من قتلته نقتلهم به ونحن اسرع اليك والا فليس لك ولاصحابك الا السيف والله الذي لا اله الا هو لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر او لتلحقن ارواحنا بالله والسلام.
فقدم أبو مسلم بهذا الكتاب على علي فقام خطيبا وقال في خطبته ان عثمن قتل مسلما محرما مظلوما فادفع الينا قتلته وانت اميرنا فقال له علي اغد علي غدا فخذ جواب كتابك فجاء من الغد فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه فلبست الشيعة اسلحتها ثم غدوا فملاوا المسجد وأخذوا يناودن كلنا قتلة ابن عفان واذن لابي مسلم فدخل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له ابو مسلم قد رأيت قوما ليس لك معهم امر قال وما ذاك قال بلغهم انك تريد ان تدفع الينا قتلة عثمان فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا انهم كلهم قتلة عثمان فقال علي والله ما اردت ان ادفعهم اليك طرفة عين لقد ضربت هذا الامر انفه وعينه ما رأيت ينبغي لي ان ادفعهم اليك ولا الى غيرك واعطاه جواب كتاب معوية فخرج بالكتاب وهو يقول الان طاب الضراب وكان الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى معوية بن أبي سفيان اما بعد فان اخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمدا (ص) وما انعم الله عليه به يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا اذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى في نبيه محمد (ص) وفينا فكنت في ذلك كجالب التمر الى هجر والداعي مسدده الى النضال وذكرت ان الله ابى له من المسلمين اعوانا فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم الاسلام فلعمر الله اني لارجو اذا اعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام ونصيحتهم لله ورسوله ان يكون نصيبنا في ذلك الاوفران محمدا صلى الله عليه واله وسلم لما دعا الى الايمان بالله والتوحيد كنا اهل البيت أول من آمن به فلبثنا احوالا محرمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح اصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل فمنعونا الميرة وامسكوا عنا العذب واحلسونا الخوف وجعلوا علينا الارصاد والعيون واضطرونا الى

جبل وعر واوقدوا لنا نار الحرب وكتبوا علينا بينهم كتابا لايواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم الا من موسم الى موسم فعزم الله لنا على منعه والذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته والقيام باسيافنا دونه فاما من اسلم من قريش بعد فانهم مما نحن فيه اخلياء فمنهم حليف ممنوع او ذو عشيرة تدافع عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احمر الباس واحجم الناس اقام اهل بيته فاستقدموا فوقى بهم اصحابه حر الاسنة والسيوف فقتل عبيدة يوم بدر وحمزة يوم احد وجعفر يوم مؤتة واراد من لو شئت ذكرت أسمه مثل الذي ارادوا من الشهادة مع النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة الا ان آجالهم عجلت ومنيته اخرت واما ماذكرت من امر عثمان فانه عمل ما بلغك فصنع الناس به ماقد رأيت واما ماذكرت من امر قتلة عثمان فاني نظرت في هذا الامر وضربت انفه وعينيه فلم ار دفعهم اليك ولا الى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك ولا يكلفونك ان تطلبهم في بر ولا بحر ولا جبل ولا سهل •

ولما اراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير الى اهل الشام دعا اليه من كان معه من المهاجرين والانصار قال المسعودي وكان معه من اصحاب بدر سبعة وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وفي بيعة الرضوان تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة الفين وثمانمائة •فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فانكم ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحق مباركو الفعل والامر وقد اردنا المسير الى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم •

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال : اما بعد يا أمير المؤمنين فانا بالقوم جد خبيرهم لك ولاشياعك اعداء وهم لمن يطلب حرث الدنيا اولياء وهم مقاتلوك ومجاهدوك لايبقون جهدا مشاحة على الدنيا وضنا بما في ايديهم منها وليس لهم اربة غيرها

الا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان كذبوا ليس بدمه يثأرون ولكن الدنيا يطلبون فسر بنا اليهم فان اجابوا الى الحق فليس بعد الحق الا الضلال وان ابوا الا الشقاق فذلك الظن بهم والله ما اراهم يبايعون وفهم احد ممن يطاع اذا نهى أو يسمع اذا امر • وقام عمار بن ياسر فذكر الله بما هو اهله وحمده وقال يا أمير المؤمنين ان استطعت ان لا تقيم يوما واحدا فاشخص بنا قبل استعار نار الفجرة واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة وادعهم الى رشدهم وحظهم فان قبلوا سعدوا وان ابوا الا حربنا فوالله ان سفك دمائهم والجد في جهادهم لقربة عند الله وهو كرامه منه • ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين انكمش بنا الى عدونا ولا تعرج فوالله لجهادهم احب الي من جهاد الترك والروم لادهانهم في دين الله واستذلاهم اولياء الله من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان اذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه او حرموه او سيروه وفيئنا لهم في انفسهم حلال ونحن لهم فيما يزعمون قطين قال يعني رقيق فقال اشياخ الانصار منهم خزيمة بن ثابت وابو ايوب الانصاري وغيرهما لم تقدمت اشياخ قومك وبدأتهم ياقيس بالكلام فقال اما اني عارف بفضلكم معظم لشأنكم ولكني وجدت في نفسي الضغن الذي جاش في صدوركم حين ذكرت الاحزاب فقال بعضهم لبعض ليقم رجل منكم فليجب امير المؤمنين عن جماعتكم فقالوا قم يا سهل بن جنيف فقام سهل فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا امير المؤمنين نحن سلم لمن سلمت وحرب لمن حاربت ورأينا رأيك ونحن كف يمينك وقد رأينا ان تقوم بهذا الامر في اهل الكوفة فتأمرهم بالشخوص وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك من الفضل فانهم هم اهل البلد وهم الناس فان استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب واما نحن فليس عليك منا خلاف متى دعوتنا اجبناك ومتى دعوتنا اجبناك ومتى امرتنا اطعناك فجمع امير المؤمنين عليه السلام اهل الكوفة وحرضهم وامرهم بالمسير الى صفين لقتال اهل الشام فحمد الله

واثنى عليه ثم قال : سيروا الى اعداء السنن والقرآن سيروا الى بقية الاحزاب وقتلة المهاجرين والانصار فقام رجل من بني فزارة اسمه اربد فقال اتريد : ان تسيرنا الى اخواننا من اهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا الى اخواننا من اهل البصرة فقتلناهم كلا لاها لله اذا لا نفعل ذلك فقام الاشتر فقال من لهذا ايها الناس وهرب الفزاري واشتد الناس على اثره فلحق في مكان من السوق تباع فيه البراذين فوطؤه بارجلهم وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتى قتل فقيل يا اميرالمؤمنين قتل الرجل قال ومن قتله قالوا همدان وفيهم شوبة من الناس فقال قتيل عمية لايدري من قتله ديته من بيت مال المسلمين فقال علاقة التيمي .

اعوذ بربي ان تكون منيتي — كما مات في سوق البراذين اربد
تعاوره همدان خفق نعالهم — اذا رفعت عنه يد وضعت يد

وقام الاشتر فقال يا امير المؤمنين لايهلك ماسمعت من مقالة هذا الشقي الخائن ان جميع من ترى من الناس شيعتك وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبون بقاء ابعدك فان شئت فسر بنا الى عدوك. والله ماينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه وما يعيش بالآمال الا شقي وانا لعلى بينة من ربنا ان نفسا لن تموت حتى يأتي اجلها فكيف لا نقاتل قوما هم كما وصف أمير المؤمنين وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين فاسخطوا الله واظلمت باعمالهم الارض وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير فقال علي عليه السلام الطريق مشترك الناس في الحق سواء ومن اجهد رأيه في نصيحة العامة فله ما نوى وقد قضى ماعليه. وقام عدي بن حاتم الطائي فقال يا أمير المؤمنين ماقلت الا بعلم ولا دعوت الا الى حق ولا امرت الا برشد ثم اشار بالتاني والكتابة الى اهل الشام وقام زيد بن حصين الطائي وكان من اصحاب البرانس المجتهدين فقال والله لئن كنا في شك من قتال من خالفنا لا يصلح لنا النية في قتالهم حتى نستأنيهم ما الاعمال الا في تباب ولا السعي الا في ضلال والله ما ارتبنا طرفة عين فيمن يبتغون دمه فكيف باتباعه القاسية قلوبهم القليل

في الاسلام حظهم اعوان الظلم ومسددي اساس الجور والعدوان ليسوا من المهاجرين ولا الانصار ولا التابعين باحسان ثم قام رجل من طيء فقال يا زيد اكلام سيدنا عدي بن حاتم تهجن فقال ما انت باعرف بحق عدي مني ولكن لا ادع القول بالحق وان سخط الناس فقال عدي الطريق مشترك والناس في الحق سواء فمن اجتهد رأيه في نصيحة العامة فقد قضى الذي عليه ثم قام عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال يا أمير المؤمنين ان القوم لو كانوا الله يريدون او لله يعملون ماخالفونا ولكن القوم انما يقاتلون فرارا من الاسوة وحبا للاثرة وضنا بسلطانهم وكرها لفراق دنياهم التي في ايديهم وعلى احن في انفسهم وعداوة يجدونها في صدورهم لوقائع اوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة قتلت فيها آباءهم واخوانهم ثم التفت الى الناس فقال فكيف يبايع معوية عليا وقد قتل اخاه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة في موقف واحد والله ما اظن ان يفعلوا ولن يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهم المران وتقطع على هامهم السيوف وتنثر حواجبهم بعمد الحديد وتكون امور جمة بين الفريقين . وقال له عمرو بن الحمق اني والله يا أميرَ المؤمنين ما احببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ولا ارادة مال تؤتينيه ولا التماس سلطان يرفع ذكري به ولكن احببتك لخصال خمس انك بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من آمن به وزوج سيدة نساء الامة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وابو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واعظم رجل من المهاجرين سهما في الجهاد فلو اني كلفت نقل الجبال الرواسي أو نزح البحور الطوامي حتى يأتي علي يومي في امر اقوي به وليك وارهن به عدوك ما رأيت اني قد اديت فيه كل الذي يحق علي من حقك فقال أمير المؤمنين اللهم نور قلبه بالتقى واهده الى صراط مستقيم . ليت ان في جندي مائة مثلك فقال حجر اذا والله يا أمير المؤمنين صح جندك وقل فيهم من يغشك ثم قام حجر فقال يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب واهلها الذين نلقحها وننتجها قد ضارستنا وضارسناها ولنا اعوان ذوو

الاصلاح وعشيرة ذات عدد ورأي مجرب وبأس محمود وازمتنا منقادة ذلك بالسمع والطاعة فان شرقت شرقنا وان غربت غربنا وما امرتنا بـه من امر فعلناه فقال علي اكل قومك يرى مثل رأيك قال ما رأيت منهم الا حسنا وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة وبحسن الاجابة ودخل يزيد ابن قيس الارحبي على علي عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين نحن على جهاز وعدة واكثر الناس اهل القوة ومن ليس به ضعف وليس به علة فمـر مناديك فليناد الناس يخرجوا الى معسكرهم بالنخيلة فان أخا الحرب ليس بالسؤوم ولا النؤوم ولا من اذا امكنته الفرص اجلها واستشار فيهـا ولا من يؤخر الحرب في اليوم الى غد وبعد غد •

فقال زياد بن النضر لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس وقال ما يعرف فتوكل على الله وثق بـه واشخاص بنـا الى هذا العدو راشـدا معافى فان يرد الله بهم خيرا لايدعوك رغبة عنك الا من ليس مثلك فـي السابقة مع النبي صلى الله عليه وسلم والقدم في الاسلام والقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينيبوا ويقبلوا ويأبوا الا حربنا نجـد حربهم علينا هينا ورجونا ان يصرعهم الله مصارع اخوانهـم بالامس • وخرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة من اهـل الشام واللعن فأرسل اليهما امير المؤمنين عليه السلام ان كفا عما يبلغني عنكما فاتياه فقالا السنا محقين قال بلى ولكن كرهت لكم ان تكونوا لعانـين شتامين ولو وصفتم مساوي اعمالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر وقلتم مكان اللعن والبراءة اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم كان احب الي وخيرا لكم فقالا يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك •

ودخل عليه عبدالله بن المعتم العيسى وحنظلة بن الربيـع التميمي في رجال من غطفان فاشار عليه التميمي مظهرا النصح ان يقيم ويكاتب معوية ولا يعجل وقال اني ما ادري ولا تدري لمن تكون اذا التقيتم الغلبة وعلى من تكون الدبرة وتكلم العبسي ومن معهما بنحو ذلك فقال عليه السلام

اما الدبرة فانها على العاصين ظفروا او ظفر بهم اما والله اني لاسمع كلام
تقاتلون المحلين القاسطين الذين لايقرؤون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب
ولا يدينون دين الحق مع أمير المؤمنين وبن عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والصادع بالحق والحاكم بحكم
الكتاب الذي لا يداهن الفجار ولا تأخذه في الله لومة لائم فقام الاحنف
ابن قيس فقال نعم والله لنجيبنك ولنخرجن معك على العسر واليسر والرضا
والكره نحتسب في ذلك الخير ونأمل من الله عظيم الاجر وقام اليه خالد
ابن المعمر السدوسي فقال سمعنا واطعنا فمتى استنفرتنا نفرنا ومتى دعوتنا
اجبنا وقام اليه عمرو بن مرجوم العبدي فقال وفق الله امير المؤمنين وجمع
له امر المسلمين ولعن المحلين القاسطين الذين لا يقرؤون القرآن نحن والله
عليهم حنقون ولهم في الله مفارقون فمتى اردتنا صحبك خيلنا ورجلنا
واجاب الناس الى المسير ونشطوا وخفوا فاستعمل بن عباس على البصرة
والله اني لاسمع كلام قوم ما اراهم يريدون ان يعرفوا معروفا ولا ينكروا
منكرا فقال معقل بن قيس الرياحي ان هؤلاء ما اتوك بنصح بل بغش
فاحذرهم وقال له مالك بن حبيب بلغني ان حنظلة هذا يكاتب معوية فادفعه
الينا نحبسه حتى تنقضي غزاتك وقال عباس بن ربيعة وفائد بن بكير
العبسيان يا أمير المؤمنين ان صاحبنا عبدالله بن المعتم بلغنا انه يكاتب
معوية فاحبسه حتى تنقضي غزاتك اوادفعه الينا نحبسه فجعلا يقولان هذا
جزاء من نصركم واشار عليكم بالرأي فقال لهما علي عليه السلام الله بيني
وبينكم والنه اكلكم وبه استظهر عليكم اذهبوا حيث شئتم فلحق ابن
المعتم معوية مع احد عشر رجلا من قومه • وبعث علي عليه السلام الى
حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب وهو صحابي فقال أعلي ام لي
قال لا عليك ولا لك ثم هرب الى معوية مع ثلاثة وعشرين رجلا من قومه
لكنهما اعتزلا الفريقين فأمر علي عليه السلام بهدم دار حنظلة هدمها عريفهم
بكر بن تميم وشبث بن ربعي • وقالت طائفة من اصحاب علي عليه السلام
له اكتب الى معوية والى من قبله من قومك بكتاب تدعوهم فيه اليك وتأمر

بما لهم فيه من الحظ فان الحجة لن تزداد عليهم بذلك الا عظما فكتب اليهم : بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله علي أمير المؤمنين الى معوية ومن قبله من قريش سلام عليكم فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان لله عبادا آمنوا بالتنزيل وعرفوا التأويل وفقهوا في الدين وبين الله . فضلهم في القرآن الحكيم وانتم في ذلك الزمان اعداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم تكذبون بالكتاب مجمعون على حرب المسلمين من ثقفتم منهم حبستموه أو عذبتموه او قتلتموه حتى اذا اراد الله اعزاز دينه واظهار رسوله ودخلت العرب في دينه افواجا واسلمت هذه الامة طوعا وكرها على حين فاز اهل السبق بسبقهم والمهاجرون الاولون بفضلهم فلا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم وفضائلهم ان ينازعهم الامر الذي هم اهله واولى به ثم ان اولى الناس بأمر هذه الامة قديما وحديثا اقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمها بالكتاب وافقهها في الدين واولها اسلاما وافضلها جهادا واشدها بما تحمله الرعية من امورها اضطلاعا فأتقوا الله الذي اليه ترجعون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واعلموا ان خيار عباد لله الذين يعملون بما يعطون وان شرارهم الجهال الذين ينازعون بالجهل اهل العلم فان للعالم بعلمه فضلا وان الجاهل لن يزداد بمنازعه العالم الا جهلا الا واني ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وحقن دماء هذه الامة فان قبلتم اصبتم رشدكم وان ابيتم الا الفرقة وشق عصى هذه الامة لن تزدادوا من الله الا بعدا والسلام فكتب اليه معوية :

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن لكلى وضرب الرقاب

فقال علي عليه السلام انك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء . وكتب امير المؤمنين عليه السلام الى عماله في الآفاق يأمرهم بالمسير اليه وحث الناس على الجهاد معه فكتب الى مخنف بن سليم عامله على اصبهان وهمذان : اذا اتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك اوثق اصحابك في نفسك واقبل الينا وكتب عبدالله بن أبي رافع سنة ٣٧هكذا

وردت هذه الرواية وقد مر مايدل على ان ذلك كان سنة ٣٦ فاستعمل مخنف على اصبهان وهمذان رجلين من قومه واقبل حتى شهد معه صفين.
وكتب الى عبدالله بن عباس الى البصرة اما بعد فأشخص الي من قبلك من المسلمين والمؤمنين وذكرهم بلائي عندهم وعفوي عنهم واستبقائي لهم ورغبهم في الجهاد واعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل فقرأ عليهم ابن عباس كتاب علي عليه السلام وقال ايها الناس استعدوا للمسير الى امامكم وانفروا في سبيل الله خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فانكم تقاتلون أبا الاسود الدئلي وقدم على علي ومعه رؤوس الاخماس خالد بن المعمر السدوسي على بكر بن وائل وعمرو بن مرجوم العبدي على عبدالقيس وصبرة بن شيمان الازدي على الازد والاحنف بن قيس على تميم وضبة والرباب وشريك بن الاعور الحارثي على اهل العالية فقدموا على علي بالنخيلة ولم يبرح علي النخيلة حتى قدم عليه بن عباس باهل البصرة وكان امراء الاسباع من اهل الكوفة : سعد بن مسعود الثقفي على قيس وعبد القيس • ومعقل بن قيس اليربوعي ثم الرياحي على تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة واسد • ومخنف بن سليم على الازد وبجيلة وخثعم والانصار وخزاعة • وحجر بن عدي الكندي على كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة • وزياد بن النضر على مذحج والاشعريين • وسعيد ابن قيس بن مرة الهمداني على همدان ومن معهم من حمير • وعدي بن حاتم على طيء وتجمعهم الدعوة مع مذحج مع زياد بن النضر وراية طيء مع عدي بن حاتم وقال زياد بن النضر الحارثي لعبدالله بن بديل بن ورقاء ان يومنا ويومهم ليوم عصيب مايصبر عليه الا كل مشيع القلب صادق النية رابط الجأش وايم الله ما اظن ذلك اليوم يبقي منا ومنهم الا الرذال قال عبدالله بن بديل وانا والله اظن ذلك فقال علي ليكن هذا الكلام مخزونا في صدوركما لاتظهراه ولا يسمعه منكما سامع ان الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين وكل آتية منيته كما كتب الله له فطوبي للمجاهدين في سبيل الله والمقتولين في طاعته فلما سمع هاشم بن عتبة مقالتهم حمد

الله واثنى عليه ثم قال سر بنا يا أمير المؤمنين الى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وعملوا في عباد الله بغير رضى الله فاحلوا حرامه وحرموا حلاله واستولاهم الشيطان ووعدهم الاباطيل ومناهم الاماني حتى ازاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى وحبب اليهم الدنيا فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها كرغبتنا في الآخرة وانت يا أمير المؤمنين اقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم رحما وافضل الناس سابقة وقدما وهم يعلمون منك مثل الذي علمنا ولكن كتب عليهم الشقاء ومالت بهم الاهواء وكانوا ظالمين فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة وقلوبنا منشرحة ببذل النصيحة وانفسنا بنورك جذلة على من خالفك وتولى الامر دونك والله ما احب ان لي ما في الارض مما اقلت وما تحت السماء مما اظلت واني واليت عدوا لك أو عاديت وليا لك فقال علي عليه السلام اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والمرافقة لنبيك صلى الله عليه وسلم ثم ان عليا عليه السلام صعد المنبر ودعاهم الى الجهاد وما قاله في خطبته : اعلموا ان الله جعل امراس الاسلام متينة وعراه وثيقة ونحن سائرون انشاء الله الى من سفه نفسه وتناول ماليس له ومالا يدركه معوية وجنده الفئة الباغية الطاغية يقودهم ابليس ويدليهم بغروره فلا اعرفن احدا منكم تقاعس عني فان الذود الى الذود ابل • ومن لا يذد عن حوضه يتهدم • ثم اني آمركم بالشدة في الامر والجهاد في سبيل الله وان لا تغتابوا مسلما وانتظروا النصر العاجل من الله انشاء الله • ثم قام الحسن بن علي عليهما السلام خطيبا فمما قاله في خطبته : ان مما عظم الله عليكم من حقه واسبغ عليكم من نعمه مالا يحصى ذكره لا يؤدى شكره ولا تبلغه صفة ولا قول ونحن انما غضبنا لله ولكم فانه لم يجتمع قوم قط على امر واحد الا اشتد امرهم واستحكمت عقدتهم فاحتشدوا في قتال عدوكم معوية وجنوده ولا تخاذلوا فان الخذلان يقطع نياط القلوب وان الاقدام على الاسنة نجدة وعصمة لانه لم يمتنع قوم قط الا رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلة وهداهم الى معالم الملة •

والصلح تأخذ منه مارضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

ثم قام الحسين بن علي عليهما السلام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا اهل الكوفة انتم الاحبة الكرماء الشعار دون الدثار جدوا في احياء مآثر دينكم واسهال ماتوعر عليكم الا ان الحرب شرها ذريع وطعمها فظيع وهي جرع متحساة فمن اخذ لها اهبتها فذاك صاحبها ومن عاجلها قبل اوان فرصتها فذاك فمن ان لا ينفع قومه ويهلك نفسه نسأل الله بعونه ان يدعمكم بالفته ثم نزل • فأجابه الى السير والجهاد جل الناس الا ان اصحاب عبدالله بن مسعودوفيهم عبيدة السلماني واصحابه قالوا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ونعسكر على حدة فمن رأيناه اراد مالا يحل له أو بدا لنا منه بغي كنا عليه فقال علي عليه السلام مرحبا واهلا هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو جائر وانما رضي منهم بذلك مع ظهور الحجة عليهم لانه قد علم من حالهم انهم لا يقبلون بغير هذا فلو الزمهم بالحرب معه ربما ينفرون ويكونون مع معوية فكان رضاه بما قالوه أصلح الامرين لانه يرجى انضمامهم اليه بعد ذلك وأتاه آخرون من أصحاب عبدالله بن مسعود فيهم ربيع بن خثيم (وهو المدفون بقرب المشهد الرضوي الذي يسميه العجم خواجه ربيع) وهم يومئذ اربعمائة رجل فقالوا يا أمير المؤمنين انا شككنا في هذا القتل على معرفتنا بفضلك ولا غناء بنا ولا بك ولا المسلمين عمن يقاتل العدو فولنا بعض هذه الثغور نكون به ثم نقاتل عن اهله فوجهه على ثغر الري فكان أول لواء عقده بالكوفة لواء ربيع بن خثيم • ودعا علي باهله فقال يا معشر باهلة اشهد الله انكم تبغضوني وابغضكم فخذوا عطاءكم واخرجوا الى الديلم وكانوا قد كرهوا ان يخرجوا معه الى صفين • قال نصر بن مزاحم وكتب محمد ابن أبي بكر الى معوية : من محمد بن أبي بكر الى الغاوي معوية بن صخر سلام على اهل طاعة الله اما بعد فان الله تعالى خلق خلقا اختارهم على علمه فاصطفى منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فاختصه برسالته فدعا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فكان أول من أجاب أخوه وابن

عمـه علي بن أبي طالب فوقاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف فحارب حربه وسالم سلمه وقد رأيتك تساميه وأنت انت وهو هو المبرز السابق في كل خير أول الناس اسلاما واصدق الناس نية ثم لم تزل أنت وابوك تبغيان الغوائل لدين الله وتجتهدان على اطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان فيه القبائل على ذلك مات أبوك وعلى ذلك خلفته فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو ولده وأول الناس له اتباعا وآخرهم به عهـدا يخبره بسره ويشركه في امره وانت عدوه وبن عدوه فتمتع ما استطعت بباطلك وليمدد لك بن العاص في غوايتك فكأن اجلك قد انقضى وكيدك قد وهى والسلام على من اتبع الهدى فاجابه معوية : من معوية بن أبي سفيان الى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر سلام على أهل طاعة الله اما بعد فقد اتاني كتابك لرأيك فيه تضعيف ولابيك فيه تعنيف ذكرت حق ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته واحتجاجك بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد الها صرف الفضل عنك وجعله لغيرك وقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا نرى حق بن أبي طالب لازما لنا وفضله مبرزا علينا فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ماعنده كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه ثم قام بعده عثمان يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الاقاصي من أهل المعاصي فخذ حذرك فسترى وبال امرك وقس شبرك بفترك تقصر من ان تساوي من يزن الجبال حلمه لاتليـن على قسر قناته ولا يدرك ذو مدى اناته أبوك مهد مهاده وبنى ملكـه وشاده فان يكن مانحن فيه صوابا فأبوك أوله وان يكن جورا فأبـوك اسسه ونحن شركاؤه وبهديه اخذنا وبفعله اقتدينا فعب أباك مابدالـك اودع والسلام على من اتبع الهدى •

وبلغ أهل العراق مسير معوية الى صفين فنشطوا وجدوا غير انـه كان من الاشعث بن قيس شيء عند عزله عن الرياسة وذلك ان رياسة كنـدة وربيعة كانت للاشعث فجعلها أمير المؤمنين عليه السلام لحسان بن محدوج

فتكلم في ذلك اناس من أهل اليمن منهم الاشتر وعدي بن حاتم الطائي وزحر بن قيس وهاني بن عروة فقالوا يا أمير المؤمنين ان رياسة الاشعث لا تصلح الا لمثله وما حسان مثل الاشعث فغضبت ربيعة فقال حريث ابن جابر ياهؤلاء رجل برجل وليس بصاحبنا عجز في شرفه وموضعه ونجدته وبأسه ولسنا ندفع فضل صاحبكم وشرفه وغضب رجال اليمنية فأتاهم سعيد بن قيس الهمداني فتكلم في اصلاح الحال وقال حريث بن جابر ان كان الاشعث ملكا في الجاهلية وسيدا في الاسلام فان صاحبنا أهل هذه الرياسة وما هو افضل منها فقال حسان للاشعث لك راية كندة ولي راية ربيعة فقال معاذ الله لايكون هذا ابدا ماكان لك فهو لي وماكان لي فهو لك وبلغ معوية ماصنع بالاشعث فقال اقذفوا الى الاشعث شيئا تهيجونه به على علي فدعوا شاعرا لهم فقال هذه الابيات فكتب بها مالك ابن هبيرة الى الاشعث وكان له صديقا وكان كنديا :

من كان في القوم مثلوجا بأسرته	فالله يعلم اني غير مثلوج
زالت عن الاشعث الكندي رياسته	واستجمع الامر حسان بن محدوج
يا للرجال لعار ليس يغسله	ماء الفرات وكرب غير مفروج
ان ترض كندة حسانا بصاحبها	ترض الدناة وما قحطان بالهوج
كان ابن قيس هماما في ارومته	ضخما يبوء بملك غير مفلوج
إن الذين تولوا بالعراق له	لا يستطيعون طرا ذبح فروج
ليست ربيعة اولى بالذي خديت	من حق كندة حق غير محجوج

فلما انتهى الشعر الى اهل اليمن قال شريح بن هاني يا اهل اليمن ما يريد صاحبكم الا ان يفرق بينكم وبين ربيعة ومشى حسان بن محدوج الى الاشعث برايته حتى ركزها في داره فقال الاشعث ان هذه الراية عظمت على علي وهي والله اخف علي من زف النعام ومعاذ الله ان يغيرني ذلك لكم فعرض عليه أمير المؤمنين عليه السلام ان يعيدها اليه فأتى وقال يا أمير المؤمنين ان يكن أولها شرا فليس آخرها بعار فقال له علي انا اشركك فيه فولاه علي ميمنته وهي ميمنة أهل العراق.

وامر علي عليه السلام الحارث الاعور ان ينادي في الناس ان اخرجوا الى معسكر بالنخيلة (١) فنادى بذلك وبعث علي الى مالك بن حبيب اليربوعي صاحب شرطته فأمره ان يحشر الناس الى المعسكر ودعا عقبة ابن عمرو الانصاري فاستخلفه على الكوفة وكان اصغر اصحاب العقبة السبعين ثم خرج علي عليه السلام وخرج الناس معه الى النخيلة •

ولما اراد المسير الى النخيلة بعث زياد بن النضر وشريح بن هاني على مقدمته في اثني عشر الفا شريح على طائفة من الجند وزياد على الكل وامرهما ان يأخذا على طريق واحد ولا يختلفا فأخذ شريح يعتزل بمن معه على حدة ولا يقترب من زياد فكتب زياد الى أمير المؤمنين عليه السلام مع مولى له اسمه شوذب ان شريحا لايرى لي عليه طاعة وكتب شريح اليه فانا له كارهون فكتب اليهما علي عليه السلام ان جمعكما حرب فزياد على الناس وان افترقتما فكل واحد امير على الطائفة التي وليناه امرها • ومن ذلك يعلم كيف كان حال اصحابه في تفرقهم •

(وصايا للجيش مهمة)

واعلما ان مقدمة الجيش عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فاذا انتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشعاب والشجر في كل جانب كيلا يغركما عدو او يكون لهم كمين ولا تسيرن الكتائب من لدن الصبح الى المساء الا على تعبية فان دهمكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبية واذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الاشراف او سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما يون ذلك لكم ردءا

---

١ ــ النخيلة معسكر الكوفة . وفي بحر العلوم في صلاة المسافر انها الموضع المعروف بالكفل والمسافة بينها وبين الخارج من المسجد واوساط البلد يوشك ان يكون اربعة فراسخ او ما يقارب من سير ست ساعات .

وتكون مقاتلتكم من وجه او اثنين واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال وبأعالي الاشراف ومناكب الانهار يرون لكم لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة او امن واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا رحلتم فارحلوا جميعا واذا غشيكم ليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والاترسة ورماتكم يلون ترستكم ورماحكم وما اقمتم فكذلك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة ولا تلفى لكم غرة فما قوم حفوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار الا كانوا كأنهم في حصون واحرسا عسكركما بانفسكما واياكما ان تذوقا نوما حتى تصبحا الا غرارا أو مضمضة ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا الى عدوكما وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما فاني ولا شيء الا ماشاء الله حثيث السير في آثاركما عليكما في حربكما بالتوئدة واياكما والعجلة الا ان تمكنكم فرصة بعد الاعذار والحجة واااكما ان تقاتلا حتى اقدم عليكما الا ان تبدئا أو يأتيكما امري .

(وصاياه الى امراء الاجناد)

وكتب الى امراء الاجناد من عبدالله علي امير المؤمنين اما بعد فاعزلوا الناس عن الظلم والعدوان وخذوا على ايدي سفهائكم واحترسوا ان تعلموا اعمالا لايرضى الله بها عنا فيرد علينا وعليكم دعاؤنا فان الله تعالى يقول قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم .

(وصاياه الى جنوده)

وكتب الى جنوده يخبرهم بالذي لهم والذي عليهم : من عبدالله علي امير المؤمنين اما بعد فان الله جعلكم في الحق جميعا سواء اسودكم واحمركم وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الولد وبمنزلة الولد وان حقكم عليه انصافكم والتعديل بينكم والكف عن فيئكم فاذا فعل ذلك معكم وجبت عليكم طاعته بما وافق الحق ونصرته على سيرته

والدفع عن سلطان الله فانكم وزعة الله في الارض (الوزعة الذين يدفعون عن الظلم) فكونوا له اعوانا ولدينه انصارا ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ان الله لايحب المفسدين • وبقي اميرالمؤمنين عليه السلام بالنخيلة حتى اجتمعت اليه الجنود ولم يبرحها حتى قدم عليه بن عباس باهل البصرة • ومرت عليه جنازة وهو بالنخيلة فقال مايقول الناس في هذا القبر وفي النخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله فقال الحسن ابن علي يقولون هذا قبر هود النبي لما ان عصاه قومه جاء فمات هاهنا قال كذبوا لانا اعلم به منهم هذا قبر يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بكر يعقوب ثم قال هاهنا احد من مهرة فأتي بشيخ كبير فقال اين منزلك قال على شاطيء البحر قال اين هو من الجبل الاحمر قال قريب منه قال وما يقول قومك فيه قال يقولون قبر ساحر قال كذبوا ذاك قبر هود وهذا قبر يهوذا بن يعقوب وقال يحشر من ظهر الكوفة سبعون الفا على غرة الشمس والقمر يدخلون الجنة بغير حساب •

وبلغ معوية مكان علي بالنخيلة ومعسكره بها ومعوية قد البس منبر دمشق قميص عثمان وهو مخضب بالدم وحول المنبر سبعون الف شيخ يبكون لاتجف دموعهم على عثمان فخطب معوية اهل الشام فقال : يا اهل الشام قد كنتم تكذبوني في علي وقداستبان لكم امره والله ماقتل خليفتكم غيره وهو امر بقتله والب الناس وآوى قتلته وهم جنده وانصاره واعوانه وقد خرج بهم قاصدا بلادكم لابادتكم يا اهل الشام الله الله في عثمان فانا ولي عثمان واحق من طلب بدمه وقد جعل الله اولي المظلوم سلطانا فانصروا خليفتكم فقد صنع به القوم ما تعلمون قتلوه ظلما وبغيا وقد امر بقتال الفئة الباغية حتى تفيء الى امر الله فاعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع اليه اطرافه واستعمل على فلسطين ثلاثة رهط جعلهم بازاء اهل مصر لئلا يغيروا عليهم من خلفهم وكتب الى معتزلة مصر وهم يومئذ يكاتبون معاوية ولا يطيقون مكاثرة اهل مصر ان تحرك قيس عامل علي على مصر ان يثبتوا له وكان علي عليه السلام بعث قيس بن سعد الانصاري

من الكوفة الى مصر اميرا عليها وفيها يومئذ معوية بن خديج وحصين ابن نمير •

ولما اراد علي عليه السلام الخروج من النخيلة وذلك لخمس مضين من شوال يوم الاربعاء سنة ٣٦ خطب الناس وقال قد امرت على المصر عقبة ابن عمرو الانصاري فاياكم والتخلف والتربص فاني قد خلفت مالك ابن حبيب اليربوعي وامرته ان لايترك متخلفا الا الحقه بكم عاجلا انشاءالله فقام اليه معقل بن قيس الرياحي فقال يا أمير المؤمنين والله لا يتخلف عنك الا ظنين ولا يتربص بك الا منافق فأمرمالك بن حبيب ان يضرب اعناق المتخلفين قال علي قد امرته بأمري وليس مقصرا ان شاء الله ودعا بدابته فجاءته فلما أراد أن يركب وضع رجله في الركاب وقال بسم الله فلما جلس على ظهرها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال : اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحيرة بعد اليقين وسوء المنظر في الاهل والمال والولد اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ولا يجمعهما غيرك لان المستخلف لايكون مستصحبا والمستصحب لايكون مستخلفا ثم خرج وخرج امامه الحر بن سهم بن طريف الربعي ربيعة تميم وهو يقول :

يا فرسي سيري وامي الشاما	وقطعي الحزون والاعلاما
ونابذي من خالف الاماما	اني لارجو ان لقينا العاما
جمع بني امية الطغاما	ان نقتل العاصي والهماما

وان نزيل من رجالها هاما

وقال مالك بن حبيب وهو صاحب شرطته وهو آخذ بعنان دابته يا امير المؤمنين اتخرج بالمسلمين فيصيبوا اجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الرجال فقال له علي انهم لن يصيبوا من الاجر شيئا الا كنت شريكهم فيه وانت هاهنا اعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم فقال سمعا وطاعة فخرج علي حتى اذا جاز حد الكوفد وذلك بين القنطرة والجسر بعد ماقطع النهر(١)

١ ـ كان الفرات في ذلك العصر يخترق الكوفة وعليه قنطرة وهي ما يبنى بالآخر ولها ذكر في الاخبار وعليه جسر .

امر مناديه فنادى بالصلاة فتقدم فصلى الظهر ركعتين حتى اذا قضى الصلاة اقبل على الناس فقال يا ايها الناس الا من كان مشيعا او مقيما فليتم الصلاة فانا قوم على سفر ومن صحبنا فلا يصم المفروض والصلاة ركعتان ثم خرج حتى اتى دير ابي موسى وهو من الكوفة على فرسخين فصلى بها العصر فلما انصرف من الصلاة قال سبحن ذي الطول والنعم سبحان ذي القدرة والافضال اسأل الله الرضا بقضائه والعمل بطاعته والانابة الى امره فانه سميع الدعاء • وروى نصر بسنده عن سعيد التميمي المعروف بعقيصا قال كنا بظهر الكوفة (٢) من جانب هذا السواد عطش الناس فانطلق بنا علي حتى اتينا على صخرة ضرس من الارض كأنها رضة عنز فأمرنا فاقتلعناها فخرج لنا ماء فشرب الناس منه وارتووا ثم امرنا فأكفاناها عليه وسار الناس حتى اذا مضينا قليلا قال علي منكم احد يعلم مكان هذا الماء قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال فانطلقوا اليه فانطلق منا رجال ركبانا ومشاة فاقتصصنا الطريق حتى انتهينا الى المكان الذي نرى انه فيه الى مكان قريب من الدير فقال اكشفوا الارض في هذا المكان فكشفوه بالمساحي فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع لاتعمل فيها المساحي فقال لهم ان هذه الصخرة على الماء فاجتمعوا وراموا تحريكها فلم يجدوا الى ذلك فطلبناها فلم نقدر على شيء حتى اذا عيل علينا انطلقنا الى دير قريب منا فسألناهم اين الماء الذي هو عندكم قالوا مابقربنا ماء قلنا بلى انا شربنا منه قالوا انتم شربتم منه قلنا نعم قالوا مابني هذا الدير الا لذلك الماء وما استخرجه الا نبي أو صبي نبي •

وروى هذه القصة المفيد في الارشاد بنحو من ذلك مع زيادة فقال روى أهل السير واشتهر الخبر بذلك في العامة والخاصة وشهرته تغني عن

---

٢ ـ ذكره نصر بعد ذكره مرور امير المؤمنين بكربلاء وبالانبار وقبل نزوله بالجزيرة واذا كانت هذه القصة حصلت معه بظهر الكوفة فهي قبل كربلاء والانبار في حدود الكوفة او قريبا من حدودها .

تكلف ايراد الاسناد له فروت الجماعة ان أمير المؤمنين عليه السلام لما توجه الى صفين لحق اصحابه عطش شديد فاخذوا يمينا وشمالا يلتمسون الماء فلم يجدوا له اثرا فعدل بهم أمير المؤمنين عليه السلام عن الجادةفلاح لهم دير في وسط البرية فأمر من نادى ساكنه فاطلع اليهم فقال له أمير المؤمنين عليه السلام هل قرب قائمك هذا من ماء فقال هيهات بيني وبين الماء اكثر من فرسخين ولولا انني اوتى بما يكفيني كل شهر على التقتير لتلفت عطشا فلوى أمير المؤمنين عليه السلام عنق بغلته نحو القبلة واشار سبيلا فلوى رجله عن سرجه الى الارض ثم حسرعن ذراعيه ووضع اصابعه تحت جانب الصخرة ثم قلعها ودحى بها اذرعا كثيرة فظهر لهم بياض الماء فشربوا فكان اعذب ماء شربوا منه في سفرهم وابرده واصفاه فقال لهم تزودوا وارتووا ففعلوا ثم تناول الصخرة بيده فوضعها حيث كانت وامر ان يعفى اثرها بالتراب والراهب ينظر من فوق ديره فقال انزلوني فانزلوه فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فقال له انت نبي مرسل قال لا قال فملك مقرب قال لا قال فمن انت قال وصي رسول الله محمد ابن عبدالله صلى اللهعليهوسلم قال ابسط يدك فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وانك وصي رسول الله وقال اخبرك ان هذا الدير بني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها وقد مضى عالم قبلي لم يدركوا ذلك وقد رزقنيه الله عز وجل انا نجد في كتاب من كتبنا ونأثر عن علمائنا ان في هذا الصقع عينا عليها صخرة لايعرف مكانها الا نبي أو وصي نبي وانه لابد من ولي لله يدعو الى الحق آتاه معرفة هذه الصخرة وقدرته على قلعها فبكى أمير المؤمنين عليه السلام وقال الحمد لله الذي لم اكن عنده منسيا الحمد لله الذي كنت فيكتبه مذكورا ثم سار الراهب معه الى صفين فاصابته الشهادة • قال وفي ذلك يقول السيد اسماعيل بن محمد الحميري في قصيدته البائية المذهبة :

ولقد سرى فيما يسير بليلة بعد العشاء بكر بلا في موكب
حتى اتى متبتلا في قائم القى قواعده بقاع مجدب

بانيه ليس بحيث يلقى عامرا غير الوحوش وغير اصلع اشيب
فدنا فصاح به فأشرف ماثلا كالنسر فوق شظية من مرقب
هل قرب قائمك الذي بؤته ماء يصاب فقال ما من مشرب
الا بغاية فرسخين ومن لنا بالماء بين نقي وقي سبسب
فثنى الاعنة نحو وعث فاجتلى ملساء تلمع كاللجين المذهب
قال اقلبوها انكم ان تقلبوا ترووا ولا تروون ان لم تقلب
فاعصوصبوا في قلعها فتمنعت عنهم تمنع صعبة لم تركب
حتى اذا اعيتهم اهوى لها كفا متى ترد المغالب تغلب
فكأنها كرة بكف حزور عبل الذراع دحا بها في ملعب
فسقاهم من تحتها متسلسلا عذبا يزيد على الالذ الاعذب
حتى اذا شربوا جميعا ردها ومضى فخلت مكانها لم يقرب

قال وزاد فيها بن ميمون قوله :

(واريت راهبها سريرة معجن فيها وآمن بالوصي المنجب
ومضى شهيدا صادقا في نصره اكرم به من راهب مترهب)
اعني ابن فاطمة الوصي ومن يقل في فضله وفعاله لا يكذب
رجلا كلا طرفيه من سام وما حام له باب ولا بأبي اب
من لا يفر ولا يرى في معرك الا وصارمه خضيب المضرب

قال نصر ثم خرج حتى نزل على شاطىء البرس (١) فصلى بالناس المغرب فلما انصرف قال : الحمد لله الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الحمد لله كلما وقب ليل وغسق والحمد لله كلما لاح نجم وخفق • ثم اقام حتى صلى الغداة ثم شخص حتى بلغ قبة قبين (٢) وبها نخل طوال الى جانب البيعة فلما رآها قال والنخل باسقات لها طلع نضيد ثم اقحم دابته النهر فنزلها فمكث بها قدر الغداء وساروكان

---

١ ـ البرس بلدة بين الكوفة والحلة .
٢ ـ موضع بالعراق واسم نهر

مخنف بن سليم يسايره فقال له ان ببابل ارضا قد خسف بها فحرك دابتك لعلنا ان نصلي العصر خارجا منها فحرك دابته وحرك الناس دوابهم في اثره فلما جاز جسر الصراة (٣) نزل فصلى بالناس العصر •

(نزوله (ع) بكربلا «١»)

روى نصر بسنده عن هرثمة بن سليم قال غزونا مع علي بن أبي طالب غزوة صفين فلما نزلنا كربلاء صلى بنا صلاه فلما سلم رفع اليه من تربتها فشمها ثم قال واهالك ايتها التربة ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب فلما رجع هرثمة لزوجته جرداء بنت سمير وكانت شيعة لعلي عليه السلام الا اعجبك من صديقك أبي الحسن وذكر لها القصة وقال وما علمه بالغيب فقالت دعنا منك فان أمير المؤمنين لم يقل الا حقا قال فلما كانت وقعة كربلاء كنت في الخيل التي بعثت الى حرب الحسين واصحابه فلما أنتهيت اليهم عرفت المنزل الذي نزل بنا علي فيه والبقعة التي رفع اليه من ترابها والقول الذي قاله فكرهت مسيري فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين فسلمت عليه وحدثته بما سمعته من أبيه فقال أمعنا أنت أم علينا فقلت يا بن رسول الله لا معك ولا عليك تركت أهلي وولدي أخاف عليهم من بن زياد قال فول هربا حتى لا ترى لنا مقتلا فوالذي نفس حسين بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ولا يعيننا الا ادخله الله النار فأقبلت في الارض هاربا حتى خفي علي مقتله •

وروى نصر بسنده الى سعيد بن وهب قال بعثني مخنف بن سليم الى علي فأتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده ويقول هاهنا فقال له رجل وما ذلك يا أمير المؤمنين قال ثقل لآل محمد فويل لهم منكم وويل لكم منهم فقال له الرجل ما معنى هذا يا أمير المؤمنين قال ويل لهم منكم تقتلونهم وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار (وفي رواية) فويل لكم منهم

---

٣ ــ الصراة نهر يخرج من الفرات . وولاية .

وويل لكم عليهم فقال الرجل اما ويل لنا منهم فقد عرفت وويل لنا عليهم ماهو قال ترونهم يقتلون ولا تستطيعون نصرهم . وروى نصر بسنده عن الحسن بن كثير عن ابيه ان عليا اتى كربلاء ثم اومأ بيده الى مكان فقال هاهنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم واومأ بيده الى موضع آخر فقال هاهنا مهراق دمائهم .

قال نصر بعدما ذكر عبوره على جسر الصراة وصلاته العصر : ثم خرج حتى اتى دير كعب (ولم اجده في مظانه فلست ادري اين هو) قال ثم مضى نحو ساباط (١) فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزول والطعام فقال لا ليس ذلك لنا عليكم وبات بساباط فلما اصبح وهو بمظلم ساباط (٢) قال اتبنون بكل ريع آية تعبثون فلما انتهى الى مدينة بهر سير (٣) واذا رجل من اصحابه يقال له حريز بن سهم ينظر الى آثار كسرى وهو يتمثل قول ابن يعفور التميمي .

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال علي افلا قلت : كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين . ان هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين ان هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالعصبة اياكم وكفر النعم لاتحل بكم النقم ثم قال انزلوا بهذه النجوة .

وبعث أمير المؤمنين عليه السلام معقل بن قيس من المدائن في ثلاثة آلاف وقال له خذ على الموصل ثم نصيبين ثم القني بالرقة فاني موافيها وسكن الناس وأمنهم ولا تقاتل الا من قاتلك وسر البردين وغور بالناس واقم الليل ورفه في السير ولا تسر أول الليل فان الله جعله سكنا ارح فيه بدنك وجندك وظهرك فاذا كان السحر او حين

---

١ ـ موضع معروف سمي باسم رجل من الفرس .
٢ ـ موضع هناك .
٣ ـ لفظة فارسية معناها موضع التنزه .

ينبطح الفجر فسر فخرج حتى اتى الحديثة وهي اذ ذاك منزل الناس انما بنى مدينة الموصل بعدذلك محمد بن مروان فاذا هم بكبشين ينتطحان ومع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة قتل بعد ذلك مع الحرورية فأخذ يقول ايه ايه فجاء رجلان فأخذ كل منهما كبشا فقال الخثعمي لمعقل لا تغلبون ولا تغلبون اما ترى الكبشين احدهما مشرق والآخر مغرب اقتتلا ولم ينتصف واحد منهما من صاحبه حتى فرق بينهما ثم مضوا حتى اتوا عليا بالرقة وأمر علي الحارث الاعور فصاح في اهل المدائن من كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين صلاة العصر فوافوه في تلك الساعة فقال قد تعجبت من تخلفكم دعوتكم وانقطاعكم عن اهل مصركم في هذه المساكن الظالم اهلها والهالك اكثر سكانها لا معروفا تأمرون به ولا منكرا تنهون عنه قالوا يا أمير المؤمنين انا كنا ننتظر امرك ورأيك مرنا بما احببت فسار وخلف عليهم عدي بن حاتم فأقام عليها ثلاثا ثم خرج في ثمانمائة وخلف ابنه زيدا فلحقه في اربعمائة منهم ثم لحقا عليا عليه السلام . وجاء علي حتى مر بالانبار وهي بلدة قرب الفلوجة وهي الآن خراب كان كسرى يجعلها انبارا للحبوب فاستقبله بنو خشنوشك (١) دهاقينها فلما رأوه نزلوا ثم جاؤوا يشتدون معه قال ما هذه الدواب التي معكم وما اردتم بهذا الذي صنعتم قالوا ماهذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء واما هذه البراذين فهدية لك وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاما وهيأنا لدوابكم علفا كثيرا قال اما هذا الذي زعمتم انه منكم خلق تعظمون به الامراء فوالله ما ينفع هذا الامراء وانكم احببتم ان نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم اخذناها منكم واما طعامكم الذي صنعتم لنا فانا نكره ان نأكل من اموالكم شيئا الا بثمن قالوا يا أمير المؤمنين نحن نقومه ثم تقبل ثمنه قال اذا لاتقومونه قيمته نحن نكتفي بما هو دونه قالوا يا أمير المؤمنين فان لنا من العرب موالي ومعارف فتمنعنا ان نهدي لهم وتمنعهم ان يقبلوا منا قال كل العرب لكم موال وليس ينبغي لاحد من المسلمين ان يقبل هديتكم وان غضبكم

احد فاعلمونا قالوا يا أمير المؤمنين انا نحب ان تقبل هديتنا وكرامتنا قال ويحكم نحن اغنى منكم فتركهم ثم مضى امير المؤمنين عليه السلام حتى نزل بارض الجزيرة فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بالجزيرة فقال ليزيد بن قيس الارحبي يا يزيد قال لبيك يا أمير المؤمنين قال هؤلاء قومك من طعامهم فاطعم ومن شرابهم فاشرب وصالح وفد بني تغلب على ان يقرهم على دينهم ولا يصبغوا ابناءهم في النصرانية ثم سار حتى بلغ قرية دون قرقيسيا فوافاه بها زياد بن النضر وشريح بن هاني اللذين كان قد وجههما في اثني عشر الفا مقدمة له فأخذا على شاطىء الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات فبلغهم اخذ علي على طريق الجزيرة وبلغهم ان معوية أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقبال علي فقالا والله ما هذا لنا برأي ان نسير وبينا وبين أمير المؤمنين هذا البحر مالنا خير ان نلقى جموع اهل الشام بقلة من عددنا منقطعين من العدد والمدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم اهلها وحبسوا عنهم السفن فأرادوا قتالهم فتحصنوا فرجعوا الى هيث فعبروا منها ولحقا عليا بتلك القرية فقال عليه السلام مقدمتي تأتي ورائي فتقدم اليه شريح وزياد فاخبراه بالذي رأيا فقال قد اصبتما رشدكما ثم سار حتى اتى الرقة وجل اهلها العثمانية الذين فروا من الكوفة برأيهم واهوائهم الى معوية فغلقوا ابوابها وتحصنوا فيها وأميرهم سماك بن مخرمة الاسدي في طاعة معوية وكان قد فارق عليا في نحو مائة رجل من بني اسد ثم أخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة رجل .

ووافاه بالرقة معقل بن قيس الذي كان ارسله علي من المدائن في ثلاثة آلاف (وروى) نصر عن عمر بن سعد حدثني مسلم الملائي عن حبة (العرني) عن علي قال لما نزل علي الرقة بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات فنزل راهب من صومعته فقال لعلي ان عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا كتبه عيسى بن مريم اعرضه عليك قال نعم فما هو قال الراهب بسم

الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر انه باعث في
الاميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويدلهم على سبيل الله لافظ
ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح امته الحمادون الذين يحمدون الله في كل نشز وفي كل صعود
وهبوط تذل السنتهم بالتهليل والتكبير وينصره الله على كل من ناواه فاذا
توفاه الله اختلفت امته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ماشاء الله ثم اختلفت فيمر
رجل من امته بشاطيء هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي
بالحق ولا يرتشي في الحكم الدنيا اهون عليه من الرماد في يوم عصفت
فيه الريح والموت اهون عليه من شرب الماء على الظمأ يخاف الله في
السر وينصح له في العلانية ولا يخاف في الله لومة لائم من ادرك ذلك
النبي من اهل هذه البلاد فآمن به كان له ثوابه رضواني والجنة ومن
ادرك ذلك العبد الصالح فلينصره فان القتيل معه شهادة فأنا مصاحبك غير
مفارقك حتى يصيبني ما اصابك فبكى علي ثم قال : الحمد لله الذي لم
يجعلني عنده منسيا الحمد لله الذي ذكرني في كتب الابرار ومضى الراهب
معه وكان فيما ذكروا يتغذى مع علي ويتعشى معه حتى اصيب يوم صفين
فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال علي اطلبوه فلما وجدوه صلى عليه
ودفنه وقال هذا منا أهل البيت واستغفر له مرارا وقال لاهل الرقة اجسروا
لي جسرا لكي اعبر من هذا المكان الى الشام فأبوا وقد كانوا ضموا
السفن عندهم وكانوا عثمانية فنهض من عندهم ليعبر علي جسر منبج
وخلف عليهم الاشتر فناداهم اني اقسم بالله لئن مضى أمير المؤمنين ولم
تجسروا له عند مدينتكم حتى يعبر منها لاجردن فيكم السيف ولاقتلن
مقاتلتكم ولاخرين ارضكم ولآخذن اموالكم فلقي بعضهم بعضا فقالوا
ان الاشتر يفي بما يقول وان عليا خلفه علينا ليأتينا منه الشر فبعثوا اليه
انا ناصبون لكم جسرا فأقبلوا فارسل الاشتر الى علي فجاء ونصبوا له
الجسر فعبر علي الاثقال والرحال ثم امر الاشتر فوقف في ثلاثة آلاف

فارس حتى لم يبق احد من الناس الا عبر ثم انه عبر آخر الناس وازدحمت الخيل حين عبرت فسقطت قلنسوة عبد الرحمن بن أبي الحصين فنزل فأخذها وركب وسقطت قلنسوة عبدالله بن الحجاج فنزل فأخذها ثم ركب فقال لصاحبه ان يكن ظن الزاجر الطائر صادقا كما يزعمون اقتل وشيكا وتقتل فقال عبدالرحمن ماشيء احب الي مما ذكرت فقتلا جميعا يوم صفين فلما عبر على الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هاني فسرحهما امامه نحو معوية على حالهما الذي كانا عليه حين خرجا من الكوفة في اثني عشر الفا فلقيهم أبو الاعور في جند اهل الشام فدعوهم الى الدخول في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام فأبوا فبعثوا الى علي عليه السلام انا قد لقينا أبا الاعور السلمي بسور الروم في جند من اهل الشام فدعوناه واصحابه الى الدخول في طاعتك فأبوا فمرنا بأمرك فأرسل علي الاشتر فقال يامال ان زيادا وشريحا ارسلا الي يعلماني انهما لقيا أبا الاعور في جند من اهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول انه تركهم متواقفين فالنجاء الى اصحابك النجاء فاذا اتيتهم فأنت الامير عليهم واياك ان تبدأ القوم بقتال الا ان يبدأوك ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف في القلب ولا تدن منهم دنو من يريد ان ينشب الحرب ولا تتباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى اقدم عليك فاني حثيث السير اليك ان شاء الله وكتب اليهما اما بعد فاني امرت عليكما مالكا فاسمعا له واطيعا امره فانه ممن لايخاف رهقه ولاسقاطه ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم ولا الاسراع الى ما البطؤ عنه امثل فقدم عليهم الاشتر وكف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى اذا كان عند المساء حمل عليهم ابو الاعور فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم انصرف أهل الشام ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عدتها وعددها وخرج اليهم أبو الاعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال فصبر القوم بعضهم لبعض ثم انصرفوا وبكر عليهم الاشتر فقتل منهم عبدالله بن المنذر التنوخي .

(القتال على المـــاء)

فاذا أبو الاعور السلمي صاحب مقدمة معوية قد سبق الى سهول الارض وسعة المنزل وشريعة الماء مكان افيح فأتاه الاشتر وكان علي عليه السلام في اربعة آلاف من مستبصري اهل العراق فزالوا أبا الاعور عن معسكــره فأقبل معوية في جميع الفيلق فلما رأى ذلك الاشتر انحاز الى علي عليــه السلام وغلب معوية على الماء وحال بين اهل العراق وبينه وذهب شباب من الناس وغلمانهم يستقون فمنعهم اهل الشام فقال عبدالله بن عوف ابن الاحمر لما قدمنا على معوية واهل الشام بصفين وجدناهم قد نزلوا منزلا اختاروه مستويا بساطا واسعا واخذوا الشريعة فهي في ايديهم وقد صف أبو الاعور عليها الخيل والرجالة وقدم الرامية ومعهم اصحاب الرمـــاح والدرق وعلى رؤوسهم البيض وقد اجمعوا ان يمنعونا الماء ففزعنا الى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرناه فدعا صعصعة بن صوحان فقال ائت معوية فقل انا سرنا مسيرنا هذا وانا اكره قتالكم قبل الاعذار اليكم وانك قــد قدمت بخيلك تقاتلنا قبل ان نقاتلك وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه اخرى قد فعلتموها حلتم بين النـــاس وبين الماء فخل بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا لــــه وقدمتم وان كان احب اليك ان ندع ماجئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فقال معوية لاصحابه ما ترون قال الوليد بن عقبة امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان حصروه اربعين يوما ينعونــه الماء ولين الطعام اقتلهم عطشا قتلهم الله قال عمرو بن العاص خل بين القوم وبين الماء فانهم لن يعطشوا وانت ريان ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم فاعاد الوليد مقالته وقال عبد الله بن سعد بن أبــي سفيان وهو اخو عثمان من الرضاعة امنعهم الماء الى الليل فانهم ان لــم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمتهم امنعهم الماء منعهم الله اياه يوم القيامة فقال صعصعة انما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر ضربك وضرب هذا الفاسق يعني الوليد بن عقبة فتواثبوا اليـــه

يشتمونه ويتهددونه فقال معوية كفوا عن الرجل فانه رسول فقال صعصعة لمعوية ما ترد علي قال سيأتيكم رأيي فوالله ما راعنا الا تسوية الرجال والخيل والصفوف فارسل الى ابي الاعور امنعهم الماء وقال السليل ابن عمرو السكوني يخاطب معوية :

امنع الماء من صحاب علي ان يذوقوه والذليل ذليل
واقتل القوم مثلما قتل الشيـ ـخ ظما والقصاص امر جميل
فامنع القوم ماء كم ليس للقو م بقاء وان يكن فقليل

فقال معوية الرأي ما تقول ولكن عمرا لا يدعني فقال عمرو خل بينهم وبين الماء فان عليا لم يكن ليظمأ وانت ريان وفي يده اعنة الخيل وهو ينظر الى الفرات حتى يشرب أو يموت وانت تعلم انه الشجاع المطرق ومعه اهل العراق واهل الحجاز وقد سمعته انا وانت وهو يقول لو استمكنت من اربعين رجلا فذكر امرا يعني لو ان معي اربعين رجلا يوم فتش البيت يعني بيت فاطمة ذكر ذلك نصر في كتاب صفين وفرح اهل الشام بالغلبة على الماء فقال معوية يا اهل الشام هذا والله اول الظفر لا سقاني الله ولا سقي ابا سفيان ان شربوا منه ابدا حتى يقتلوا باجمعهم عليه وتباشر اهل الشام فقام الى معوية رجل من اهل الشام يقال له المعري بن الاقبل الهمداني وكان ناسكا وكان له لسان وكان صديقا ومؤاخيا لعمرو بن العاص فقال يا معوية سبحان الله ان سبقتم القوم الى الفرات فغلبتموهم عليه تمنعونهم عنه اما والله لو سبقوكم اليه لسقوكم منه اما تعلمون ان فيهم العبد والآمة والاجير والضعيف ومن لا ذنب له هذا والله اول الجور لقد شجعت الجبان وبصرت المرتاب وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك فاغلظ له معوية وقال لعمرو : اكفني صديقك فأتاه عمرو فاغلظ له فقال الهمداني في ذلك :

لعمر أبي معوية بن حرب وعمرو ما لدائهما دواء
سوى طعن يحار العقل فيه وضرب حين تختلط الدماء
فلست يتابع دين ابن هند طوال الدهر ما ارسى حراء

لقد ذهب العتاب فلا عتاب | وقد ذهب الولاء فلا ولاء
وقولي في حوادث كل امر | على عمرو وصاحبه العفاء
الا لله درك يا ابن هند | لقد ذهب الحياء فلا حياء
اتحمون الفرات على رجال | وفي ايديهم الاسل الظماء
وفي الاعناق اسياف حداد | كأن القوم عندكم نساء
فترجو ان يجاوركم علي | بلا ماء وللاحزاب ماء

ثم سار الهمداني في سواد الليل فلحق بعلي وبقي اصحاب علي (ع) يوما وليلة بغير ماء واغتم علي (ع) تما فيه اهل العراق من العطش فخرج نحو رايات مذجح واذا رجل ينادي :

ايمنعنا القوم ماء الفرات | وفينا السيوف وفينا الحجف
وفينا علي له صولة | اذا خوفوه الردى لم يخف
فنحن الذين غداة الزبير | وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا امس اسد العرين | وما بالنا اليوم شاء النجف
فاما تحلوا بشط الفرات | ومنا ومنهم عليه الجيف
واما تموتوا على طاعة | تحل الجنان وتحبو الشرف

ومضى الى راية كندة فاذا مناد ينادي الى جنب منزل الاشعث ويقول:

لئن لم يجل الاشعث اليوم كربة | من الموت فيها النفوس تفتت
فنشرب من ماء الفرات بسيفه | فهبنا اناسا قبل كانوا فموتوا
فان انتلم تجمع لنا اليوم امرنا | وتلقى التي فيها عليك التشتت
فمنذا الذي تثنى الخناصر باسمه | سواك ومن هذا اليه التلفت
وهل من بقاء بعد يوم وليلة | نظل عطاشى والعدو يصوت
وانت امرؤ من عصبة يمنية | وكل امرىء من غصنه حين ينبت

فلما سمع الاشعث قول الرجل اتى عليا من ليلته فقال : يا أمير المؤمنين ايمنعنا القوم ماء الفرات وانت فينا ومعنا السيوف خل عنا وعن القوم فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت ومر الاشتر فليعل بخيله حتى آمره فقال ذاك اليك فرجع الاشتر فنادى في الناس من كان يريد الموت او الماء

فميعاده الصبح فاني ناهض الى الماء فاتاه من ليلته اثنا عشر الف رجل وشد عليه سلاحه وهو يقول :

ميعادنا اليوم بياض الصبح هل يصلح الزاد بغير ملح
لا لا ولا امر بغير نصح دبوا الى القوم بطعن سمح
لا صلح للقوم واين صلحي حسبي من الاقحام قاب رمح

فلما اصبح الاشعث دب في الناس وسيوفهم على عواتقهم وجعل يلقي رمحه ويقول بأبي انتم وامي تقدموا قاب رمحي فلم يزل ذلك دأبه حتى خالط القوم وحسر عن رأسه ونادى انا الاشعث ابن قيس خلوا عن الماء فنادى ابو الاعور السلمي اما والله لا حتى تأخذنا واياكم السيوف فقال الاشعث قد والله اظنها دنت منا وحمل عبدالله ابن عوف بن الاحمر وكان من فرسان علي عليه السلام فجعل يضربهم بالسيف وهو يقول :

خلوا لنا عن الفرات الجاري او اثبتوا للجحفل الجرار
لكل قرم مستميت شاري «١» مطاعن برمحه كرار
ضراب هامات العدى مغوار

ودعا الاشتر الحارث بن همام النخعي ثم الصهباني فاعطاه لواءه ثم قال يا حارث لولا اني اعلم انك تصبر عند الموت لاخذت لوائي منك ولم احبك بكرامتي قال والله يا مالك لاسرنك اليوم أو لاموتن فاتبعني فتقدم وهو يقول :

يا اشتر الخير ويا خير النخع وصاحب النصر اذا عم الفزع
وكاشف الامر اذا الامر وقع ما انت في الحرب العوان بالجذع
قد جزع القوم وعموا بالجزع وجرعوا الغيظ وغصوا بالجرع
ان تسقنا الماء فما هي بالبدع او نعطش اليوم فجد يقتطع
ما شئت خذ منا وما شئت فدع

فقال الاشتر ادن مني يا حارث فدنا منه فقبل رأسه وقال لا تتبع هذا اليوم الا خيرا ثم قام الاشتر يحرض اصحابه ويقول فدتكم نفسي شدوا شدة المحرج الراجي الفرج فاذا نالتكم الرماح فالتووا فيها واذا عضتكم

السيوف فليعض الرجل على نواجذه فانه اشد لشؤون الرأس ثم استقبلوا القوم بهاماتكم وكان الاشتر يومئذ على فرس له محذوف ادهم كأنه حلك الغراب . وقتل الاشتر في تلك المعركة سبعة وقتل الاشعث فيها خمسة فاول قتيل قتله الاشتر ذلك اليوم بيده من اهل الشام رجل يقال له صالح بن فيروز وكان مشهورا بشدة البأس فارتجز على الاشتر فقال :

ياصاحب الطرف الحصان الادهم اقدم اذا شئت علينا اقدم

انا ابن ذي العز وذي التكرم سيد عك كل عك فاعلم

فبرز اليه الاشتر وهو يقول :

آليت لاارجع حتى اضربا بسيفي المصقول ضربا معجبا

انا ابن خير مذحج مركبا من خيرها نفسا واما وابا

ثم شد عليه بالرمح فقتله فخرج اليه فارس آخر يقال له مالك ابن ادهم السلماني وكان من فرسان اهل الشام وشد على الاشتر فلما رهقه التوى الاشتر على الفرس ومار السنان فاخطأه ثم استوى على فرسه وشد عليه بالرمح وهو يقول :

خانك رمح لم يكن خوانا وكان قدما يقتل الفرسانا

لفارس يخترم الاقرانا اشهل لا وغلا ولا جبانا

فقتله ثم خرج فارس آخر يقال له رياح بن عتيك الغساني وهو يقول :

اني زعيم مالك بضرب بذي غرارين جميع القلب

عبل الذراعين شديد الصلب

(وفي رواية) شديد العصب فخرج الاشتر وهو يقول :

رويد لا تجزع من جلادي جلاد شخص جامع الفؤاد

يجيب في الروع دعا المنادي يشد بالسيف على الاعادي

فشد عليه فقتله ثم خرج اليه فارس آخر يقال له ابراهيم ابن الوضاح الجمحي وهو يقول :

هل لك يا اشتر في برازي براز ذي غشم وذي اعتزاز

مقاوم لقرنه لزاز

فخرج اليه الاشتر وهو يقول :

نعم نعـم اطلبه شهيـــدا معي حسام يقصم الحديـــدا
يترك هامات العدى حصيدا

فقتله ثم خرج اليه فارس آخر يقال له زامل بن عبيد الخزامي وكـان من اصحاب الالوية فشد عليه وهو يقول :

ياصاحب السيف الخضيب المذرب وصاحب الجوشن ذاك المذهـب
هل لك في طعن غـلام مجرب يحمل رمحـا مستقيم الثعلـب
ليس بحيـاد ولا مغلب

فطعن الاشتر في موضع الجوشن فصرعه عن فرسه ولم يصب مقتلا وشد عليه الاشتر فكسف قوائم الفرس بالسيف وهو يقول :

لا بد من قتلي او من قتلكا قتلت منكم خمسة مـن قبلكا
وكلهم كانوا حماة مثلكا

ثم ضربه بالسيف وهما راجلان فقتله ثم خرج اليه فارس يقال لـه الاجلح بن منصور الكندي وكان من اعلام العرب وفرسانها وكان علـى فرس يقال له لا حق فلما استقبله الاشتر كره لقاء الاشتر واستحيـا ان يرجع فشد عليه الاشتر وهو يقول :

بليت بالاشتر ذاك المذحجي بفارس في حلـق مدجـج
كالليث ليث الغابة المهيـج اذا دعـاه القرن لـم يعرج

فضربه الاشتر فقتله وقالت حبلـة بنت منصور اخت الاجلح حـين اتاها مصابه ترثيه :

الا فابكي اخـا ثقة فقد والله ابلينـا
فقتل الماجـد القمقام لا مثل لـه فينـا
اتانا اليوم مقتلـه فقـد جزت نواصينـا
كريم ماجـد الجدين يشفي من اعادينـا
وممن قـاد جيشهم علـي والمضلونـا
شفانا الله من اهل الـ عراق فقـد ابادونـا
اما يخشون ربهـم ولم يرعوا له دينـا

وماتت حزنا على اخيها وقال امير المؤمنين عليه السلام لما بلغه مرثيتها اخاها اما انهن ليس يملكن ما رأيتم من الجزع اما انهم قد اضروا بنسائهم فتركوهن خزايا من قبل ابن آكلة الاكباد اللهم حمله آثامهم واوزارهم واثقالا مع اثقالهم ثم خرج اليه محمد بن روضة الجمحي وهو يضرب في اهل العراق ضربا منكرا ويقول :

يا ساكني الكوفة يا اهل الفتن   يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
ورث صدري قتله طول الحزن   اضربكم ولا ارى أبا حسن

فشد عليه الاشتر وهو يقول :

يا طالبا بالثأر في عثمانا   انزل ربي بكم الهوانا
ولا يسلي عنكم الاحزانا   مخالف قد خالف الرحمانا
نصرتموه عابدا شيطانا

ثم ضربه فقتله ثم اقبل الاشتر يضرب بسيفه جمهور الناس حتى كشف أهل الشام عن الماء وهو يقول :

لا تذكروا ما قد مضى وفاتا   والله ربي باعث امواتا
من بعد ما صاروا كذا رفاتا   لاوردن خيلي الفراتا
شعث النواصي او يقال ماتا

وكان لواء الاشعث مع معوية بن الحارث فقال له الاشعث لله انت ليست النخع بخير من كندة قدم لواءك فتقدم صاحب اللواء وهو يقول :

انعطش اليوم وفينا الاشعث   فابشروا فانكم لن تلبثوا
ان تشربوا الماء فلا تريثوا

وكان الاشتر قد تعالى بخيله حيث امره علي عليه السلام فبعث اليه الاشعث ان اقحم الخيل فاقحمها حتى وضعت سنابكها في الفرات واخذت القوم السيوف فولوا مدبرين فقال (ع) هذا يوم نصرنا فيه الاشعث بالحمية وقال الاشعث يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء . وقال عمرو بن العاص لمعوية ما ظنك بالقوم ان منعوك الماء اليوم كما منعتهم امس اتراك ضاربهم عليه كما ضاربوك عليه وما اغنى عنك ان تكشف لهم

السوأة قال دع عنك ما مضى ما ظنك بعلي قال ظني انه لا يستحل منك ما استحللت منه وان الذي جاء له غير الماء فلما غلب علي على الماء فطرد عنه أهل الشام بعث الى معوية انا لا نكافيك بصنعك هلم الى الماء فنحن وانتم فيه سواء فأخذ كل منهما بالشريعة مما يليه وقال علي لاصحابه ان الخطب اعظم من منع الماء وقال معوية لله در عمرو ما عصيته في امر الا اخطأت الرأي فيـــــه .

(المراسلة بين علي ومعوية بصفين)

ومكث علي يومين لا يراسل معوية ولا يأتيه من قبل معوية احد ثم ان عليا دعا بشير بن عمرو بن محصن الانصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي فقال ائتوا هذا الرجل فادعوه الى الله عز وجل والى الطاعة والجماعة والى اتباع امر الله تعالى فقال له شبث الا نطمعــه في سلطان توليه اياه ومنزلة تكون له بها اثرة عندك ان هو بايعك قال علي ائتوه الان فالقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه وهذا في ربيع الاخر فأتوه فحمد الله ابو عمرة بن محصن واثنى عليه وقال يا معوية ان الدنيا عنك زائلة وان الله مجازيك بعملك واني انشدك بالله ان تفرق جماعة هذه الامة وتسفك دماءها بينها فقطع معوية عليه الكلام فقال هلا اوصيت صاحبك فقال سبحان الله ان صاحبي ليس مثلك ان صاحبي احق البرية بهذا الامر في الفضل والدين والسابقة في الاسلام والقرابة من رسول الله (ص) قال معوية فتقول ماذا قال ادعوك الى تقوى ربك واجابة ابن عمك الى ما يدعوك اليه من الحق فانه اسلم لك في دينك وخير لك في عاقبة امرك قال ويطل دم عثمان لا والرحمن لا افعل ذلك ابدا فذهب سعيد يتكلم فبدره شبث بن ربعي فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معوية انه لا يخفى علينا ما تقرب وما تطلب انك لا تجد شيئا تستهوي به الناس الا ان قلت لهم قتل امامكم مظلوما فهلموا نطلب بدمه فاستجاب لــك سفهاء طغام رذال وقد علمنا انك ابطأت عليه بالنصر واحببت له القتــل لهذه المنزلة التي تطلب ورب مبتغ امرا يحول الله دونــه وربما اوتي

المتمني امنيته وربما لم يؤتها والله مالك في واحدة منهما خير والله ان اخطأك ما ترجو انك لشر العرب حالا ولئن اصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق صلا النار فاتق الله يا معوية ولا تنازع الامر اهله فقال معوية اني اول ما عرفت به سفهك وخفة حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقة ثم عتبت بعد فيما لا علم لك به ولقد كذبت ولوءمت ايها الاعرابي الجلف الجافي في كل ما وصفت وذكرت انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم الا السيف فخرجوا وشبث يقول افعلينا تهول بالسيف انا والله لنعجلنه اليك فأتوا عليا فأخبروه بما كان وخرج قراء اهل العراق وقراء اهل الشام فعسكروا ناحية صفين في ثلاثين الفا وعسكر علي على الماء وعسكر معوية فوق ذلك ومشت القراء فيما بين معوية وعلي فيهم عبيدة السلماني وعلقمة بن قيس النخعي وعبد الله بن عتبة وعامر بن عبد القيس وقد كان في بعض تلك السواحل فانصرف الى عسكر علي فدخلوا على معوية فقالوا ما الذي تطلب قال اطلب بدم عثمان قالوا ممن قال من علي قالوا وعلي قتله قال نعم هو قتله وآوى قاتليه فدخلوا على علي فقالوا ان معوية يزعم انك قتلت عثمان قال اللهم لكذب فيما قال لم اقتله فرجعوا الى معاوية فأخبروه فقال ان لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالا فرجعوا الى علي فقالوا ان معاوية يزعم انك ان لم تكن قتلت بيدك فقد امرت ومالات فقال اللهم كذب فيما قال فرجعوا الى معاوية فقالوا ان عليا يزعم انه لم يفعل فقال ان كان صادقا فليمكنا من قتلة عثمان فانهم في عسكره وجنده واصحابه وعضده فرجعوا الى علي فاخبروه فقال لهم علي تأول القوم عليه القرآن ووقعت الفرقة وقتلوه في سلطانه وليس على ضربهم قود فخصم علي معوية ذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفين قال معوية ان كان الامر كما يزعم فما له ابتز الامر دوننا على غير مشورة منا و لامن ها هنا معنا فقال علي انما الناس تبع المهاجرين والانصار وهم شهود المسلمين في البلاد على ولايتهم وامر دينهم فرضوا بي وبايعوني فرجعوا الى معاوية فأخبروه بذلك فقال ليس كما يقول فما بال من هنا من

المهاجرين والانصار لم يدخلوا في هذا الامر فانصرفوا الى علي فقالوا له ذلك فقال ويحكم هذا للبدريين دون الصحابة ليس في الارض بدري الا قد بايعني وهو معي او قد اقام ورضي فلا يغرنكم معاوية من انفسكم ودينكم فتراسلوا ثلاثة اشهر ربيع الاخر وجمادين «١» فيزحف بعضهم الى بعض ويحجز القراء بينهم فتزاحفوا خمسا وثمانين مرة في ثلاثة اشهر وتحجز القراء بينهم ولا يكون بينهم قتال وخرج أبو امامة الباهلي وابو الدرداء فدخلا على معوية وكانا معه فقالا علام تقاتل هذا الرجل فوالله لهو اقدم منك سلما واحق بهذا الامر منك واقرب من النبي (ص) فعلام تقاتله فقال اقاتله على دم عثمان وانه آوى قتلته فقولوا له فليقدنا من قتلته وأنا اول من بايعه فانطلقوا الى علي فأخبروه فقال هم الذين ترون فخرج عشرون الفا او اكثر مسربلين في الحديد لا يرى منهم الا الحذق فقالوا كلنا قتلته فان شاؤوا فليروموا ذلك منا فرجع ابو امامة وابو الدرداء فلم يشهدا شيئا من القتال حتى اذا كان رجب وخاف معاوية ان يبايع القراء عليا على القتال اخذ في المكر واخذ يحتال للقراء لكيما يحجموا عنه ويكفوا حتى ينظروا •

(حيلة لمعوية)

وكتب معاوية في سهم من عبد الله الناصح فاني اخبركم ان معاوية يريد ان يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذركم ورمي بالسهم في عسكر علي فوقع في يد رجل من أهل الكوفة وتداولته الايدي حتى وصل الى امير المؤمنين فقالوا هذا رجل ناصح كتب يخبركم بما اراد معاوية وبعث معاوية مائتي رجل من الفعلة الى عاقول من النهر بايديهم المرور والزبيل يحفرون فيها بحيال عسكر علي فقال علي ويحكم ان الذي يحاول معاوية لا يستقيم له وانما يريد ان يزيلكم عن مكانكم فقالوا له هم والله يحفرون الساعة فقال يا اهل العراق لا تكونوا ضعفى ويحكم لا تغلبوني على رأيي فقالوا والله لنرتحلن فان شئت فارتحل وان شئت فاقم فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم وارتحل علي آخر الناس وهو يقول :

ولو اني اطعت عصبت قومي الى ركن اليمامـــة او شآم
ولكني اذا ابرمت امــرا منيت بخلف اراء الطغـــام

وارتحل معاوية فنزل بمعسكر علي الذي كان فيه فدعا علي الاشتر فقال الم تغلبني على رأيي انت والاشعث فدونكما فقال الاشعث انا اكفيك يا امير المؤمنين سأداوي ما افسدت اليوم من ذلك فجمع كندة فقـال لا تفضحوني اليوم انما اقارع بكم اهل الشام فخرجوا معه رجلا يمشون وبيد الاشعث رمح له يلقيـه على الارض ويقـول امشوا قيس رمحي فيمشون فلم يزل يقيس لهم على الارض برمحه ويمشون معه رجالة قـد كسروا جفون سيوفهم حتى لقوا معاوية وسط بني سليم واقفا على الماء وقد جاءه اداني عسكره فاقتتلوا قتالا شديدا على الماء ساعة وانتهى اوائل اهل العراق فنزلوا واقبل الاشتر في خيل فحمل على معوية والاشعث يحارب في ناحية فانحاز معاوية في بني سليم فردوا وجوه ابله قدر ثلاثة فراسخ ثم نزل ووضع اهل الشام اثقالهم والاشعث يهدر ويقول ارضيت يا امير المؤمنين ثم غاداهم علي القتال وعلى رايته يومئذ هاشم بن عتبة المرقـال وبرز يومئذ عوف مـن اصحاب معوية فبرز اليه علقمة بن عمرو مـن اصحاب علي فطعنه علقمة فقتله فمكثوا على ذلك حتى كان ذو الحجـة فجعل علي يأمر هذا الرجل الشريف فيخرج معه جماعة فيقاتل ويخرج اليه من اصحاب معاوية رجل معه جمع آخر فيقتتلان في خيلهما ورجلهما ثم ينصر فان واخذوا يكرهون ان يتزاحفوا بجميع الفيلق من اهـل العراق واهل الشام مخافة الاستئصال والهلاك وكان علي يخرج الاشتر مرة في خيله ومرة حجر بن عدي او شبث ابن ربعي التميمي او خالد بن المعمر السدوسي او زياد بن النضر الحارثي او زياد بن جعفر الكندي او سعيد بن قيس الهمداني او معقل بن قيس الرياحي او قيس بن سعد بن عبادة واكثرهم خروجا الاشتر وكان معاوية يخرج اليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي او ابا الاعور السلمي او حبيب بن مسلمة الفهري او ابـن ذي الكلاع او عبيد الله ابن عمر بن الخطاب او شرحبيل بن السمط او حمزة

بن مالك الهمداني فاقتتلوا ذا الحجة وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين اوله وآخره وخرج الاشتر يوما فقاتل بصفين في رجال من القراء ورجال من فرسان العرب فاشتد قتالهم (قال الراوي) فخرج علينا رجل لقلما رأيت رجلا قط هو اطول ولا اعظم منه فدعا الى المبارزة فلم يبرز اليه احد وبرز اليه الاشتر فاختلفا ضربتين وضربه الاشتر فقتله وايم الله لقد كنا اشفقنا عليه وسألناه ان لا يخرج اليه وهو سهم بن ابي العيزار • وجاء رجل من الازد فقال اقسم بالله لاقتلن قاتلك فحمل على الاشتر فضربه الاشتر فاذا هو بين يدي فرسه وحمل اصحابه فاستنقذوه جريحا فقال ابو رقيقة السهمي كان هذا نارا فصادفت اعصارا فاقتتل الناس ذا الحجة كله فلما مضى ذو الحجة تداعى الناس ان يكف بعضهم عن بعض الى ان ينقضي المحرم لعل الله ان يجري صلحا واجتماعا فكف الناس بعضهم عن بعض •

(استئناف المراسلة)

ولما توادع علي ومعوية بصفين اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح فارسل علي الى معوية عدي بن حاتم وشبث بن ربعي ويزيد ابن قيس الارحبي وزياد بن خصفة التميمي فدخلوا على معوية فحمد الله عدي بن حاتم واثنى عليه ثم قال اما بعد فانا اتيناك لندعوك الى امر يجمع الله به كلمتنا وامتنا ويحقن الله به دماء المسلمين وندعوك الى افضلها سابقة واحسنها في الاسلام آثارا وقد اجتمع له الناس فلم يبق احد غيرك وغير من معك فاتته يا معوية من قبل ان يصيبك الله واصحابك بمثل يوم الجمل فقال معوية كأنك انما جئت متهددا ولم تأت مصلحا هيهات يا عدي كلا والله اني لابن حرب ما يقعقع لي بالشنان اما والله انك لمن المجلبين على ابن عفان وانك لمن قتلته وقال له شبث وزياد ابن ابن خصفة اتيناك فيما يصلحنا واياك فاقبلت تضرب الامثال لنا دع ما لا ينفع من القول والفعل واجبنا فيما يعمنا واياك نفعه وقال يزيد ابن قيس ان صاحبنا لمن عرفت وعرف المسلمون فضله ولا اظنه يخفى عليك ان اهل الدين

والفضل لن يعدلوك بعلي فاتق الله يا معوية ولا تخالف عليا فانا والله ما رأينا رجلا قط اعمل بالتقوى ولا ازهد في الدنيا ولا اجمع لخصال الخير كلها منه (فقال معوية) : انكم دعوتم الى الطاعة والجماعة فاما الجماعة التي دعوتم اليها فنعما هي واما الطاعة لصاحبكم فانا لا نراها ان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثارنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لا نرد ذلك عليه فليدفع الينا قتلته لنقتلهم به ونحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة فقال شبث بن ربعي ايسرك انك امكنت من عمار ابن ياسر فقتلته قال وما يمنعني من ذلك والله لو امكنني من ابن سمية ما قتلته بعثمان ولكن بنائل مولى عثمان فقال له شبث وآله السماء ما عدلت معدلا لا والله لا تصل الى قتل ابن ياسر حتى تندر الهام عن كواهل الرجال وتضيق الارض الفضاء عليك برحبها فقال له معوية لو كان ذلك كانت عليك اضيق ورجعوا فبعث معاوية الى زياد بن خصفة فقال له يا اخا ربيعة ان عليا قطع ارحامنا وقتل اممنا وآوى قتلة صاحبنا واني اسألك النصرة عليه باسرتك وعشيرتك ولك علي عهد الله وميثاقه اذا ظهرت ان اوليك اي المصرين احببت فقال له زياد اني لعلى بينة من ربي وبما انعم علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ثم قام فقال معاوية لعمرو بن العاص وكان الى جانبه ليس يتكلم رجل منهم بكلمة يخالف صاحبه ما لهم قصمهم الله ما قلوبهم الا قلب رجل واحد وبعث معاوية الى حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الاخنس السلمي فدخلوا على علي فقال حبيب ابن مسلمة ان عثمان كان خليفة مهديا فاستثقلتم حياته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلة عثمان نقتلهم به فان قلت انك لم تقتله فاعتزل امر الناس فيكون امرهم شورى بينهم فقال له علي وما انت لا ام لك والولاية والعزل والدخول في هذا الامر اسكت فانك لست هنا ولا باهل لذاك فقال حبيب بن مسلمة اما والله لتريني حيث تكره فقال له علي وما انت ولو اجلبت بخيلك ورجلك اذهب فصوب وصعد ما بدا لك فلا ابقى الله عليك ان ابقيت فقال شرحبيل ان كلمتك

فلعمري ما كلامي اياك الا كنحو من كلام صاحبي فهل لي عندك جواب غير الذي اجبته به فقال علي عليه السلام عندي جواب غير الذي اجبته به لك ولصاحبك ثم ذكر كلاما قال في آخره : ثم ولي امر الناس عثمن فعمل باشياء ابها الناس عليه فسار اليه ناس فقتلوه ثم اتاني الناس وانا معتزل امرهم فابيت عليهم فقالوا لي ان الامة لا ترضى الا بك وانا نخاف ان لم تفعل ان يفترق الناس فبايعنهم فلم يرعني الا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية اياي الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الاسلام طليق ابن طليق وحزب من الاحزاب لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدوا هو وابوه حتى دخلا في الاسلام كارهين مكرهين فعجبنا لكم ولاجلابكم معه وانقيادكم له وتدعون اهل بيت نبيكم (ص) الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا ان تعدلوا بهم احدا من الناس اني ادعوكم الى كتاب الله عز وجل وسنة نبيكم (ص) واماتة الباطل واحياء معالم الدين فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد اتشهد ان عثمان قتل مظلوما فقال اني لا اقول ذلك قالا فمن لم يشهد انه قتل مظلوما فنحن براء منه ثم انصرفا فقال علي (ع) انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم الآية ثم اقبل على اصحابه فقال لا يكن هؤلاء باولى بالجد في ضلالتهم منكم في حقكم ثم مكث الناس حتى دنا انسلاخ المحرم فقال حابس بن سعيد الطائي وكان صاحب لواء طيء مع معاوية وقتل معه •

اما بين المنايا غير سبع ... بقين من المحرم اوثماني

اينهانا كتاب الله عنهم ... ولا ينهاهم السبع المثاني

فلما انسلخ المحرم واستقبل صفر سنة ٣٧ بعث علي نفرا من اصحابه فيهم مرثدين الحارث الجشمي حتى اذا كانوا من عسكر معاوية بحيث يسمعونهم الصوت نادى مرثد عند غروب الشمس : يا اهل الشام ان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب واصحاب رسول الله (ص) يقولون لكم انا والله ما كففنا عنكم شكا في امر كم ولا بقيا عليكم وانما كففنا عنكم

لخروج المحرم ثم انسلخ وانا قد نبذنا اليكم علـى سواء ان الله لا يحب الخائنين (وفي رواية) امره فنادي يا أهل الشـام الا ان امير المؤمنـين يقول لكم اني قداستنبذتكم واستأنيتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه واحتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه فلم تتناهوا عن طغيان ولم تجيبوا الى حق واني قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فثار الناس الى امرائهم ورؤسائهم وخرج معاوية وعمرو بن العـاص يكتبان الكتائب ويعبيان العساكر واوقدوا النيران وجاؤوا بالشمـوع وبات علي ليلته كلها يعبي الناس ويكتب الكتائب ويدور فـي الناس ويحرضهم •

(وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لعسكره)

كان أمير المؤمنين عليه السلام يأمر عساكره في كل موطن لقوا معه عدوه فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم فانكـم بحمد الله على حجـة وتركَكم اياهم حتى يبدؤوا كم حجة اخرى لكم عليهم فـاذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل فاذا وصلتم الى رحال القـوم فـلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا الا باذني ولا تأخذوا شيئا من اموالهم الا ما وجدتم فـي عسكرهم ولا تهيجوا امرأ ة الا بأذني وانشتمن اعراضكم وتناولن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القوى والانفس والعقول ولقد كنا وانا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان ألرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة او الكديد فيعير بها عقبة من بعده • وسمع منه عليه السلام ايام الجمل وصفين والنهروان انه كان يقول للناس : عباد الله اتقوا الله عز وجل وغضوا الابصار واخفضوا الاصوات واقلوا الكلام ووطنوا انفسكم على المنازلة والمجاولة والمبارزة والمعانقة والمكادمة واثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين اللهم ألهمهم الصبر وانزل عليهم النصر واعظم لهم الاجر

(ابتداء الوقعة العظمى يوم صفين)

قال نصر عقد امير المؤمنين ومعوية الالوية وامرا الامراء وكتبـــا الكتائب فاستعمل علي (ع) على الخيل عمار بن ياسر وفي رواية انـه استعمله على رجالة اهل الكوفة وعلى خيل اهل الكوفة الاشتر وعلى خيل اهل البصرة سهل بن حنيف وعلى الرجالة عبدالله بن بديـل ابن ورقاء الخزاعي وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد وكان قد اقبل من مصر الى صفين فانه كان واليا بمصر كما مر ودفع اللواء الى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري وجعل الميمنة اليمن وعليهـا الاشعث ابن قيس وعلى رجالتها سليمان بن صرد الخزاعي وجعل الميسرة ربيعة وعليها عبد الله بن عباس وعلى رجالتها الحارث بن مرة العبدي وجعـل القلب مضر الكوفة والبصرة وعقد الوية القبائل فاعطاها قوما باعيانهم جعلهم رؤساءهم وامراءهم فعلى قريش واسد وكنانة عبدالله بـن عباس وعلـى كندة حجر بن عدي وعلى بكر البصرة حضين بن المنذر وعلى تميم البصرة الاحنف بن قيس وعلى خزاعة عمرو بن الحمق وعلى سعد ورباب البصـرة جارية بن قدامة السعدي وعلى بجيلة رفاعة بن شداد وعلى قضاعة وطيء علي بن حاتم وعلى همدان سعيد بن قيس وعـلى مذحج الاشتر بـن الحارث النخعي وعلى عبد القيس الكوفة صعصعة ابن صوحان وعلـى قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل الكناني وعلى ذهل الكوفة يزيد بن رويم الشيباني الى غير ذلك واستعمل معاوية على الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب وعلى الرجالة مسلم بن عقبة المري صاحب وقعـة الحرة وعلـى الميمنة وهم أهل حمص وقنسرين عبدالله بن عمر وابن العـاص وعلـى الميسرة وهم اهل الاردن وفلسطين حبيب بن مسلمة الفهري واعطى اللواء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعلي أهل دمشق وهم القلب الضحاك بن قيس الفهري وعلى أهل حمص ذو الكلاع الحميري وعلى أهل قنسرين زفر بن الحارث وعلى أهل الاردن أبا الاعور السلمي سفيان بن عمرو

وعلى رجالة دمشق بسر بن ابي ارطاة العامري وعلى رجالة حمص حوشبا ذا ظليم وعلى الخيل عمرو بن العاص واستعمل على باقي القبائل وأهل البلاد اشخاصا آخرين لا نطيل بذكرهم • وبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا انفسهم بالعمائم فكانوا خمسه صفوف معقلين وكانوا يخرجون فيصطفون احد عشر صفا ويخرج أهل العراق فيصطفون احد عشر صفا •

(علامة أهل الشام واهل العراق وشعارهم والوان راياتهم)

قال نصر كانت علامة أهل العراق بصفين الصوت الابيض قدجعلوه في رؤوسهم وعلى اكتافهم وشعارهم يا الله يا احد يا صمد يا رب محمد يا رحمن يا رحيم وكانت علامة أهل الشم خرقا بيضا قد جعلوها على رؤوسهم واكتافهم وكان شعارهم (نحن عباد الله حقا حقا) يا لثارات عثمان وكانت رايات اهل العراق سودا وحمرا ودكنا وبيضا ومعصفرة وصفرا ومورّدة والالوية مضروبة دكن وسود ولم يذكر الوان رايات اهل الشام •

(ابتداء القتال بعد الهدنة)

فخرجوا يوم لاربعاء اول يوم من صفر سنة ٣٧ وعلى من خرج من اهل الكوفة الاشتر وعلى اهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالا شديدا جل النهار ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجالة حسن عددها وعدتها وخرج اليه من اهل الشام ابو الاعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم انصرفوا وقد صبر القوم بعضهم لبعض • وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج عمرو بن العاص فاقتتل الناس كاشد القتال وجعل عمار يقول يا أهل الاسلام اتريدون ان تنظروا الى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما اراد الله ان يظهر دينه وينصر رسوله اتى النبي (ص) فاسلم وهو والله فيما يرى راهب غير راغب وقبض الله رسوله (ص) وانا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة

المجرم الا وانه معوية • وكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل فامره ان يحمل في الخيل فحمل وصبروا له وشد عمار في الرجالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه • وبارز زياد بن النضر اخاله من امه من بني عامر اسمه معاوية بن عمرو العقلي امهما هند من بني زبيد فلما التقيا تسايلا وتواقفا ثم انصرف كل واحد منهما عن صاحبه ورجع الناس يومهم ذاك • ورفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح فقال ناس هذا لواء عقده له رسول الله (ص) فبلغ ذلك عليا فقال هل تدرون ما امر هذا اللواء انه اخرج له رسول الله (ص) هذه الشقة فقال من يأخذها بما فيها فقال وما فيها قال ان لا تقاتل به مسلما ولا تفر به من كافر فأخذها فقد والله فربه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا اعوانا رجعوا الى عداوتهم منا الا انهم لم يدعوا الصلاة •

فلما كان من الغد خرج محمد بن علي بن أبي طالب وخرج اليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين فاقتلوا كاشد القتال ثم ان عبيد الله بن عمر ارسل الى محمد بن الحنفية ان اخرج الي ابارزك قال له نعم ثم خرج اليه يمشي فبصر به علي فقال من هذان المتبارزان فقيل له ابن الحنفية وابن عمر فحرك علي دابته ثم دعا محمدا فوقف له وقال امسك دابتي فامسكها ثم مشى اليه علي فقال انا ابارزك قال ليس لي في مبارزتك حاجة واخذ ابن الحنفية يقول لابيه منعتني من مبارزته فوالله لو تركتني لرجوت ان اقتله قال يا بني لو بارزته انا لقتلته ولو بارزته أنت لرجوت من أخذ بها لحق ومن تركها مرق ومن فارقها محق ليس المسلم بالخائن اذا أؤتمن ولا بالمخلف اذا وعد ولا بالكذاب اذا نطق نحن اهل بيت الرحمة وقولنا الصدق ومن فعالنا القصد ومنا خاتم النبيين وفينا قادة الاسلام ومنا قراء الكتاب ندعوكم الى الله والى رسوله والى جهاد عدوه والشدة في امره وابتغاء رضوانه واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفيء لاهله الا وان من اعجب العجب ان

معاوية بن أبي سفيان الاموي وعمرو بن العاص السهمي اصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما وقد علمتم اني لم اخالف رسول اللهصلى الله عليه وسلم قط ولم اعصه في أمر قط اقيه بنفسي في المواطن التـي ينكص فيها الابطال وترعد فيها الفرائص نجدة اكرمني الله بها فله الحمد ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رأسه لفي حجري ولقد وليت غسله بيدي وحدي تقلبه الملائكة المقربون معي وايم الله ما اختلفت امة قط بعد نبيها الاظهر اهل باطلها على اهل حقها الا ما شاء الله . فقال عمار بن ياسر اما امير المؤمنين فقد اعلمكم ان الامة لن تستقيم عليه ثم تفرق الناس وقد نفذت بصائرهم في قتل عدوهم .

وقال علي عليه السلام في هذه الليلة حتى متى لاتناهض القوم باجمعنا فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الاربعاء بعد العصر فخطبهموقال فـي آخر خطبته الا انكم لاقوا العدو سدا ان شاء الله فاطيلوا الليلة القيـام واكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله الصبر والنصر والقوهم بالجدوالحزم وكونوا صادقين ثم انصرف ووثب الناس الى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها فلما كان الليل خرج علي فعبأ الناس ليلته كلها حتى اصبـح وعقد الالوية وأمر الامراء وكتب الكتائب وبعث علي مناديا فنادييا أهل العراق اغدوا على مصافكم نصبح أهل الشام في عسكرهم واجتمعوا الى معاوية فنبأ خيله وعقد الالوية وكتب الكتائب ثم نادى معاوية اينالجند المقدم فخرج أهل حمص في راياتهم عليهم أبو الاعور السلمي ثم نودي اين اهل الاردن فخرجوا في راياتهم عليهم سفيان بن عمرو السلمي ثم ان تقتله وما كنت آمن ان يقتلك . فما كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن العباس والوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالا شديدا ودنا ابن عباس مـن الوليد فأخذ الوليد يسب بني عبد المطلب فأرسل اليه ابن عباس ان ابرز الي فأبى وقاتل ابن عباس يومئذ قتالا شديدا ثم انصرفوا عند الظهر وكل غير غالب وذلك يوم الاحد . وخرج شمر بن ابرهة بن الصباح الحميري في ذلك اليوم فلحق بعلي في ناس من قراء اهل الشام فلما رأى ذلك معوية

وعمرو بن العاص وما خرج الى علي من قبائل اهل الشام فت ذلـك في عضد معاوية وعمرو وقال عمرو يا معاوية انك تريد ان تقاتل باهل الشام رجلا له من محمد (ص) قرابة قريبة ورحم ماسة وقدم في الاسلام لا يعتد احد بمثله ونجدة في الحرب لم تكن لاحد من اصحاب محمد (ص) وانه قد سار اليك باصحاب محمد المعدودين وفرسانهم وقرائهم واشرافهـم وقدمائهم في الاسلام ولهم في النفوس مهابة ومهما نسيت فلا تنس انك على باطل فلما قال عمرو لمعوية ذلك زوق معوية خطبة وامر بالمنبر فاخرج ثم امر اجناد أهل الشام فحضروا فحمد الله واثنى عليـه ثم قال ايهـا الناس اعيرونا انفسكم وجماجمكم ولا تفشلوا ولا تخاذلوا فان اليوم يوم خطار ويوم حقيقة وحفظ فانكم على حق ولكم حجة وانما تقاتلون من نكث البيعة وسفك الدم الحرام فليس له في السماء وعاذر • ثم صعـد عمرو بن العاص مرقاتين من المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس قدموا المستلئمة واخروا الحاسر واعيروا جماجمكم ساعة فقد بلغ الحق مقطعه فانما هو ظالم أو مظلوم فلما اخبـر علي بخطبة معاويـة وعمرو وتحريضهما الناس عليه امر بالناس فجمعوا وهو متوكؤ على قوسه وقد جمع اصحاب رسول الله عنده فهم يلونه واحب ان يعلم الناس ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون عليه فحمد الله واثنى عليـه ثم قال ايها الناس اسمعوا مقالتي وعوا كلامي فان الخيلاء من التجبـر وان النخوةمن التكبروان الشيطان عدو حاضريعدكم الباطل الا انالمسلم أخو المسلم لا تنابذوا ولا تخاذلوا فان شرائع الدين واحدة وسبلهقاصدة نودي أين اهل قنسرين فجاؤوا في راياتهم عليهم زفر بن الحارث ثـم نودي أين جند الامير فجاء اهل دمشق على راياتهم وهم القلب وعليهـم الضحاك بن قيس الفهري فاطافوا بمعاوية وسار ابو الاعور وسارعمرو ابن العاص حتى وقفوا قريبا من اهل العراق وصف القلب خمسة صفوف وفعل اهل العراق كذلك وبات علي ليلته كلها يعبي الناس حتى اذا اصبح زحف بالناس وخرج اليه معاوية واهل الشام فأخذ علي يقول من هـذه

القبيلة ومن هذه القبيلة يعني قبائل اهل الشام فأمر كل قبيلة من اهل العراق ان تكفيه اختها من اهل الشام الا بجيلة لم يكن بالشام منهم الا عدد يسير ففرقهم الى لخم ثم تناهض القوم يوم الاربعاء فاقتتلوا قتالا شديدا نهارهم كله وانصرفوا عند المساء وكل غير غالب وكان علي يركب بغلاله يستلذه فلما حضرت الحرب قال ائتوني بفرس فأتي بفرس له ذنوب ادهم يقاد بشطنين يبحث بيديه الارض جميعا له حمحمة وصهيل فركبه وقال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فلما كان غداة الخميس غلس علي عليه السلام بالغداة فما رؤي انه غلس اشد من تغليسه يومئذ ثم خرج بالناس الى اهل الشام فزحف اليهم وكان هو يبدؤهم فيسير اليهم فاذا رأوه وقد زحف استقبلوه بزحوفهم فدعا بدعاء قال في آخره ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق وان اظهرتم علينا فارزقنا الشهادة واعصم بقية اصحابي من الفتنة وكان على ميمنته يومئذ عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعلى ميسرته عبد الله بن العباس وقراء العراق مع ثلاثة نفر مع عمار بن ياسر وقيس ابن سعد وعبدالله بن بديل والناس على راياتهم ومراكزهم وعلي في القلب في أهل المدينة والكوفة والبصرة وعظم من معه من المدينة الانصار ومعه من خزاعة عدد حسن ومن كنانة وغيرهم من اهل المدينة ثم زحف علي بالناس اليهم ورفع معاوية قبة له عظيمة قد القى عليها الكرابيس وجلس تحتها وزحف عبدالله بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة فلم يزل يحوزه ويكشف خيله من الميسرة حتى اضطرهم الى قبة معاوية عند الظهر .

(تحريض علي (ع) ووصاياه لعسكره)

وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يحرض اصحابه ويوصيهم وصايا مهمة في الحرب فقال : ان الله قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب ايمان بالله ورسوله وجهاد في سبيله وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ومساكن طيبة

في جنات عدن ورضوان من الله اكبر واخبركم بالذي يحبفقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهـــم بنيان مرصوص • فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدرع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبا للسيوف عن الهام واميتوا الاصوات فانه اطردللفشل واولى بالوقار والتووا في اطراف الرماحفانه امور للاسنة وراياتكم فـــلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها الا في ايدي شجعانكم المانعي الذمار• ثم ذكر كلاما معناه النهي عن ان يكل الرجل قرنه الى أخيه بل يواسيـــه بنفسه • وقال وايمالله لئن فررتم من سيف العاجلة لاتسلمون من سيف الآخرة واستعينوا بالصدق والصبر فانه بعد الصبر ينزل النصر •وطلب معاوية الى عمرو بن العاص ان يسوي صفوف أهل الشام فقال له عمرو على ان لي حكمي ان قتل الله بن أبي طالب واستوسقت لك البلادفقال اليس حكمك في مصر قال وهل مصر تكون عوضا عن الجنة وقتل ابن أبي طالب ثمنا لعذاب النار فقال معاوية ان لك حكمك أبا عبدالله انقتل ابن أبي طالب رويدا لا يسمع أهل الشام كلامك فقال لهم عمرو يا معشر اهل الشام سووا صفوفكم وأعيروا ربكم جماجمكم وجاهدوا عدو الله وعدوكم واقتلوهم قتلهم الله وابادهم واصبروا ان الارض لله يورثهـــا من يشاء والعاقبة للمتقين • وطلب معاوية الى ذي الكلاع ان يخطبالناس ويحرضهم على قتال علي واهل العراق وكان من اعظم اصحابمعاوية خطرا فقعد علي فرسه وخطب خطبة طويلة قال في آخرها كان مما قضى الله ان ضم بيننا وبين أهل ديننا صفين وانا لنعلم ان فيهم قوما كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة ذات شأن وخطر عظيم ولكنني ضربت الامر ظهرا وبطنا فلم يسعني ان يهدر دم عثمان وعدد فضائلـــه ثم قال فان كان اذنب فقد اذنب من هو خير منه قال الله عز وجل لنبيـــه صلى اللهعليهوسلموآله وسلم ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخـــر وقتل موسى نفسا ثم استغفر الله فغفر له واذنب نوح فاستغفر اللهفغفر له واذنب أبوكم آدم ثم استغفر الله فغفر له وانا لنعلم انها كانت لابـــن

أبي طالب سابقة حسنة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن مالا على قتل عثمان فقد خذله ثم قد اقبلوا من عراقهم حتى نزلوا في شامكم وبلادكم وانما عامتهم بين قاتل وخاذل ولقد رأيت في منامي لكأنا واهل العراق اعتورنا مصحفا نضربه بسيوفنا ونحن في ذلك جميعا ننادي ويحكم الله .

روى نصر بسنده عن الشعبي ان اول فارسين التقيا في اليوم السابع من صفر وكان من الايام العظيمة في صفين ذا اهوال شديدة حجر الخير وحجر الشر اما حجر الخير فهو حجر بن عدي صاحب أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام وحجر الشر بن عمه حجر بن يزيد وذلك ان حجر الشر دعا حجر بن عدي الى المبارزة وكلاهما من كندة فأجابه فاطعنا برمحيهما ثم حجز بينهما خزيمة بن ثابت الاسدي وكان مع معوية فضرب حجرا ضربة كسر رمحه وحمل اصحاب علي فقتلوا الاسدي وافلتهم حجر الشر هاربا وحمل حجر الشر على الحكم بن ازهر وهو يرتجز ويقول :

انا الغلام اليمني الكندي ... قد لبس الديباج والافرندي

انا الشريف الاريحي المهدي ... يا حكم بن ازهر بن فهد

لقد اصبت غارتي وحدي ... وكرتي وشدتي وجدي

اثبت اقاتلك الغداة وحدي

فقتل الحكم فحمل رفاعة بن ظالم الحميري بن عم الحكم على حجر الشر فقتلته فقال علي الحمد لله الذي قتل حجر الشر بالحكم بن ازهر .
وروى نصر عن عمرو بن شمر عن جابر عن تميم ان عليا قال من يذهب بهذا المصحف الى هؤلاء القوم فيدعوهم الى مافيه فأقبل فتى اسمه سعيد ابن قيس فقال أنا صاحبه ثم اعادها فسكت الناس وقال الفتى أنا صاحبه فقال دونك واتى معاوية فقرأه عليهم ودعاهم الى مافيه فقتلوه وقال معاوية لعمرو بن العاص ائت ببني أبيك فقاتل بهم فانه ان يكن عند احد خير فعندهم فأتى جماعة أهل اليمن فقال انتم اليوم الناس وغدا لكم الشأن هذا يوم له ما بعده من الامر احملوا معي على هذا الجمع قالوا نعم فحملوا

وحمل عمرو وهو يقول:

اكرم بجمع طيب يماني جدوا تكونوا اوليا عثمان

خليفة الله على تبيان

فحمل عليه عمرو بن الحمق وهو يقول:

بؤسا لجند ضائع يماني مستوسقين كاتساق الضان

تهوي الى راع لها وسنان اقحمها عمرو الى الهوان

يا ليت كفي عدمت بناني وانكم بالشحر من عمان

وخرج حوشب ذو ظليم وهو يومئذ سيد أهل اليمن في جمعه وصاحب لوائه يقول:

نحن اليمانيون منا حوشب وذو ظليم اين منا المهرب

فينا الصفيح والقنا المغلب والخيل امثال الوشيج شزب

ان العراق حبلها مذبذب ان عليا فيكم محبب

في قتل عثمان وكل مذنب

فحمل عليه سليمان بن صرد الخزاعي وهو يقول:

يا لك يوما كاسفا عصبصبا يا لك يوما لايواري كوكبا

يا ايها الحي الذي تذبذبا لست أخاف ذا ظليم حوشبا

لان فينا بطلا مجربا ابن بديل كالهزبر مغضبا

وعليه سيفان ودرعان فجعل يضرب الناس بسيفه قدما وهو يقول:

لم يبق غير الصبر والتوكل واخذك الترس وسيفا مصقل

ثم التمشي في الرعيل الاول مشي الجمال في حياض المنهل

امسي علي عندنا محببا نفديه بالام ولا نبقي أبا

فطعن حوشبا فقتله:

(مقتل عبد الله بن بديل الخزاعي)

قال الشعبي كان عبدالله بن بديل الخزاعي مع علي عليه السلام يومئذ

والله يقضي ما يشا ويفعل

فلم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى الى معاوية فأزاله عن موقفه قال نصر:

قاتلهم عبدالله بن بديل في الميمنة حتى انتهى الى معوية مع الذين بايعـوه على الموت فأقبلوا الى معاوية فأمرهم ان يصمدوا لعبد الله بن بديل في الميمنة وبعث معاوية الى حبيب بن مسلمة في الميسرة فحمل عليهم بمـن كان معه على ميمنة علي فهزمهم وكشف أهل العراق ميلا من قبل الميمنـة حتى لم يبق مع بن بديل الا نحو من مائة مع القراء واستند بعضهم الـى بعض وانجفل الناس عليهم فأمر علي سهل بـن حنيف فاستقدم فيمن كـان مع علي من أهل المدينة فاستقبلتهم جموع اهل الشام في خيل عظيمـة فحملوا عليهم والحقوهم بالميمنة وكانت الميمنة متصلة الى موقف علـي في القلب في أهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمـة الى علي فأقبـل يمشي نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة وثبتت ربيعة • وجعل عبدالله بن بديل ينادي يا لثارات عثمان يعني اخا له قد قتل وظن معاويـة واصحابه انه يعني عثمان بن عفان ومع معاوية عبدالله بن عامر واقفافأقبل اصحاب معاوية على عبدالله بن بديل يرضخونه بالصخر حتى اثخنوه وقتل الرجل واقبل اليه معاوية وعبدالله بن عامر فأما عبدالله بن عامـر فألقى عمامته على وجهه وترحم عليه وكان له اخا وصديقا فقال معاوية اكشف عن وجهه فقال عبدالله والله لا يمثل به وفي الروح فقال له معوية اكشفت عن وجهه فقد وهبته لك فكشف عن وجهه فقال معاوية هذا كبش القوم ورب الكعبة اللهم اظفرني بالاشتر النخعي والاشعث الكندي والله مامثل هذا الا كما قال الشـاعر :

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ... وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويحمي اذا مـا الموت كـان لقاؤه ... لدى الشر يحمي الانف ان يتأخرا

كليث هزبـر كـان يحمي ذمـاره ... رمتـه المنايا قصـدها فتقطرا

مع ان نساء خزاعـة لو قدرت على ان تقاتلني فضلا عن رجالها فعلت •

(قتل احمر مولى بني امية)

(وروى) نصر بسنده عن زيـد بن وهب قال مر علي يومئذ ومعـه

بنوه نحو الميسرة واني لارى النبل يمر بين عاتقيه ومنكبيه وما من بنيه احد الا يقيه بنفسه فيكره علي ذلك • فبصر به احمر مولى بني امية فقال : علي ورب الكعبة قتلني الله ان لم اقتلك أو تقتلني فأقبل نحوه فخرج اليه كيسان مولى علي فاختلفا ضربتين فقتله احمر وخالط عليا ليضربه بالسيف فانتهره علي فوضع يده في جيب درعه فجذبه ثم حمله على عاتقه (قال الراوي) فكأني انظر الى رجليه يختلفان على عنق علي ثم ضرب به الارض فكسر منكبه وعضده وشد ابنا علي الحسين ومحمد فضرباه باسيافهما فكأني انظر الى علي قائما وشبلاه يضربان الرجل حتى اذا قتلاه اقبلا الى ابيهما والحسن معه قائم قال يابني مامنعك ان تفعل كما فعل اخواك قال كفياني يا أمير المؤمنين • ثم ان اهل الشام دنوا منه والله مايزيده قربهم منه سرعة في مشيه فقال له الحسن ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي الى هؤلاء الذين صبروا لعدوك من اصحابك قال يابني ان لابيك يوما لن يعدوه لايبطىء به عنه السعي ولا يعجل به اليه المشي ان اباك والله مايبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه •

وخرج علي عليه السلام يوم صفين وفي يده عنزة (عصا) فمر على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد اما تخشي يا أمير المؤمنين ان يغتالك احد وانت قرب عدوك فقال له علي انه ليس من احد الا عليه من الله حفظه يحفظونه من ان يتردى في قليب أو يخر عليه حائط أو تصيبه آفة فاذا جاء القدر خلوا بينه وبينه •

(رد الاشتر المنهزمين)

ولما انهزمت ميمنة اهل العراق اقبل علي يركض نحو الميسرة يستثيب الناس ويستوقفهم ويأمرهم بالرجوع نحو الفزع حتى مر بالاشتر فقال له يا مالك قال لبيك يا أمير المؤمنين قال ائت القوم فقل لهم أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه الى الحياة التي لا تبقى لكم فمضى الاشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم هؤلاء الكلمات التي امره علي بهن وقال أيها الناس أنا مالك بن الحارث ثم ظن انه بالاشتر اعرف في الناس فقال

أيها الناس انا الاشتر الي ايها الناس فأقبلت اليه طائفة وذهب عنه طائفهفقال عضضتم بهن ابيكم ما اقبح ما قاتلتم اليوم يا ايها الناس غضوا الابصار وعضوا على النواجذ واستقبلوا القوم بهامكم ثم شدوا شدة قوم موتورين بآبائهم وابنائهم واخوانهم حنقا على عدوهم قد وطنوا على الموت انفسهم كيلا يسبقوا بثأر ان هؤلاء القوم والله لن يقارعوكم الا عن دينكم ليطفئوا السنة ويحيوا البدعة ويدخلوكم في امر قد اخرجكم الله منه بحسن البصيرة فطيبوا عباد الله انفسا بدمائكم دون دينكم فانالفرار فيه سلب العز والغلبة على الفيءوذل المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة وسخط الله واليم عقابه ثم قال ايها الناس اخلصوا الي مذحجا فاجتمعت اليه مذحج فقال لهم عضضتم بصم الجندل والله ما ارضيتم اليوم ربكم ولا نصحتم له في عدوه فكيف بذلك وانتم ابناء الحرب واصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الاقران ومذحج الطنان وجعل يحرضهم بنحو هذا الى ان قال والذي نفس مالك بيده ما من هؤلاءواشار بيده الى أهل الشام رجل على مثل جناح بعوضة من دين الله والله ما احسنتم القراع اجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي عليكم بهذا السواد الاعظم فان الله لوقد فضه تبعه من بجانبه كما يتبع السيل مقدمه قالوا خذ بنا حيث احببت فصمد بهم نحو عظمهم مما نحو الميمنة واخذ يزحف اليهم الاشتر ويردهم واستقبله سنام من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل وقد انهزموا آخر الناس وكانوا قد صبروا في ميمنة علي عليه السلام حتى اصيب منهم مائة وثمانون رجلا وقتل منهم احد عشر رئيسا كلما قتل منهم رجل اخذ الراية آخر •

فكان اولهم كريب بن شريح وشرحبيل بن شريح ومرثد بن شريح وهبيرة بن شريح• ثم بريم (هريم) بن شريح وشمر بن شريح قتلهؤلاء الاخوة الستة جميعا ثم اخذ الراية سفيان بن زيد ثم حبة بن زيد ثم كرب ابن زيد فقتلهؤلاء الاخوة الثلاثة جميعا ثم اخذ الراية عميرة بنبشر والحارث بن بشر فقتلا ثم اخذ الراية وهيب بن كريب ابو القلوصفأراد

ان يستقتل فقال له رجل من قومه انصرف بهذه الراية ترحم الله من راية فقد قتل اشراف قومك حولها فلا تقتل نفسك ولا من بقي ممن معك فانصرفوا وهم يقولون ليت لنا عديدا من العرب يحالفوننا ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل او نظهر فمروا بالاشتر وهم يقولون هذا القول فقال لهم الاشتر الي انا احالفكم واعاقدكم على ان لانرجع ابدا حتى نظهر او نهلك فتوافقوا معه في هذا القول وزحف الاشتر نحو الميمنة وثاب اليه اناس تراجعوا من اهل البصيرة والحياء والوفاء فأخذ لا يصمد لكتيبة الا كشفها ولا لجمع الا حازه ورده فانه لكذلك اذ مروا بيزيد بن قيس محمولا الى العسكر فقال الاشتر من هذا قالوا يزيد ابن قيس لما صرع زياد بن النضر رفع لاهل الميمنة رايته فقاتل حتى صرع فقال الاشتر هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم الا يستحيي الرجل ان ينصرف لم يقتل ولم يقتل ولم يشف به على القتل •

وكان الاشتر يومئذ يقاتل على فرس له في يده صفيحة يمانية اذا طأطأها خلت فيها ماء منصبا فاذا رفعها كاد يغشي البصر شعاعها ويضرب بسيفه قدما وهو يقول (غمرات ثم ينجلينا) ولما اجتمع الى الاشتر عظم من كان انهزم من الميمنة حرضهم ثم حمل على اصحاب معاوية حتى كشفهم فألحقهم بصفوف معاوية بين صلاة العصر والمغرب • فلما رأى علي عليه السلام ان ميمنته قد عادت الى موقفها ومصافها وكشفت من بازائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم اقبل حتى انتهى اليهم فقال : اني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم وتحرزكم الجفاة الطغاة واعراب اهل الشام وانتم لهاميم العرب والسنام الاعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن واهل دعوة الحق اذ ضل الخاطئون فلولا اقبالكم بعد ادباركم وجب عليكم ما وجب على المولي يوم الزحف دبره والذي هون علي بعض وجدي اني رأيتكم بآخرة حزتموهم كما حازوكم وازلتموهم عن مصافهم كما ازلوكم كالابل المطرودة الهيم فالان فاصبروا انزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين • وليعلم المنهزم انه مسخط لربه وفي الفرار الذل الدائم وان الفار لا يزيد الفرار في عمره •

(قتل اخوة بصفين)

وارسل عبدالله بن حنش الخثعمي رأس خثعم الشام الى ابي كعب رأس خثعم العراق ان شئت تواقفنا فلم نقتتل فان ظهر صاحبك كنا معكم وان ظهر صاحبنا كنتم معنا فأبى ابو كعب ذلك فلما التقوا قال رأس خثعم الشام لقومه قد عرضت على قومنا العراقيين الموادعة صلة لارحامهم فأبوا فكفوا عنهم ماكفوا عنكم فخرج رجل من اصحابه فقال قد ردوا عليك رأيك وطلب المبارزة فغضب رأس خثعم الشام فقال اللهم قيض له وهب ابن مسعود رجلا من خثعم الكوفة كان معروفا في الجاهلية لم يبارزه رجل الا قتله فحمل على الشامي فقتله ثم اقتتلوا اشد القتال وجعل ابو كعب يقول لاصحابه خدموا اي اضربوا موضع الخدمة وهو الخلخال واخذ صاحب الشام يقول يا ابا كعب قومك فانصف فحمل شمر بن عبدالله الخثعمي خثعم الشام على ابي كعب فطعنه فقتله وانصرف يبكي ويقول رحمك الله يا ابا كعب انني قتلتك في طاعة قوم انت امس بي رحما بهم واحب الي ولا ارى الشيطان الا قد فتننا ولا ارى قريشا الا قد لعبت بنا فأخذ الراية كعب بن ابي كعب ففقئت عينه وصرع فأخذها شريح ابن مالك فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم ثمانون رجلا واصيب من خثعم الشام نحو منهم ثم ردها شريح الى كعب بن ابي كعب .

(قتال العراق بصفين)

وكانت راية بجيلة في صفين في احمس مع ابي شداد قيس بن المكشوح قالت له بجيلة خذ رايتنا قال غيري خير لكم مني قالوا ما نريد غيرك. قال فوالله لئن اعطيتمونيها لا انتهي بها دون صاحب الترس المذهب وعلى رأس معوية عبدالرحمن بن خالد بن الوليد قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس قالوا اصنع ماشئت فأخذها ثم زحف وهو يقول :

ان عليا ذو اناة صارم   جلد اذا ماحضر العزائم
لما رأى ما تفعل الاشائم   قام له الذورة والاكارم
الاشيبان مالك وهاشم

ثم زحف بالراية حتى انتهى الى صاحب الترس المذهب وكان في خيل عظيمة من اصحاب معوية فاقتتل الناس هنالك قتالا شديـدا وشد ابو شداد بسيفه نحو صاحب الترس فتعرض له من دونه غلام رومي لمعويـة فضرب قدم ابي شداد فقطعها وضربه ابو شداد فقتله واشرعت اليه الاسنة فقتل واخذ الراية عبدالله بن قلع الاحمسي وهو يقول :

لا يبعـــد الله ابا شـــداد حيث اجـاب دعوة المنـــادي
وشدبالسيف على الاعـادي نعـم الفتي كان لدى الطـراد
وفي طعان الخيل والجلاد

وقاتل حتى قتل فأخذ الراية اخوه عبدالرحمن بن قلع فقاتل فقتل ثـم اخذها عفيف بن اياس فلم تزل بيده حتى تحاجز الناس وقتل حازم ابـن ابي حازم اخو قيس بن ابي حازم يومئذ وقتل نعيم بن سهيل بن الثعلبة فأني بن عمه وسمية نعيم بن الحارث بن الثعلبة معوية وكان معه فقـال ان هذا القتيل بن عمي فهبه لي ادفنه فقال لا ندفنهم فليسوا اهلا لذلـك فوالله ما قدرنا على دفن عثمان معهم الا سرا قال والله لتأذن لي في دفنه أو لا لحقن بهم ولادعنك فقال له معاوية ترى اشياخ العرب لانواريهم وانت تسألني دفن بن عمك ثم قال له ادفنه ان شئت أو دعه فدفنه .

(قتال غطفان العراق بصفين)

كانت راية غطفان العراق مع أبي سليم عياش بن شريك فخرج رجل من آل ذي الكلاع يطلب المبارزة فبرز اليه قايد بن بكير العبسي فشد عليه الكلاعي فوهطه فخرج اليه عياش بن شريك فلحقه هرم بن شيير فقـال لا تبرز لهذا الطوال قال هبلتك الهبول وهل هو الا الموت قال وهل يفر الا منه قال وهل منه بد والله ليقتلني أو ليلحقن بقايد بن بكير ونظر عياش فاذا الحديد عليه مفرغ لايرى منه الا مثل شراك النعل من عنقه بين بيضته ودرعه فضربه الكلاعي فقطع حجفته وكانت من جلود الابل وضربه عياش على ذلك المكان فقطع نخاعه وخرج بن الكلاعي ثائرا بابيه فقتله بكير ابن وائل وقيل زياد بن خصفة وخرج رجـل من ازد شنوءة يسـأل المبارزة

فخرج اليه رجل من أهل العراق فقتله فخرج اليه الاشتر فما لبثه ان قتله
فقال رجل كان هذا نار افصادفت اعصارا فاقتتل الناس قتالا شديدا يوم
الاربعاء فقال رجل من اصحاب علي والله لاحملن على معاوية حتى اقتلـه
فأخذ فرسا فركبه ثم ضربه حتى اذا قام على سنابكه دفعه فلم ينهنـه
شيء عن الوقوف علي رأس معاوية ودخل معاوية الخباء فنزل الرجل عن
فرسه ودخل عليه فخرج معاوية من الخباء وطلع الرجل في اثـره فخرج
معاوية وهو يقول :

اقول لهـا وقد طارت شعـاعا من الابطـال ويحك لا تراعي
فانـك لو سـألت خلاء يـوم على الاجل الذي لك لن تطاعي

فأحاط به الناس فقال معاوية ويحكم ان السيوف لم يؤذن لها في هذا
ولولا ذلك لم يصل اليكم عليكم بالحجارة فرضخوه بالحجارة حتى همد
الرجل ثم عاد معاوية الى مجلسه وهو يقول هذا كما قال الاول :

اخو الحرب ان عضت بن الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وحمل رجل من اهل العراق يدعى أبا أيوب على صف اهل الشام ثم رجع
فوافق رجلا صادرا كان قد حمل على صف اهل العراق ثم رجع فاختلفـا
ضربتين فنفحه أبو أيوب فأبان عنقه فثبت رأسه على جسده كما هو حتى
اذا دخل في صف أهل الشام وقع ميتا وندر رأسه فقال علي عليه السلام
والله لأنا من ثبات رأس الرجل اشد تعجبا مني لضربته وان كان اليها ينتهي
وصف الواصف وغدا أبو أيوب الى القتال فقال له علي عليه السلام والله
كما قال القائل :

وعلمنا الضرب آباؤنا فسوف نعلـم ايضا بنينا

(تبارز الاخـــوين)

وخرج رجل من اهل الشام يطلب المبارزة فخرج اليه رجل من اهـل
العراق فاقتتلا بين الصفين قتالا شديدا ثم ان العراقي اعتنقه فوقعا جميعا
بين قوائم فرسيهما فجلس على صدره وكشف المغفر عنه يريد ذبحه فاذا

هو أخوه لابيه وامه فصاح به اصحاب علي اجهز عليه قال فانه أخي قالوا فاتركه قال لا حتى يأذن لي أمير المؤمنين فارسل اليه دعه فتركه •

(مقتل حريث مولى معاوية)

وكان فارس معاوية الذي يعده لكل مبارز ولكل عظيم حريث مولاه وكان يلبس سلاح معاويلاة متشبها به فاذا قاتل قال الناس ذاك معاويـة وان معاوية دعاه فقال يا حريث اتق عليا وضع رمحك حيث شئت فقال له عمرو بن العاص انكلو كنت قرشيا لاحب معاوية ان تقتل عليا ولكن كره ان يكون لك حظها فان رأيت فرصة فاقحم وخرج علي امامالخيل وحمـل عليه حريث وكان شديدا ذا بأس فنادى يا علي هل لك فيالمبارزةفأقدم ابا حسن اذا شئت فأقبل علي وهو يقول :

انا علـــي وابن عبدالمطلب　　نحن لعمـر الله أولى بالكتـب
منا النبي المصطفى غير كذب　　اهل اللواء والمقـــام والحجب
نحن نصرناه على جل العرب　　يا ايهـا العبد الغرير المنتـدب
اثبت لنا يا ايها الكلب الكلب

ثم ضربه علي فقتله فجزع عليه معاوية جزعا شديـــدا وعاتب عمرا وقال معاويـة :

حريث الم تعلم وجهلكضائر　　بـان عليـا للفوارس قـــاهر
وان عليـا لم يبارزه فـارس　　مـن الناس الا اقصدته الاظافر
امرتك امرا حـازما فعصيتني　　فجدك اذ لم تقبل النصح عاثـر
ودلاك عمرو والحوادث جمة　　غروا وما جرت عليك المقـادر
وظن حريث ان عمرا نصيحه　　وقد يهلك الانسان مـن لايحاذر

فلما قتل علي حريثا برز عمرو بن حصين السكسكي فنادى يا أبا حسن هلم الى المبارزة وحمل على علي عليه السلام فبادره اليه سعيد بن قيس الهمداني ففلق صلبه فقال علي عليه السلام في ذلك اليوم :

دعوت فلباني من القوم عصبة فوارس من همدان غير لئام
فوارس من همدان ليسوا بعزل غداة الوغى من شاكر وشبام
وكل رديني وعضب تخاله اذا اختلف الاقوام شعل ضرام
لهمدان اخلاق ودين يزينهم وبأس اذا لاقوا وجد خصام
وجد وصدق في الحروب ونجدة وقول اذا قالوا بغير اثام
متى تأتهم في دراهم تستضيفهم تبت ناعما في خدمة وطعام
جزى الله همدان الجنان فانها سمام العدى في كل يوم سمام
فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وخرج رجل من عك يسأل المبارزة فخرج اليه قيس بن فهدان الكندي فطعن العكي فقتله فقال قيس :

لقد علمت عك بصفين اننا اذا ما نلاقي الخيل نطعنها شزرا
ونحمل رايات القتال بحقها ونوردها بيضا ونصدرها حمرا

وحمل عبدالله بن الطفيل البكائي على صفوف اهل الشام فلما انصرف حمل عليه رجل من بني تميم يقال له قيس بن فهد الحنظلي اليربوعي وهو ممن لحق بمعاوية من أهل العراق فوضع الرمح بين كتفي عبدالله فاعترضه يزيد بن معاوية البكائي بن عم عبدالله بن الطفيل فوضع الرمح بين كتفي التميمي وقال والله لئن طعنته لاطعننك قال عليك عهد الله لئن رفعت السنان عن ظهر صاحبك لترفعنه عني قال نعم لك العهد والميثاق بذالك فرفع السنان عن عبدالله بن الطفيل ورفع يزيد الرمح عن التميمي فوقف التميمي فقال من انت قال احد بني عامر قال جعلني الله فداكم اينما لقيناكم وجدناكم كراما والله اني لآخر احد عشر رجلا من بني تميم قتلتموهم اليوم فلما تراجع الناس عن صفين عتب يزيد على عبدالله ابن الطفيل في بعض ما يعتب الرجل على بن عمه فقال يزيد :

الم ترني حاميت عنك مناصحا بصفين اذ خلاك كل حميم
ونهنهت عنك الحنظلي وقداتى على سابح ذي ميعة وهزيم

واقتتل الناس قتالا شديدا فعبئت لطيء جموع اهل الشام فجاءهم حمزة

ابن مالك فقال من انتم لله أبوكم فقال عبدالله بن خليفة الطائي نحن طيء السهل وطيء الجبل الممنوع بالنحل ونحن حماة الجبلين ما بين العذيب الى العين نحن طيء الرماح وطيء البطاح وفرسان الصباح فقال له بخ بخ ما احسن ثنـاءك على قومـك • ثم ان النخع قاتلوا قتالا شديـدا فاصيب منهـم جماعـة •

(تهمة خالد بن المعمر)

وقال ناس لعلي عليه السلام انا لا نرى خالد بن المعمر السدوسي الا كاتب معاوية فبعث اليه والى رجال من اشرافهم فقال يا معشر ربيعة انتم انصاري ومجيبو دعوتي ومن اوثق حي في العرب في نفسي وقد بلغني ان معاوية كاتب صاحبكم خالد بن المعمر ثم قال له يا خالد ان كان ما بلغني عنك حقا فاني اشهد الله ومن حضرني من المسلمين انك آمن حتى تلحـق بالعراق أو بالحجاز أو ارض لا سلطان لمعاوية فيها وان كنت مكذوبا عليك فابر صدورنا بايمان نطمئن اليها فحلف له بالله ما فعل وقال رجال من ربيعة كثير لو نعلم انه فعل لقتلناه وقال شقيق بن ثور ماوفق الله بن المعمر حين نصر معاوية واهل الشام على علي وربيعة فقال له زياد بن خصفة يا أمـير المؤمنين استوثق من بن المعمر بالايمان لا يغدر فاستوثق منه •

(الحضين بن المنــــذر ورايته)

قال الحضين بن المنذر الرقاشي لما كان يوم الخميس من ايام صفين انهزم الناس من الميمنة فجاءنا علي عليه السلام حتى انتهى الينا ومعـــه بنوه فنادى بصوت عال جهير كغير المكترث لما فيه الناس وقال لمن هذه الرايات قلنا رايات ربيعة قال بل هي رايات الله عصم الله اهلها وصبرهم وثبت اقدامهم ثم قال لي يافتى الا تدني رايتك هذه ذراعا فقلت له نعم والله وعشرة اذرع فادنيتها فقال لي حسبك مكانك وقال ابو الاشعث يحيى ابن

مطرف العجلي شهد مع علي صفين : لما نصبت الرايات اعترض علي الرايات ثم انتهى الى رايات ربيعة فقال لمن هذه الرايات فقلت رايات ربيعة فقال بل هي رايات الله • واقبل الحضين بن المنذر وهو يومئذ غلام يزحف برايته وكانت حمراء فاعجب عليا زحفه وثباته فقال :

لمن رايـــة حمراء يخفق ظلهـــا	اذا قيل قدمهـــا حضـين تقـدما
ويدنو بها في الصفحتى يزيرها	حمـام المنايا تقطـر الموت والدما
تراه اذ ما كان يوم عظيمـــة	أبى فيـــه الاعـزة وتكرمـــا
جزى اللهقوما صابروا في لقائهم	لدى البـأس خيرا ما اعف واكرما
واحزم صبراحينيدعىالى الوغى	اذا كان اصوات الكمـاة تغمغما
ربيعة اعني انهـم أهـل نجدة	وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرمـــا

وكانت راية ربيعة كلها كوفيتها وبصريتها مع خالد بن المعمر السدوسي من ربيعة البصرة اعطاه اياها علي عليه السلام فتنافس في الراية خالد ابـن وائل من أهل البصرة الحضين بن المنذر وقالا هذا فتى له حسب ونجعلها له حتى نرى رأينا قال الجاحظ في البيان والتبيين : لما خرج اهـل البصرة الى صفين ، تنازع شقيق وخالد الرياسة فصيرها عند ذلك علي الـى حضين بن المنذر فرضي كل واحد منهما وكان يخاف ان يصيرها الـى خصمه فسكنت بكر وعرف الناس صحة تدبير علي في ذلك اه وضرب معاوية لحمير على ثلاث قبائل لم يكن لاهل العراق قبائل اكثر منهـا عددا يومئذ على ربيعة وهمدان وكندة فوقع سهم حمير على ربيعة وكان بصفين من عنزة وهي من قبائل ربيعة اربعة آلاف محجف فقـــال ذو الكلاع قبحك الله من سهم كرهت الضراب واقبل ذو الكلاع في حمير ومن لف لفها ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في اربعة آلاف من قراء أهل الشام قد بايعوا على الموت وهي ميمنة اهل الشام وعليها ذو الكلاع فحملوا على ربيعة وهي ميسرة اهل العراق وعليها عبد الله بن العباس حملة شديدة فتضعضعت رايات ربيعة وانصرف اهل الشام فلم يلبثوا الا قليلا حتى كروا وعبيد الله بن عمر يقول يا اهل الشام هذا الحي من اهل

العراق قتلة ابن عفان وانصار علي بوان هزمتم هذه القبيلة ادركتم ثاركم في عثمان وهلك علي واهل العراق فشدوا على الناس شدة شديـــدة فثبتت لهم ربيعة وصبروا صبرا حسنا الا قليلا من الضعفاء وثبت اهل الرايات واهل البصائر منهم والحفاظ وقاتلوا قتالا شديدا •

(ما فعله خالد بن المعمر)

فلما رأى خالد بن المعمر اناسا قد انهزموا من قومه انصرف فلما رأى اصحاب الرايات قد ثبتوا ورأى قومه قد صبروا رجع وصاح من انهزم وامرهم بالرجوع فقال من اراد ان يتهمه اراد الانصراف فلما رآنا قد ثبتنا رجع الينا وقال لهم لما رأيت رجالا منا قد انهزموا رأيت ان استقبلهم واردهم اليكم فاقبلت اليكم بمن اطاعني منهم فجاء بامر مشتبه قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة لا ريب عند علماء السير ان خالد بن المعمر كان له باطن سوء مع معاوية وانه انهزم هذا اليوم ليكسر الميسرة على علي (ع) ذكر ذلك الكلبي والواقد وغيرهما ويدل على باطنه هذا انه لما استظهرت ربيعة على صفوف اهل الشام اليوم الثاني من هذا اليوم ارسل اليه معاوية ان كف عني ولك امارة خراسان ما بقيت فكف عنه ورجع بربيعة وقد شارفوا اخذه من مضربه اه واشتد قتال ربيعة وحمير ونادى منادي اهل الشام الا ان معنا الطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر فقال عمار بن ياسر بل هو الخبيث ونادى منادي أهل العراق الا ان معنا الطيب ابن الطيب محمد بن أبي بكر فنادى منادي اهل الشام بل هو الخبيث ابن الطيب • وخرج نحو من خمسمائة فارس او اكثر من اصحاب علي على رؤوسهم البيض وهم غائصون في الحديد لا يرى منهم الا الحدق وخرج اليهم من اهل الشام نحوهم في العدد فاقتتلوا بين الصفين والناس تحت راياتهم فلم يرجع من هؤلاء ولا من هؤلاء مخبر لا عراقي ولا شامي قتلوا جميعا بين الصفين وقد كان معاوية نذر سبي نساء ربيعة وقتل المقاتلة فقال في ذلك خالد بن المعمر •

تمنى ابن حرب ندره في نسائنا ودون الذي ينوي قراع القواضب
وتمنح ملكا انت حاولت خلعه بني هاشم قول امرىء غير كاذب

فلما كان يوم الخميس التاسع من صفر سنة ٣٧ خطب الناس معاوية وحرضهم ثم خطبهم مرة اخرى قبل الوقعة العظمى فقال في آخر كلامه انظروا يا أهل الشام فانما تلقون غدا أهل العراق فكونوا على احدى ثلاث احوال اما ان تكونوا قوما طلبتم ما عند لله في قتال قوم بغوا عليكم فاقبلوا من بلادهم حتى نزلوا في بيضتكم واما ان تكونوا قوما تطلبون بدم خليفتكم وصهر نبيكم صلى الله عليه وسلم واماالا ان تكونوا قوما تذبون عن نسائكم وابنائكم •

(مقتل ذي الكلاع الحميري)

واتى زياد بن خصفة عبد القيس يوم صفين وقد عبيت قبائل حمير مع ذي الكلاع وفيهم عبيد الله بن عمر لبكر بن وائل فقاتلوا قتالا شديدا حتى خافوا الهلاك فقال زياد لعبد القيس لا بكر بعد اليوم ان ذا الكلاع وعبيد الله ايادا ربيعة فانهضوا لهم والا هلكوا فركبت عبد القيس وجاءت كانها غمامة سوداء فشدت ازاء الميسرة فعظم القتال وشدت عك ولخم وجذام والاشعرون من أهل الشام على مذحج وبكر بن وائل فقال العكي في ذلك :

ويل لأم مذحج من عك لنتركن امهم تبكي
نقتلهم بالطعن ثم الصك فلا رجال كرجال عك

فحميت مذحج من قول العكي ونادى مناديهم يا آل مذحج خدموا فاعترضت مذحج لسوق القوم فكان بوار عامة القوم وخاضت الخيل والرجال في الدماء ونادى أبو شجاع الحميري وكن من ذوي البصائر مع علي فقال يا معشر حمير أترون معاوية خيرا من علي اضل الله سعيكم ثم انت يا ذا الكلاع فوالله ان كنا نرى ان لك نية في الدين فقال ذو الكلاع ايها أبا شجاع فوالله لأعلمن ما معاوية بافضل من علي ولكن

انما اقاتل على دم عثمان .

(بحث ذي الكلاع عن حديث عمار تقتله الفئة الباغية)

قال ابو نوح الكلاعي الحميري كنت في خيل علي (ع) يوم صفين اذا انا برجل من اهل الشام يقول من دل على الحميري أبي نوح فقلنا هذا الحميري فأيهم تريد قال اريد الكلاعي أبا نوح قلت قد وجدته فمن انت قال أنا ذو الكلاع سر الي قلت معاذ الله ان اسير اليك الا في كتيبة قال لك ذمة الله ورسوله وذمة ذي الكلاع حتى ترجع الى خيلك فانما اريد ان اسألك عن امر فيكم تمارينا فيه فسار اليه فقال ذو الكلاع انما دعوتك احدثك حديثا حدثناه عمرو ابن العاص في امارة عمر بن الخطاب ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال يلتقي اهل الشام واهل العراق وفي احدى الكتيبتين الحق وامام الهدى ومعه عمار بن ياسر قال أبو نوح لعمر الله انه لفينا قال اجاد هو في قتالنا قال نعم ورب الكعبة هو اشد على قتالكم مني ولوددت انكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم وانت ابن عمي قال ذو الكلاع علام تتمنى ذلك منا والله ما قطعتك وان رحمك لقريبة وما يسرني اني اقتلك قال أبو نوح ان قطع الاسلام ارحاما قريبة ووصل به ارحاما متباعدة فقال له ذو الكلاع هل تستطيع ان تأتي معي صف أهل الشام فانا جار لك منهم حتى تأتي عمررو بن العاص فيعرف منك حال عمار وجده في قتالنا لعله ان يكون صلحا بين هذين الجندين فقال له ابو نوح انك رجل غادر وأنت في قوم غدر ان لم ترد الغدر اغدروك فقال ذو الكلاع انا جار لك ان لا تقتل ولا تسلب ولا تكره على بيعة ولا تحبس عن جندك وانما هي كلمة تبلغها عمرو بن العاص فسار معه حتى اتى عمرا وهو عند معاوية فقال ذو الكلاع لعمرو هل لك في رجل ناصح يخبرك عن عمار بن ياسر لا يكذبك قال من هو قال ابن عمي هذا وهو من أهل الكوفة فقال له اني لأرى عليك سيماء أبي تراب فقال أبو نوح علي سيماء محمد (صلى الله عليه وسلم) واصحابه وعليك سيماء ابي جهل وفرعون فسل ابو الاعور سيفه وقال لا ارى هذا الكذاب اللئيم

يشاتمنا بين اظهرنا فقال ذو الكلاع اقسم بالله لئن بسطت يدك اليـــه لأحطمن انفك بالسيف ابن عمي وجاري جئت به اليكما ليخبركما عمـــا تماريتم فيه فقال عمرو بن العاص افيكم عمار بن ياسر قال أبو نوح ما انا بمخبرك عنه حتى تخبرني لم تسألني عنه فان معنا من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عدة غيره وكلهم جاد على قتالكم قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان عمارا تقتله الفئة الباغية وانه ليس ينبغي لعمار ان يفارق الحق ولن تأكل النار منه شيئا قال أبو نوح لا آله الا الله والله اكبر والله انه لفينا جاد على قتالكم فقال عمرو والله انه لجاد على قتالنا قال نعم والله الذي لا آله الا هو لقــد حدثني يوم الجمل انا سنظهر عليهم وحدثني امس ان لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على حق وانتم على باطل وكانت قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال له عمرو هل تستطيع ان تجمع بيني وبينه قل نعم فجمع بينهما فقال عمرو ابن العاص اني رأيتك اطوع اهل هذا العسكر فيهم اذكرك الله الا حقنت دماءهم فعلام تقاتلنا قال عمار أمرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان اقاتل الناكثين وقد فعلت وأمرني ان اقاتـــل القاسطين فانتم هم واما المارقين فما ادري ادركهم ام لا ايها الابتر ألست تعلم ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لعلي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانا مولى الله ورسوله وعلي بعده فقال له عمرو لم تشتمني يا أبا اليقظان ولست اشتمك قــال عمار وبما تشتمني اتستطيع ان تقول اني عصيت الله ورسوله يوما قط قـــال ان فيك اسبات سوى ذلك قال عمار ان الكريم من اكرمه الله كنت وضيعا فرفعني الله ومملوكا فاعتقني الله وضعيفا فقواني الله وفقيرا فاغناني الله قال عمرو فما ترى في قتل عثمان قال فتح لكم باب كل سوء وجرى بينهما حوار في ذلك فقام اهل الشام وركبوا خيولهم ورجعوا فبلغ معاوية ما كان بينهم فقال هلكت العرب اذا اخذتهم خفة العبد الاسود يعني عمار بن ياسر ومشي عبد الله بن سويد سيد جرش الى ذي الكلاع فقال لــه

لم جمعت بين الرجلين قال لحديث سمعته من عمررو ذكر انه سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول لعمار ابن ياسر تقتلك الفئة الباغية فخرج عبد الله بن عمر العنسي وكان من عباد اهل زمانه ليلا فاصبح في عسكر علي فحدث الناس بقول عمرو في عمار وقال الجرشي :

ما زلت يا عمرو قبل اليوم مبتدئا — تبغي الخصوم جهارا غير اسرار
حتى لقيت أبا اليقظان منتصبا — لله در أبي اليقظان عمار
ما زال يقرع منك العظم منتقيا — مخ العظام بنزر غير مكثار
حتى رمى بك في بحر له حدب — يهوى بك الموج ها فاذهب الى النار

وقال العنسي لذي الكلاع :

والراقصات بركب عامدين له — ان الذي جاء من عمرو لمأثور
قد كنت اسمع والانباء شائعة — هذا الحديث فقلت الكذب والزور
حتى تلقيته عن اهل غيبته — فاليوم ارجع والمغرور مغرور
واليوم ابرأ من عمرو وشيعته — ومن معاوية المحدو به العير
لا لا اقاتل عمارا على طمع — بعد الرواية حتى ينفخ الصور
تركت عمرا واشياعا له نكدا — اني بتركهم يا صاح معذور
ياذا الكلاع فدع لي معشر اكفروا — اولا فدينن دينك غبن فيه تغرير
ما في مقال رسول الله في رجل — شك ولا في مقال الرسل تخبير

فلما سمع معاوية ذلك بعث الى عمرو فقال افسدت علي أهل الشام افكلما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تقوله فقال عمرو قلتها ولست والله اعلم الغيب ولا ادري ان صفين تكون قلتها وعمار يومئذ لك ولي وقد رويت انت فيه مثل الذي رويت فيه فاسأل اهل الشام فغضب معاوية وتنمر لعمرو ومنعه خيره فقال عمرو لا خير لي في جوار معاوية ان تجلت هذه الحرب عنا وكان عمرو حمي الانف فقال في ذلك :

تعاتبني ان قلت شيئا سمعته — وقد قلت لو انصفتني مثله قبلي
افعلك فيما قلت فعل ثبيتة — وتزلق بي في مثل ما قلته نعلي
وما كان لي علم بصفين انها — تكون وعمار يحث على قتلي

فلو كان لي بالغيب علم كتمتها وكايدت اقواما مراجلهم تغلي
ابى الله الا ان صدرك واغر علي بلا ذنب جنيت ولا ذحل
سوى انني والراقصات عشية بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل
فلا وضعت عندي حصان قناعها ولا حملت وجناء ذعلبة رحلي
ولا زلت ادعى في لؤي بن غالب قليلا غنائي لا امر ولا احلي
ان الله ارخى من خناقك مرة ونلت الذي رجيت ان لم ازر اهلي
واترك لك الشام التي ضاق رحبها عليك ولم يهنك بها العيش من اجلي

فأجابه معاوية يقول :

أألآن لما القت الحرب بركها وقام بنا الامر الجليل على رجل
غمزت قناتي بعد سبعين حجة تباعا كأني لا امر ولا احلي
اتيت بامر فيه للشام فتنة وبي دون ما اظهرته زلة النعل
فقلت لك القول الذي ليس ضائرا ولو ضر لم يضررك حملك لي ثقلي
فانبتني في كل يوم وليلة كان الذي ابليك ليس كما ابلي
فيا قبح الله العتاب واهله الم تر ما اصبحت فيه من الشغل
فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة ترد بها قوما مراجلهم تغلي
دعاهم علي فاستجابوا لدعوة احب اليهم من ثرى المال والاهل
اذا قلت هابوا حومة الموت ارقلوا الى الموت ارقال الهلوك الى الفحل

فلما اتى عمرا شعر معاوية أتاه فاعتبه وصار امرهما واحدا وعظم القتال فقتل ذو الكلاع الحميري قتله حندف البكري من بكر ابن وائل فقال معاوية لانا اشد فرحا بقتل ذي الكلاع مني بفتح مصر لو فتحتها قال نصر لان ذا الكلاع كان يحجر على معوية في اشياء كان يأمر بها (اقول) بل لان ذا الكلاع وقع في ريب وشك من امره لما روى له عمرو حدثث عمار تقتله الفئة الباغية وسمع من عمار ما سمع فخاف ان يلحق بعلي فيكون عليه فتق يتعذر رتقه فلما قتل امن من ذلك وقال نصر في موضع آخر كان ذو الكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمار بن سمية تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياع

من لبن فقال ذو الكلاع لعمرو ويحك ما هذا قال عمرو انه سيرجع الينا وذلك قبل ان يقتل عمار فقتل عمار مع علي وقتل ذو الكلاع مع معاوية فقال عمرو والله يا معاوية ما ادرى بقتل ايهم انا اشد فرحا والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعمامة قومه الى علي ولأفسد علينا جندنا اه وهذا يدل على ما قلناه وارسل ابن ذي الكلاع الى الاشعث بن قيس ان ذا الكلاع اصيب في الميسرة فتأذن لنا فيه (وذو لكلاع والاشعث يمانيان) فقال اخاف ان يتهمني علي (كاد المريب) فاطلبه الى سعيد فانه في الميمنة فأتى ابن ذي الكلاع سعيد بن قيس فاستأذنه في ذلك فأذن له فطاف في الميمنة فلم يجده ثم طاف في الميسرة فوجده قدربط رجله بطنب من اطناب بعض فساطيط العسكر فوقف على باب الفسطاط فقال السلام عليكم يا اهل البيت فقالوا له وعليك السلام ومعه عبد له اسود ليس معه غيره فقال تأذنون لنا في طنب من اطناب فسططكم قالوا قد أذنا لكم ثم قالوا معذرة الى ربنا عز وجل واليكم اما انه لولا بغية علينا ما صنعنا به ما ترون فنزل ابنه اليه وكان من اعظم الناس خلقا وقد انتفخ شيئا فلم يستطيعا احتماله فقال ابنه هل من فتى معوان فخرج اليه خندف البكري فقال تنحوا فقال له ابن ذي الكلاع ومن يحمله اذا تنحينا قال يحمله الذي قتله فاحتمله خندف ثم رمى به على ظهر البغل ثم شده بالحبال فانطلق به .

(تقسيم معاوية الحرب بين اصحابه)

قال نصر لما تعاظمت الامور على معاوية دعا عمرو بن العاص وبسر بن ارطاة وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد فقال لهم انه قد غمني رجال من اصحاب علي منهم سعيد بن قيس في همدان والاشتر في قومه والمرقال وعدي بن حاتم وقيس بن سعد في الانصار وقد وقتكم يمانيتكم بانفسها حتى لقد استحييت لكم وانتم عدتهم من قريش وقد اردت ان يعلم الناس انم اهل غناء وقد عبأت لكل رجل منهم رجلا منكم فاجعلوا ذلك الي قالوا ذلك اليك قال انا اكفيكم سعيد

بن قيس وقومه غدا وانت يا عمرو لأعور بني زهرة المرقال وانت يا بسر لقيس بن سعد وانت يا عبيد الله للاشتر وانت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيء يعني عدي بن حاتم فجعلها نوبا في خمسة ايام لكل رجل منهم يوم فاصبح معاوية فلم يدع فارسا الا حشده ثم قصد لهمدان وتقدم الخيل وهو يقول :

لاعيش الا فلق قحف الهام لن تمنع الحرمة بعد العام
سأملك العراق بالشآم انعي ابن عفان مدى الايام

فطعن في اعراض الخيل مليا فتنادت همدان بشعارها واشتد القتال ثم اقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية فذكرت همدان ان معاوية فاتها ركضا فقال سعيد بن قيس في ذلك :

يا لهف نفسي فاتني معاوية فوق طمر كالعقاب هاوية
والراقصات لا يعود ثانية الا على ذات خصيل طاوية
ان يعد اليوم فكفي عاليه

فانصرف معاوية ولم يعمل شيئا وحجز بينهم الليل . وغدا عمرو ابن العاص في اليوم الثاني في حماة الخيل فقصد المرقال ومع المرقال لواء علي الأعظم في حماة الناس فتقدم عمرو وهو يقول :

لاعيش ان لم الق يوما هاشما ذاك الذي ان ينج مني سالما
يكن شجى حتى الممات لازما

فطعن في اعراض الخيل مزبدا فحمل هاشم وهو يقول :

لا عيش ان لم الق يومي عمرا ذاك الذي احدث فينا الغدرا
او يحدث الله لامر امرا لا تجزعي يا نفس صبرا صبرا
ضربا مداريك وطعنا شزرا يا ليت ما تحتي يكون قبرا

فطعن عمرا حتى رجع واشتد القتال وانصرف الفريقان ولم يسر معاوية ذلك . وغدا في اليوم الثالث بسر بن ارطاة في حماة الخيل فلقي قيس بن سعد في كماة الانصار فاشتدت الحرب بينهما وبرز قيس كأنه فنيق مقرم وهو يقول :

انا ابن سعــــد زانه عباده والخزرجيون رجـــال ساده
ليس فراري في الوغى بعاده ان الفــــرار للفتى قــلاده
يا رب انت لقني الشهــادة والقتل خير من عناق غــــادة
حتى متى تثنى لي الوسادة

فطعن خيل بسر وبرز له بسر بعد ملي وهو يقول :

انا ابن ارطاة عظيم القــدر مراود في غالــــب بن فهـر
ليس الفرار من طبــاع بسر ان يرجـــع اليوم بغـير وتر
وقد قضيت في عدوي نذري يا ليت شعري ما بقي من عمري

وطعن بسر قيسا فضربه قيس بالسيف فرده على عقبيه ورجع القوم جميعا ولقيس الفضل . وتقدم عبيد الله بن عمر في اليوم الرابع ولم يترك فارسا مذكورا وجمع من استطاع فقال له معاوية انك تلقى افاعي اهل العراق فارفق واتئد فلقيه الاشتر امام الخيل مزبدا وكان الاشتر اذا اراد القتال ازبد وهو يقول :

في كل يــوم هامتي مقترة بالضرب ابغي منـــــة مؤخرة
والدرع خير من برود حبره يا رب جنبني سبيـــــل الكفره
واجعل وفاتي باكف الفجره لا تعدل الدنيا جميعـــا وبره
ولا بعوضا في ثواب البررة

فرد الخيل فاستحيا عبيد الله فبرز امام الخيل وكان فارسا فحمل عليه الاشتر فطعنه واشتد الامر وانصرف القوم وللاشتر الفضل فغم ذلــك معاوية . وغدا عبد الرحمن بن خالد في اليوم الخامس وكان ارجاهم عند معاوية ان ينال حاجته فقواه بالخيل والسلاح وكان معاوية يعده ولــدا فلقيه عدي بن حاتم في حماة مذحج وقضاعة فبرز عبد الرحمن امــــام الخيل وهو يقول :

قل لعدي ذهب الوعيد انا ابن سيف الله لا مفيـــد
وخالد يزينه الوليــد فما لنــــا ولا لكـــم محيد
عن يومنا ويومكـم فعودوا

ثم حمل فطعن الناس وقصده عدي بن حاتم وهو يقول :

ارجو آلهي واخـــاف ذنبي ... وليس شيء مثـــل عفو ربي

يا ابن الوليد بغضكم في قلبي ... كالهضب بل فوق قنان الهضب

فلما كاد ان يخالطه بالرمح توارى عبد الرحمن في العجــاج واستتر باسنة اصحابه واختلط القوم ورجع بد الرحمن الى معاوية مقهورا انكسر معاوية وشمت بذلك ايمن بن خريم بن فاتك الاسدي وكان انسك رجل من اهل الشام واشعره وكان في ناحية معتزلا وقال في ذلك ابياتـــا ذكرناها في ترجمته • واظهر معاوية لعمرو شماته وقال لقد انصفتكم اذ لقيت سعيد بن قيس في همدان وفررتم وانك يا عمرو لجبان فغضب عمرو ثم قال والله لو كان عليا ما قحمت عليه يا معاوية فهلا برزت الـــى علي اذ دعاك ان كنت شجاعا كما تزعم وقال هذه الابيات :

تسير الى ابن ذي يزن سعيـــد ... وتترك في العجاجة من دعاكـــا

فهل لك في ابي حسن عـــلي ... لعل الله يمكن من قفاكـــا

دعاك الى النزال فـــلم تجبه ... ولو نازلته تربت يداكـــا

وكنت اصم اذ ناداك عنهـــا ... وكان سكوته عنهـــا مناكا

فآب الكبش قـــد طحنت رحاه ... بنجدته ولم تطحن رحاكـــا

فما انصفت صحبك يا ابن هند ... اتفرقه وتغضب من كفاكـــا

فـــلا والله ما اضمرت خـــيرا ... ولا اظهرت لي الا هواكـــا

واستحيا القرشيون مما صنعوا وشمت بهم اليمانية فقال معاوية يـــا معشر قريش والله لقد قربكم لقاء القوم من الفتح ولكن الامر لامر الله انما لقيتم كباش أهل العراق وقتلتم وقتل منكم وما لكم علي من حجة لقد عبأت تعبيتي لسيدهم سعيد بن قيس فانقطعوا عن معاوية ايامـــا فقال معاوية في ذلك :

لعمري لقد انصفت والنصف عادة ... وعاين طعنا في العجـــاج المعاين

اتدرون من لاقيتم فـــل جيشكم ... لقيتم ليوثا اصحرتها العرائـــن

لقيتم صناديد العراق ومن بهم ... اذا جاشت الهيجاء تحمى الظعائن

وما كان منكم فارس دون فارس ولكنه ما قدر الله كائن

فأتوه فاعتذورا اليه .

(مقتل عبيد الله بن عمر)

وتضعضعت اركن حمير بعد مقتل ذي الكلاع وثبتت مع عبيد الله بن عمر . وبعث عبيد الله بن عمر الى الحسن بن علي فقال ان لي اليك حاجة فالقني فلقيه فقال ان اباك قد وتر قريشا اولا وآخرا وقد شنئوه فهل لك ان تخلعه ونوليك هذا الامر قال كلا والله لا يكون ذلك ثم قال له الحسن لكأني انظر اليك مقتولا في يومك او غدك اما ان الشيطان قد زين لك وخدعك حتى اخرجك مخلقا بالخلوق ترى نذساء اهل الشام موقفك وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلا . قال نصر وبلغنا ان عبيد الله بن عمر بعثه معاوية في اربعة آلاف وثلثمائة (وفي رواية) أربعة آلاف وهي كتيبته الرقطاء ويقال لهم الخضرية لأن ثيابهم خضر او لانهم اعلموا بالخضرة بعثهم ليأتوا عليا من ورائه فبلغ عليا ذلك فبعث اليهم اعدادهم ليس منهم الا تميمي واقتتل الناس من لدن اعتدال النهار الى صلاة المغرب ما كان صلاة القوم الا التكبير عند مواقيت الصلاة ثم ان ميسرة أهل العراق كشفت ميمنة أهل الشام فطاروا في سواد الليل والتقى عبيد الله هو وكرب رجل من عكل فقتل كربا وقتل الذين معه جميعا وانما انكشف الناس لذلك فكشف اهل الشام اهل العراق فاختلطوا في سواد الليل وتبدلت الرايات بعضها ببعض فلما اصبح الناس وجد أهل الشام لواءهم ليس حوله الا الف رجل فاقتلعوه وركزوه من وراء موضعه الاول واحاطوا به ووجد أهل العراق لواءهم مركوزا وليس حوله الا ربيعة وعلي بينهم وهم محيطون به وهو لا يعلم من هم ويظنهم غيرهم فلما اذن مؤذن علي حين طلع الفجر قال :

يا مرحبا بالقائلين عدلا وبالصلاة مرحبا واهلا

فلما صلى علي الفجر ابصر وجوها ليست بوجوه اصحابه بالامس واذا مكانه الذي هو به ما بين الميسرة والقلب بالامس فقال من القوم قالوا ربيعة

وقد بت فيهم البارحة فقال (فخر طويل لك يـ ربيعة) ثم قال لهاشم خذ اللواء فوالله ما رأيت مثل هذه الليلة ثم خرج نحو القلب حتى ركن للواء به واذا سعيد بن قيس على مركزه فلحقه رجل من ربيعة يقال له نعير فقال له الست الزاعم ان لم تنته ربيعة لتكونن ربيعة ربيعة ومضر مضر فما اغنت عنك مضر البارحة فنظر اليه علي نظر منكر فلما اصبحوا نهدوا للقتال غير ربيعة لم تتحرك فبعث اليهم علي ان انهدوا الى عدوكم فأبوا فبعث اليهم ثانيا قالوا كيف تنهدو هذه الخيل من وراء ظهرنا قل لامير المؤمنين فليأمر همدان او غيرها بمناجزتهم لننهد فبعث اليهم الاشتر وكان جهير الصوت فقال يا معشر ربيعة ما منعكم ان تنهدوا وانتم أصحاب كذا واصحاب كذا وجعل يعدد ايامهم قالوا ما نفعل فنظر هذه الخيل التي خلف ظهورنا وهي اربعة آلاف قل لامير المؤمنين فليبعث اليهم من يكفيه امرهم فقال لهم الاشتر فان امير المؤمنين يقول لكم اكفونيها انتم او بعثتم اليها طائفة منكم لتركوكم وفروا كاليعافير فوجهت ربيعة اليهم تيم اللات والنمر ابن قاسط وعنزة قالوا فمشينا اليهم مستلئمين مقنعين في الحديد وكان عامة قتل صفين مشيا فلما اتيناهم هربوا وانتشروا انتشار الجراد (قال الراوي) فذكرت قول الاشتر كأنهم اليعافير فرجعنا الى اصحابنا وقد نشب القتال بينهم وبين اهل الشم وقد اقتطع اهل الشام طائفة من اهل العراق بعضها من ربيعة فأحاطوا بها فلم نصل اليها حتى حملنا على اهل الشام فعلوناهم بالاسياف حتى انفرجوا لنا وافضينا الى اصحابنا قال فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد فما تحاجزنا حتى حجز بيننا سواد الليل وما نرى رجلا منا ولا منهم موليا وحمل عبيد الله ابن عمر وهو يقول :

انا عبيد الله ينميني عمر ... خير قريش من مضى ومن غبر
الا نبي الله والشيخ الاغر ... قد ابطات عن نصر عثمن مضر
والربعيون فلا اسقوا المطر ... وسارع الحي اليمانون الغرر
والخير في الناس قديما يبتدر

فحمل عليه حريث بن جابر الحنفي وهو يقول :

قد صابرت في نصرها ربيعة في الحق والحق لهم شريعة
فاكفف فلست تارك الوقيعة في العصبة السامعة المطيعة
حتى تذوق كاسها الفظيعة

فطعنه فصرعه وكان حريث هذا نازلا بين العسكرين في قبة له حمراء وكان اذا التقى الناس للقتال امدهم بالشراب من اللبن والسويق والماء . ومر الحسن فاذا هو برجل متوسد رجل قتيل قد ركز رمحه في عينه وربط فرسه برجله فقال الحسن ظهر معه انظروا من هذا فاذا هو برجل من همدان فاذا القتيل عبيد الله بن عمر قد قتله وبات عليه حتى اصبح ثم سلبه واخذ سيفه ذا الوشاح فلما ملك معاوية بعث الى قاتله فأخذ السيف منه وفي قتل عبيد الله بن عمر يقول كعب بن جعيل التغلبي شاعر اهل الشام بصفين :

معاوي لا تنهض بغير وثيقة فانك بعد اليوم بالذل عارف
تركتم عبيد الله بالقاع مسندا يمج نجيعا والعروق نوازف
الا انما تبكي العيون لفارس بصفين اجلت خيله وهو واقف
ينوء ويعلوه شآبيب من دم كما لاح في جيب القميص الكائف
تبدل من اسماء اسياف وائل واي فتى لو اخطأته المتالف
الا ان شر الناس في الناس كلهم بنو اسد اني لما قلت عارف

فقال ابو جهمة الاسدي يرد عليه من ابيات :

وقد صبرت حول ابن عم محمد لدى الموت شهباء المناكب شارف
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتى اتيحت بالاكف المصاحف
بمرج ترى الرايات فيه كأنها اذا جنحت للطعن طير عواكف

وقال الصلتان العبدي :

الا يا عبيد الله ما زلت مولعا ببكر لها تهدي اللقاو التهددا
وكنت سفيها قد تعودت عادة وكل امرىء جار على ما تعودا
فاصبحت مسلوبا على شرالة صريع قنا وسط العجاجة مفردا

ثم تمادى الناس في القتال فاضطربوا بالسيوف حتى تقطعت وصارت كالمناحل وتطاعنوا بالرماح حتى تكسرت ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب ثم تعانقوا وتكادموا وتراموا بالصخر والحجارة ثم تحاجزوا فجعل الرجل من أهل العراق يمر على اهل الشام فيقول من اين اخذ الى رايات بني فلان فيقولون ها هنا لا هداك الله ويمر الرجل من اهل الشام على اهل العراق فيقول كيف آخذ الى رايات بني فلان فيقولون ها هنا لاحفظك الله ولا عافاك .

(قتال ربيعة بصفين)

وقال ابو عرفاء جبلة بن عطية الذهلي الرقاشي للحضين بن المنذر الرقاشي يوم صفين وكانت راية علي (ع) مع الحضين هل لك ان تعطيني رايتك احملها فيكون لك ذكرها ولي اجرها قال وما غناي عن اجرها مع ذكرها قال له اعرنيها ساعة فما اسرع ما ترجع اليك فعلم انه يريد ان يستقتل فاعطاه اياها فأخذها وقال يا اهل هذه الراية ان عمل الجنة كره كله وان عمل النار خف كله وان الجنة لا يدخلها الا الصابرون الذين صبروا انفسهم على فرائض الله وامره وليس شيء مما افترض الله على العباد اشد من الجهاد هو افضل الاعمال ثوابا فاذا رأيتموني قد شددت فشدوا ويحكم اما تشتاقون الى الجنة اما تحبون ان يغفر الله لكم فشد وشدوا معه فاقتتلوا قتالا شديدا واخذ الحضين يقول :

شدوا اذا ما شد باللواء   ذاك الرقاشي ابو عرفاء

فقاتل ابو عرفاء حتى قتل وفي ذلك اليوم يقول ابو مجزاة ابن ثور :

اضربهم ولا ارى معاوية   الأبرج العين العظيم الحاوية

هوت به في النار ام هاوية   جاوره فيها كلاب عاوية

اغوى طغاما لا هداه هادية

وقال معاوية لعمر بن العاص اما ترى يا ابا عبد الله الى ما قد وقعنا فيه كيف ترى اهل العراق غدا صانعين انا لفي خطر عظيم فقال عمرو ان اصبحت ربيعة منعطفين حول علي تعطف الابل حول فحلها لقيت منهم

جلادا صادقا وبأسا شديدا قال أبخؤولتك تخوفني يا ابا عبد الله قـال انك سألتني فأجبتك .

فلما اصبحوا في اليوم العاشر اصبحوا وربيعة محدقة بعـلي (ع) احداق بياض العين بسوادها قال عتاب بن لقيط البكري حيث اتتهى علي الى رايات ربيعة اذا اصيب علي فيكم افتضحتم وقد لجأ الى راياتكم وقال لهم شقيق بن ثور يا معشر ربيعة ليس لكم عذر في العرب ان اصيب علي فيكم ومنكم رجل حي ان منعتموه فحمد الحياة البستموه فقاتلوا قتالا شديدا لم يكن قبله مثله حين جاءهم علي . وقام خالـد بن المعمر فنادى من يبايع على الموت ويشري نفسه لله فبايعه سبعة آلاف على ان لا ينظر رجل منهم خلفه حتى يرد سرادق معاوية فاقتتلوا قتالا شديدا وقـد كسروا جفون سيوفهم فلما نظر اليهم معاوية قد اقبلوا قال :

اذا قلتقد ولت ربيعة اقبلت كتائب منهم كالجبال تجالـد

ثم قال معاوية لعمرو ما ترى قال ارى ان لا تحنث اخوالي اليوم فخلى معاوية عنهم وعن سرادقه وخرج فارا عنه لائذا الى بعض مضـارب العسكر فدخل فيه وبعث معاوية الى خالد بن المعمر انك قد ظفرت ولك امرة خراسان ان لم تتم فطمع خالد في ذلك ولم يتم فأمره معاوية حـين بايعه الناس على خراسان فمات قبل ان يصل اليها فاذا صح ذلك فقـد خسر الدنيا والآخرة وفي فرار معوية بصفين يقول النجاشي من ابيات :

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة اجش هزيم والرمـاح دواني
اذا قلت اطراف الرمـاح ينلنه مرته بـه الساقان والقدمـان
حسبت طعان الاشعرين ومذحج وهمدان اكل الزبد بالصرفـان
فما قتلت عـك ولخم وحمير وغيلان الا يـوم حرب عوان
وما دفنت قتلى قريش وعامـر بصفين حتى حكـم الحكمان
غشيناهم يـوم الهرير بعصبة يمانية كالسيـل سيل عران
فأصبحاهل الشام قد رفعوا القنا عليهـا كتـاب الله خير قران
ونادوا عليا يـا ابن عم محمد اما تتقي ان يهلـك الثقـلان
فان بر خيلينا عداة تلاقيـا يرى جبلي جيلان ينتطحـان

ثم ان عليا (ع) صلى الغداة ثم زحف اليهـــم فلما بصروه استقبلوه يزحوفهم فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان خيل اهل الشام حملت على خيل اهل العراق فاقتطعوا من اصحاب علي الف رجل او اكثر فاحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين اصحابهم فنادى علي الا رجل يشري نفسه لله فأتاه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحارث على فرس ادهم كأنه غراب مقنعـا بالحديد لا يرى منه الا عيناه فقال يا أمير المؤمنين مرني بامرك فوالله ما تأمرني بشيء الا صنعته فقال علي (ع) :

سمحت بامر لا يطـاق حفيظة — وصدقا واخوان الحفاظ قليـــل
جزاك آله الناس خيرا فقد وفت — يداك بفضل ما هناك جزيـــل

أبا الحارث شد الله ركنك احمل على اهل الشام حتى تأتي اصحابك فتقول لهم امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم هللوا وكبروا من ناحيتكم ونهلل نحن ونكبر من ها هنا واحملوا من جانبكم ونحمـــل نحن من جانبنا على اهل الشام فضرب الجعفي فرسه حتى اذا قام عـــلى السنابك حمل على اهل الشام المحيطين باصحاب علي فطاعنهم ساعـــة وقاتلهم فنفرجوا له حتى اتى اصحابه فلما رأوه استبشروا بـــه وفرحوا وقالوا ما فعل أمير المؤمنين قال صالح يقرئكم السلام ويقول لكم هللوا وكبروا واحملوا حملة رجل واحد من ذلك الجانب ونهلل نحن من جانبنا ونكبر ونحمل من خلفكم فهللوا وكبروا وهلل علي واصحابه من ذلـك الجانب وحملوا على أهل الشام من هناك وحمل علي من ها هنـــا في اصحابه فانفرج اهل الشم عنهم فخرجوا وما اصيب منهم رجل واحد ولقد قتل من فرسان اهل الشام يومئذ زهاء سبعمائة رجل وقال علي (ع) من اعظم الناس غناء قالوا انت يا أمير المؤمنين قال كلا ولكنه الجعفي .

(قتـــال مضر بصفين)

وذكروا ان عليا عليه السلام كان لايعدل بربيعة احدا من الناس فشق ذلك على مضر وظهروا لهم القبيح وابدوا ذات انفسهم فقال حضين ابـــن المنذر شعرا اغضب مضرا فيه :

رأت مضر صارت ربيعـــة دونهم　　شعار امير المؤمنـــين وذا الفضـــل
فابدوا الينـــا ماتجن صدورهم　　علينا من البغضـــا وذاك له اصـــل
وانا انـــاس خصنـــا الله بالتي　　رآنا لهاً اهـــلا واتم لهـــا أهـــل
فابلوا بلانا أو اقروا بفضلنـــا　　ولن تلحقونا الدهر ما حنت الابل

فغضبوا من شعره فقام ابو الطفيل عامر بن واثلة الكناني وعمير ابن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي ووجوه بني تميم وقبيصة ابن جابر الاسدي في وجوه بني اسدو عبيد الله بن عامر العامري في وجوه هوازن فاتوا عليا (ع) فتكلم ابو الطفيل فقال يا امير المؤمنين انا والله ما نحسد قوما خصهم الله منك بخير ان حمدوه وشكروه وان هذا الحي من ربيعة قد ظنوا انهم اولى بك منا وانك لهم دوننا فاعفهم عن القتال اياما واجعل لكل امرىء منا يوما يقاتل فيه فانا ان اجتمعنا اشتد عليك بلاؤنا فقال علي اعطيتم ما طلبتم وذلك يوم الاربعاء وامر ربيعة ان تكف عن القتال وكانت بازاء اليمن من صفوف اهل الشام فغدا عامر بن واثلة في قومه من كنانة وهم جماعة عظيمة فتقدم امام الخيل وهو يقول طاعنوا وضاربوا ثم حمل وهو يقول :

قد صبرت في حربها كنانة　　والله يجزيها بهـــا جنانه
من افرغ الصبر عليه زانه　　او غلب الجبن عليه شانـــه
او كفر الله فقـــد اهانه　　غدا يعض مـــن عصي بنانه

فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرف ابو الطفيل الى علي (ع) فقال يا أمير المؤمنين انك نبأتنا ان اشرف القتل الشهادة واحظى الامر الصبر وقـــد والله صبرنا حتى اصبنا فقتيلنا شهيد وحينا ثائر فاطلب بمن بقي ثأر من مضى فانا وان كان قد ذهب صفوه وبقي كدرنا فان لنا دينا لا يميل بـــه الهوى ويقينا لا تزحمه الشبهة فاثنى علي عليه خيرا • ثم غدا يوم الجمعة عمير بن عطارد بجماعة من بني تميم وهو يومئذ سيد مضر من أهـــل الكوفة فقال يا قوم اني اتبع آثار ابي الطفيل وتتبعون اثار كنانة وتقدم برايته وهو يقول :

قد ضاربت في حربها تميم ان تميما حظهــــا عظيم
لها حديث ولهــا قديم ان الكريم نسلــه كريم
ان لم تردهم رايتي فلوموا دين قويم وهــدى سليم

فطعن برايته حتي خضبها دما وقاتل اصحابه قتالا شديدا حتى امسوا وانصرف عمير الى علي (ع) وعليه سلاحه فقال يا امير المؤمنين قد كان ظني بالناس حسنا وقد رأيت منهم فوق ظني بهم قاتلوا من كل جهة وبلغوا جهدهم من عدوهم . ثم غدا يوم السبت قبيصة بن جابر الاسدي فــي بني اسد وهم حي الكوفة بعد همدان فقال يا معشر بني اسد اما انا فلا اقصر دون صاحبي واما انتم فذلك اليكم ثم تقدم برايته وهو يقول :

قد حافظت في حربها بنو اسد ما مثلها العجاج من احــد
اقرب من يمن وانأى من نكد كاننا ركن ثبير او احــد
لسنا باوباش ولا بيض البلد لكننا المحة من ولــد سعد
كنت ترانا في العجاج كالاسد يا ليت روحي قد ناي عن الجسد

فقاتل القوم ولم يكونوا على ما يريد في الجهد فعد لهم على ما يحب. فظفر ثم اتى عليا (ع) فقال يا امير المؤمنين ان استهانة النفوس فــي الحرب ابقى لها والقتل خير لها في الآخرة . ثم غدا يوم الاحد عبد الله بن الطفيل العامري وكان سيد بني عامر فغدا بجماعة هوازن وهو يقول :

قد ضاربت في حربها هوازن اولاك قــوم لهم محاسن
حبي لهم حزم وجأش ساكن طعن مداريـك وضرب واهــن
هذا وهذا كل يــوم كائن لم يخبروا عنــا ولكن عاينوا

واشتد القتال بينهم حتى الليل ثم انصرف عبد الله بن الطفيل فقال يا امير المؤمنين لقيت والله بقومي اعدادهم من عدوهم فما ثنوا اعنتهم حتى طعنوا في عدوهم ثم رجعوا الي فاستكرهوني على الرجوع اليهم واستكرهتهم على الانصراف اليك فابوا ثم عادوا فاقتتلوا فاثنى عليهم علي خيرا وفرت المضرية بما كان منهم على الربعية وانتصفوا من ربيعــة وقــال عامر بن واثلة في ذلك :

حامت كنانة في حربهـــا وحامت تميم وحامت اسـد
وحامت هوازن يوم اللقاء فما حـــام منا ومنهم احد
لقينا الفوارس يوم الخميس والعيد فالسبت ثـم الاحد
وامدادهم خلف اذنابهـم وليس لنا من سوانا مـدد
فلما تنادوا بآبائهـــم دعونا معدا ونعم المعـــد
فظلنا نفلق هاماتهـــم ولم نـك فيها ببيض البلـد
ونعم الفوارس يوم اللقاء فقل في عديد وقل في عدد
وقل في طعان كفرغ الدلاء وضرب عظيم كنار الوقـد
ولكن عصفنا بهـم عصفة وفي الحرب يمن وفيها نكد
طحنا الفوارس وسط العجاج وسقنا الزعانف سوق النقـد
وقلنا عـــلي لنـا والد ونحن لـه طاعة كالولـــد

وخطب علي عليه السلام الناس يومئذ بصفين فقال في آخر خطبته وابن عم نبيكم معكم بين اظهركم يدعوكم الى طاعة ربكم ويعمل بسنـــة نبيكم صلى الله عليه وسلم فلا سواء من صلى قبل كل ذكر ولـــم يسبقني بصلاتي مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) احد وانا من اهل بدر ومعوية طليق ابن طليق والله انكم لعلى حق وانهم لعلى باطل فـلا يكونن القوم على باطلهم اجتمعوا عليه وتتفرقون عن حقكم حتى يغلب باطلهم حقكم قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فان لم تفعلوا يعذبهم بايـدي غيركم • فأجابه اصحابه فقالوا يا امير المؤمنين انهض بنا الى عدونا وعدوك اذا شئت فوالله ما نريد بك بدلا نموت معك ونحيا معك فقال لهم والذي نفسي بيده لنظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم اضرب قدامـــه بسيفي فقال :

لا سيف الا ذو الفقـار ولا فتـــى الا عـــلي

وقال يا علي انت مني بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبي بعـدي وموتك وحياتك يا علي معي والله ما كذبت ولا كذبت ولا ضللـت ولا ضل بي وما نسيت ما عهد الي واني لعلى بينة من ربي واني لعلى الطريق

الواضح القطه لقطا ثم نهض الى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق وما كانت صلاة القوم الا تكبيرا •

(فعل كريب بن الصباح وقتله)

وبرز رجل من حمير من آل ذي يزن اسمه كريب بن الصباح ليس في اهل الشام يومئذ رجل اشهر شدة بالبأس منه ثم نادى من يبارز فبرز اليه المرتفع بن الوضاح الزبيدي فقتل المرتفع ثم نادى من يبارز فبرز اليه الحارث بن الجلاح فقتله ثم نادى من يبارز فبرز اليه عايذ بن مسروق الهمداني فقتل عايذا ثم رمى باجسادهم بعضها فوق بعض ثم قام عليها بغيا واعتداء ثم نادى هل بقي من مبارز فبدر اليه علي عليه السلام ثم ناداه ويحك يا كريب اني احذرك وادعوك الى سنة الله وسنة رسوله ويحك لا يدخلنك ابن آكلة الاكباد النار فكان جوابه ان قال ما اكثر ما قد سمعنا هذه المقلة منك فلا حاجة لنا فيها اقدم اذا شئت من يشتري سيفي وهذا اثره فقال علي (ع) لا حول ولا قوة الا بالله ثم مشى اليه فلم يمهله ان ضربه ضربة خر منها قتيلا يتشحط في دمه ثم نادى من يبارز فبرز اليه الحارث بن وداعة الحميري فقتل الحارث ثم نادى من يبارز فبرز اليه المطاع بن المطلب العبسي فقتل مطاعا ثم نادى من يبرز فلم يبرز اليه احد ثم ان عليا (ع) نادى يا معشر المسلمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه مثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع الصابرين • ويحك يا معاوية هلم فبارزني ولا يقتلن الناس فيما بيننا فقال عمرو اغتنمه منتهزا فقد قتل ثلاثة من ابطال العرب واني اطمع ان يظفرك الله به فقال معاوية ويحك يا عمرو والله ان تريد الا ان اقتل فتصيب الخلافة بعدي (اذهب اليك فليس مثلي يخدع)•

وقام عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى منحنيا على قوس يحرض اصحابه وقال في آخر خطبته انا نحتسب عند الله ما اصبح في امة محمد (صلى الله عليه وسلم) من اشتعال نيرانها واضطراب حبلها ووقوع بأسها

بينها فاز لله وانا اليه راجعون او لا تعلمون ان صلاتنا وصلاتهم وصيامنا وصيامهم وحجنا وحجهم وقبلتنا وقبلتهم وديننا ودينهم واحد ولكـــن الأهواء متشتتة اللهم اصلح هذه الامة بما اصلحت به اولها واحفظ فيها نبيها مع ان القوم قد وطئوا بلادكم وبغوا عليكم فجدوا في قتال عدوكم ثـــم جلس •

وقام عبد الله بن العباس خطيبا فقال في آخر خطبته حتى كان فيمـــا اضطرب من حبل هذه الامة وانتشر من امرها ان ابن آكلة الاكباد قـــد وجد من طغام اهل الشام اعوانا على علي بن ابي طالب ابن عم رسول الله وصهره واول ذكر صلى معه بدري قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مشاهدة التي فيها الفضل ومعاوية وابو سفيان مشركـــــان يعبدان الاصنام لقد قاتل علي مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلي يقول صدق الله ورسوله ومعاوية وأبو سفيان يقولان كذب الله ورسوله فما معاوية في هذه بابر ولا انقى ولا ارشد ولا اصوب منه في تلكم والله انكم لعلى الحق وان القوم لعلى الباطل فلا يكون اولى بالجد في باطلهم منكم في حقكم اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم •

وقام عمار بن ياسر فقال في جملة كلامه امضوا عباد الله الى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم عثمان والله ما اظنهم يطلبون دمه ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرؤوها وعلموا لو ان الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يرغبون فيه منها ولم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقون بها الطاعة والولاية فخدعوا اتباعهم بان قالوا قتل امامنا مظلوما ليكونوا بذلـــك جبابرة وملوكا وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولولا هي ما بايعهم من الناس رجلان •

(قتـــــال عمار بصفين)

ثم مضى عمار ومضى معه اصحابه فلما دنا من عمرو بن العاص قال يا عمرو بعت دينك بمصر تبا لك وطالما بغيت الاسلام عوجا ثم حمل عمار وهو يقول :

صدق الله وهو للصدق اهل — وتعالى ربي وكان جليلا
رب عجل شهادة لي بقتل — في الذي قد احب قتلا جميلا
مقبلا غير مدبران للقتل — على كل ميتة تفضيلا
انهم عند ربهم في جنان — يشربون الرحيق والسلسبيلا
من شراب الابرار خالطه المسـ — ـك وكأسا مزاجها زنجبيلا

ثم قال اللهم انك لتعلم اني لو اعلم ان رضاك ان اقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت اللهم انك تعلم اني لو اعلم ان رضاك ان اضع ظبة سيفي في بطني ثم انحني عليها حتى يخرج من ظهري لفعلت ولو اعلم اليوم عملا هو ارضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين لفعلته • ونادى عمار ابن ياسر يومئذ اين من يبغي رضوان ربه ولا يؤوب الى مال ولا ولد فاتته عصابة من الناس فقال يا ايها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان •

(مقتل هاشم المرقال)

ودفع علي (ع) الراية الى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وكان عليه درعان فقال له علي كهيئة المازح يا هاشم اما تخشى من نفسك ان تكون اعور جبانا قال ستعلم يا أمير المؤمنين والله لألفن بين جماجم القوم الف رجل ينوي الآخرة (وفي رواية) انه قال له يا هاشم حتى متى تأكل الخبز وتشرب الماء فأخذ رمحا فهزه فانكسر ثم اخذ آخر فوجده جاسيا فالقاه ثم دعا برمح لين فشد به لواءة ولما دفع علي الراية الى هاشم قال له رجل من بكر بن وائل من اصحاب هاشم اقدم هاشم يكررها ثم قال مالك يا هاشم قد انتفخ سحرك اعورا وجبنا قال من هذا قالوا فلان قال اهلها وخير منها اذا رأيتني قد صرعت فخذها ثم قال لاصحابه شدوا شسوع نعالكم وشدوا ازركم فاذا رأيتموني قد هززت الراية ثلاثا فاعلموا ان احدا منكم لا يسبقني اليها ثم نظر هاشم الى عسكر معوية فرأى جمعا عظيما فقال من اولئك قالوا جند اهل المدينة وقريش قال قومي لا حاجة لي في

قتالهم قال من عند هذه القبة البيضاء قيل معوية وجنده قال فاني ارى دونهم اسودة قالوا ذاك عمرو بن العاص وابناه واخذ الراية فهزهـا فقال له رجل من اصحابه امكث قليلا ولا تعجل فقال هاشم :

قد اكثرا لومي وما اقـلا　　اني شريت النفس لـن اعتلا
اعور يبغي اهله محـلا　　لا بد ان يغـل او يغـلا
قد عالج الحياة حتى مـلا　　اشلهم بذي الكعوب شـلا

وفي رواية انه قال :

اشلهم بذي الكعوب شـلا　　مع ابن عـم احمـد المعلى
فيه الرسول بالهدى استهـلا　　اول مـن صدقه وصـلى
فجاهد الكفـار حتى ابلى

وجعل عمار بن ياسر يتناوله بالرمح ويقول اقدم يا اعور (لا خير في اعور لا يأتي الفزع) وكان هاشم عالما الحرب فيتقدم فيركز الراية فجعل عمرو بن العاص يقول اني لارى لصاحب الراية السوداء عملا لئن دام على هذا ليفنين العرب اليوم فاقتتلوا قتالا شديدا وجعل عمار يقول صبرا عباد الله الجنة تحت ظلال البضيء وكان لواء اهل الشام مع ابي الاعور السلمي ولم يزل عمار ينخسه حتى شب القتال • زحف هاشم بالراية يرقل بها ارقالا وكان يسمى المرقال وزحف الناس بعضهم الـى بعض والتقى الزحفان فاقتتل الناس قتالا شديدا لم يسمع الناس بمثله وكثرت القتلى في الفريقين كليهما (قال بعض الرواة) لما التقينا باهل الشام في ذلك اليوم وجدناهم خمسة صفوف قد قيدوا انفسهم بالعمائم فقتلنا صفا صفا حتى قتلنا ثلاثة صفوف وخلصنا الى الصف الرابع ما على الارض شامي ولا عراقي يولي دبره • ثم ان الازد وبجيلة كشفوا همدان غلوة حتى الجأوهم الى التل فصعدوا عليه فشدت عليهم الازد وبجيلة حتى احدروهم منه ثم عطكت عليهم همدان حتى الجأوهم الى ان تركوا مصافهم وقتل من الازد وبجيلة يومئذ ثلاثة آلاف واقتتل الناس قتالا شديدا لم يسمع بمثله وكثرت القتلى حتى ان كان الرجل ليشد طنب فسطاطه بيد الرجل او برجله قال

الاشعث لقد رأيت اخبية اهل صفين واروقتهم وما منها خباء ولا رواق ولا فسطاط الا مربوطا بيد رجل او رجله • قال الاحنف بن قيس اني لواقف الى جانب عمار بن ياسر فتقدمنا حتى اذا دنونا من هاشم بن عتبة قال له عمار احمل فداك ابي وامي ونظر عمار الى رقة في الميمنة فقال له هاشم رحمك الله يا عمار انك رجل تأخذك خفة في الحرب واني انما ازحف باللواء زحفا وارجو ان انا بذلك حاجتي واني ان خففت لم آمن الهلكة وقال معوية لعمرو بن العاص ويحك ان اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة وكان من قبل يرقل به ارقالا وان زحف به اليوم انه لليوم الاطول لاهل الشام وان زحف في عنق من اصحابه اني لاطمع ان يقتطع فلم يزل به عمار حتى حمل فبصر به معاوية فوجه اليه حماة اصحابه وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص ومعه سيفان قد تقلد واحدا وهو يضرب بالآخر واطافت به خيل علي فقال عمرو يا الله يا رحمن ابني ابني قال معاوية اصبر فانه لا بأس عليه فقال عمرو لو كان يزيد اذا لصبرت ولم يزل حماة اهل الشام يذبون عنه حتى نجا هاربا على فرسه ومن معه • ودعا هاشم بن عتبة في الناس عند المساء الا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل فشد في عصابة من اصحابه على اهل الشام مرارا فليس من وجه يحمل عليهم الا صبروا له فقال لاصحابه لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فما ترون منهم الا حمية العرب وانهم لعلى الضلال وانكم لعلى الحق يا قوم اصبروا وصابروا ثم امشوا بنا الى عدونا على تؤدة رويدا واذكروا الله ولا يسلم رجل أخاه ولا تكثروا الالتفات وجالدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فمضى فى عصابة من القراء فقاتل قتالا شديدا هو واصحابه حتى رأوا بعض ما يسرون به اذ خرج عليهم شاب وهو يقول :

انا ابن ارباب الملوك غسان والدائن اليوم بدين عثمان
انبأنا اقوامنا بما كان ان عليا قتل ابن عفان

ثم شد فلا ينثني يضرب بسيفه ثم يلعن ويشتم ويكثر الكلام فقال له

هاشم ان هذا الكلام بعده الخصام وان هذا القتال بعده الحساب فاتــق الله فانك راجع الى ربك فسائلك عن هذا الموقف قال فاني اقاتلكم لان صاحبكم لا يصلي كما ذكروا وانكم لا تصلون واقاتلكم ان صاحبكم قتل خليفتنا وانتم وازرتموه على قتله فقال له هاشم ما انت وذاك انما قتلة اصحاب محمد وهم اصحاب الدين واولى بالنظر في امور المسلمين وما اظن ان امر هذه الامة وامر هذا الدين عناك طرفة عين قط قال الفتى اجل اجل والله لا اكذب فان الكذب يضر ولا ينفع ويشين ولا يزين فقال له هاشم ان هذا الامر لا علم لك به فخله واهل العلم به قال اظنك والله قد نصحتني وقال له هاشم واما قولك ان صاحبنا لا يصلي فهو أول من صلى الى الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وافقهه في دين الله واولاه برسول الله واما من ترى معه كلهم قارىء الكتاب لا ينامون الليل تهجدا فلا يغرركم عن دينك الاشقياء قال الفتى يا عبد الله اني لأظنك امرأ صالحا فهل تجد لي من توبة قال نعم تب الى الله يتب عليك فانه يقبل التوبة عــن عباده ويعفو عن السيآت فذهب الفتى بين الناس راجعا فقال له رجــل من أهل الشام خدعك العراقي قال لا ولكن نصحني وقاتل هاشم قتالا شديدا حتى اتت كتيبة لتنوخ فشدوا على الناس فقاتلهم حتى قتل تسعة نفر او عشرة وحمل عليه الحارث ابن المنذر التنوخي فطعنه فسقط وبعث اليه علي (ع) ان قدم لواءك فقال للرسول انظر الى بطني فاذا هو قــد انشق فمر به رجل وهو صريع بين القتلى فقال له اقرأ امير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته وقل له انشدك بالله الا اصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بارجل القتلى فان الدبرة تصبح غدا لمن غلب على القتلى فاخبر الرجل عليا بذلك فسار في بعض الليل حتى جعل القتلى خلف ظهره وكانــت الدبرة له عليهم فأخذ الراية رجل من بكر بن وائل ورفع هاشم رأسه فاذا عبيد الله بن عمر قتيلا الى جانبه فحبا حتى دنا منه فعض على ثديه حتى تبينت فيه انيابه ثم مات هاشم وهو على صدر عبيد الله بن عمر وضرب

البكري الذي معه الراية فسقط فرفع رأسه فابصر عبيد الله بن عمر قريبا منه فحبا اليه حتى عض على ثديه الآخر فتبينت انيابه فيه ومات ايضـــا فوجدا جميعا على صدر عبيد الله بن عمر هاشم والبكري وفرح اهل الشام بمقتل هاشم فأخذ الراية عبد الله بن هاشم وخطب فقال : يا ايهـــا الناس ان هاشما كان عبدا من عباد الله الذين ارزاقهم وكتب آثارهم واحصى اعمالهم وقضى آجالهم فدعاه الله ربه الذي لا يعصى فأجابه وسلم لامر الله وجاهد في طاعة ابن عم رسول الله واول من آمن به وافقههم في دين الله المخالف لاعداء الله المستحلين ما حرم الله الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد واستحوذ عليهم الشيطان فزين لهم الاثم والعدوان فحق عليكم جهاد من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطل حدود الله وخالف اولياء الله فجودوا بمهج انفسكم في طاعة الله في هذه الدنيا تصيبوا الاخرة والمنزل الأعلى والملك الذي لا يعلى فلو لم يكن ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار لكان القتال مع علي افضل من القتال مع معاوية ابن آكلة الاكباد فكيف وانتم ترجون م ترجون • ولما قتـــل هاشم جزع الناس عليه جزعا شديدا واصيب معه عصابة من اسلم مـــن القراء فمر عليهم علي عليه السلام وهم قتلى حوله فقال :

جزى الله خيرا عصبة اسلمية ... صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر ومعبـــد ... وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لا يبعد ثنـــاه وذكره ... اذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

وقال عبد الله يرثي أباه هاشما بهذا الرجز :

يا هاشم بن عتبة بن مالك ... اعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيلان بالسنابك ... في اسود من نقعهن حالـــك
ابشر بحور العين في الارائك ... والروح والريحان عند ذلك

وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة يرثي هاشما :

يا هاشم الخـــير جزيت الجنه ... قاتلت في الله عـــــدو السنه

والتاركي الحق واهل الظنه   اعظم بما فزت بـــه من منه
صيرني الـــدهر كأني شنه   يا ليت أهلي قـــد علوني رنه
من حوبة وعمة وكنه

قال نصر والجوبة القرابة يقال لي في بني فلان حوبة اي قربى •

(مقتـــل عمار بن ياسر)

كان على عمار يوم صفين درع وهو يقول : ايها الناس الرواح الـى الجنة • وقال حين نظر الى راية عمرو بن العاص والله ان هذه الراية قـد قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بارشدهن ثم قال :

نحن ضربناكم على تنزيلـه   فاليوم نضربكم على تأويلـــه
ضربا يزيل الهـام عن مقيله   ويذهل الخليـــل عن خليله
أو يرجـع الحق الى سبيله

ثم استسقى وقد اشتد ظمأه فأتته امرأة طويلة اليدين قال الراوي والله ما ادري اعس معها او اداوة فيها ضياح من لبن فقال حين شرب الجنة تحت الأسنة اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وهم على باطل • وفي رواية ان الذي جاءه باللبن غلام له اسمه راشد ثم حمل وحمل عليه ابن جون السكسكي وأبو العادية الفزاري فاما أبو العادية فطعنه واما ابن جون فانه احتز رأسه• فكلن لا يزال رجل يجيء فيقول لمعاوية وعمرو انا قتلت عمارا فيقول لـه له عمرو فما سمعتموه يقول فيخلطون حتى اقبل ابن جون فقال أنا قتلت عمارا فقال له عمرو فمل كان آخر منطقه قال سمعته يقول اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه فقال له عمرو صدقت انت صاحبه اما والله ما ظفرت يداك ولكن اسخطت ربك • واحتج رجلان بصفين في سلب عمار بن ياسر وفي قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما ويحكما اخرجـا عني فلن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال اولعت قريش بعمار مالهـــم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قاتله وسالبه في النار قال

السدي فبلغني ان معاوية قال انما قتله من اخرجه يخدع بذلك طغام اهل الشام وقال مالك الاشتر ذكره نصر •

نحن قتلنا حوشبا لما غدا قد اعلما
وذا الكلاع قبله ومعبدا اذ اقدما
ان تقتلوا منا أبا الـ ـيقظان شيخا مسلما
فقد قتلنا منكم سبعين رأسا مجرما
اضحوا بصفين وقد لاقوا نكالا مؤتما

وقال عمرو بن العاص :

ونحن قتلنا هاشما وابن ياسر ونحن قتلنا ابني بديل تعسفا

وبعث علي خيلا ليحبسوا عن معوية مادة فبعث معاوية الضحاك ابن قيس الفهري في خيل الى تلك الخيل فازالوها وجاءت عيون علي فاخبرته بما قد كان فقال لاصحابه ما ترون فاختلفوا فلما راى اختلافهم امرهم بالغدو الى القوم فغاداهم القتال فانهزم اهل الشام وغلب اهل العراق على قتلى اهل حمص وغلب اهل الشام على قتلى اهل العالية وانهزم عتبة بن أبي سفيان عشرين فرسخا عن موضع المعركة حتى اتى الشام فقال النجاشي من قصيدة اولها :

لقد امعنت يا عتب الفرارا واورثك الوغى خزيا وعارا
فلا يحمد خصاك سوى طمر اذا اجريته انهمر انهمارا

ثم ان عليا عليه السلام امر مناديه فنادى في الناس ان اخرجوا الى مصافكم فخرج الناس الى مصافهم واقتتلوا واقبل أبو الأعور السلمي يقول :

اضربهم ولا ارى عليا كفى بهذا حزنا عليا

(وقعة الخميس)

قال نصر ثم كانت بين الفريقين الوقعة المعروفة بوقعة الخميس قال

القعقاع بن الابرد الطهوي والله اني لو اقف قريبا من علي يوم وقعة الخميس وقد التفت مذحج وكانوا في ميمنة علي وعك وجذام ولخم والاشعرون وكانوا مستبصرون في قتال علي ولقد والله رأيت ذلك اليوم من قتالهم وسمعت من وقع السيوف على الرؤوس وخبط الخيول بحوافرها في الارض وفي القتلى ما الجبال تهد ولا الصواعق تصعق باعظم هولا في الصدور من ذلك الصوت نظرت الى علي وهو قائم فدنوت منه فسمعته يقول لا حول ولا قوة الا بالله والمستعان الله ثم نهض حين قام قائم الظهيرة وهو يقول ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وحمل على الناس بنفسه وسيفه مجرد بيده فلا والله ما حجز بيننا وبينهم الا الله رب العالمين في قريب من ثلث الليل وقتلت يومئذ اعلام العرب وكان في رأس علي ثلاث ضربات وفي وجهه ضربتان قال نصر وقد قيل ان عليا لم يجرح قط وقتل في هذا اليوم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين فقالت ابنته ضبيعة ترثيه :

عين جودي على خزيمة بالدمع	قتيل الاحزاب يوم الفرات
قتلوا ذا الشهادتين عتوا	ادرك الله منهم بالترات
قتلوه في فتية غير عزل	يسرعون الركوب للدعوات
نصروا احمد الموفق للعدل	ودانوا بذاك حتى الممات
لعن الله معشرا قتلوه	ورماهم بالخزي والآفات

وروى نصر عن ابي سليمان الحضرمي وكان حضر صفين مع علي (ع) ان الفيلقين التقيا بصفين واضطربوا بالسيوف ليس معهم غيرها الى نصف الليل • وعن زياد بن النضر وكان على مقدمة علي (ع) قال شهدت مع علي بصفين فاقتتلنا ثلاثة ايام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صلرت الى المسليفة فاجتلدنا بها الى نصف الليل حتى صرنا نحن واهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضا وقد قاتلت ليلتئذ بجميع السلاح

فلم يبق شيء من السلاح الا قاتلت به حتى تحاثينا بالتراب وتكادمنا حتى صرنا قيلما ينظر بعضنا الى بعض ما يستطيع واحد من الفريقين ان ينهض الى صاحبه ولا يقاتل فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف وغلب علي عليه السلام على القتلى واقبل على اصحاب محمد واصحابه فدفنهم وقد قتل كثير منهم وقتل من اصحاب معاوية اكثر وقال عمرو ابن العاص :

اذا تخازرت وما بي من خزر ... ثم خبأت العين مــن غير عور
الفيتني الوى بعيد المستمر ... ذا صولــة في المصمئلات الكبر
احمل ما حملت من خير وشر ... كالحية الصماء في اصل الصخر

وقال محمد بن عمرو بن العاص :

لو شهدت جمل مقامي وموقفي ... بصفين يوما شاب منهــا الذرائب
غداة غدا اهــل العراق كأنهم ... مــن البحر موج لجـه متراكب
وجئناهم نمشي صفوفــا كأننا ... سحاب خريف صفقته الجنائــب
فطار الينا بالرمــاح كماتهم ... وطرنا اليهم والسيوف قواضــب
فدارت رحانا وستدارت رحاهم ... سراة النهار مــا تولى المناكب
اذا انا قلت استهزموا برزت لنا ... كتائب حمر وارجحنت كتائــب
فقالوا نرى من رأينا ان تبايعوا ... عليا فقلنا بــل نرى ان تضاربوا
فابنا وقد نالوا سراة رجالنــا ... وليس لمــا لاقوا سوى الله حاسب
كأن تلالي البيض فينــا وفيهم ... تلالــؤ برق فــي تهامــة ثاقب

فرد عليه محمد بن الحنفية :

لو شهدت جمل مقامك ابصرت ... مقــام لئيم وسطته الكتائــب
اتذكر يوما لم يكن لــك فخره ... وقد ظهرت فيهــا عليك الجلائب
واعطيتمونا مــا نقمتم اذلة ... على غــير تقوى الله والدين واصب

وجاء علقمة بن تميم الانصاري الى علي (ع) فقال يا أمير المؤمنين ان

عمرو بن العاص ينادي :

انا الغــــلام القرشي المؤتمن　　الماجـــد الابلـــج ليث كالشطن
يرضي بي الشام الى ارض عدن　　يا قادة الكوفة من أهــــل الفتن
يا ايها الاشراف من اهـل اليمن　　اضربكم ولا ارى أبـــا حسن
اعني عليا وابن عـــم المؤتمن　　كفي بهـــذا حزنـــا من الحزن

فضحك علي ثم قال فاما والله لقد حاد عدو الله عني وانه لبمكاني عالم كما قال العربي (غير لوهى ترقعين وانت مبصرة) ويحكـــم اروني مكانه لله ابوكم وخلاكم ذم وحمل غلامان من الانصار جميعا اخوان حتى انتهيا الى سرادق معلوية فقتلا عنده واقبلت الكتائب بعضها نحو بعض فاقتتلت قياما في الركب لا يسمع السامع الا وقع السيوف على البيض والدرق وقال عمرو بن العاص :

اجئتم الينا تسفكون دماءنـــا　　وما رمتـــم وعرمن الامـر اعسر
تعاورتم ضربا بكـــل مهند　　اذا شـــد وردان تقـــدم قنبر

وردان عبده وقنبر غلام امير المؤمنين عليه السلام • وجاء عـــدي ابن حاتم يلتمس عليا ما يطأ الا على انسان ميت او قدم او ساعد فوجده تحت رايت بكر بن وائل فقال يا امير المؤمنين الا نقوم حتى نموت فقال علي (ع) ادن فدنا حتى وضع اذنه عند انفه فقال ويحك ان عامة من معي يعصيني وان معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه وقال عدي ابن حاتم يوم صفين :

اقول لمـــا ان رأيت المعمعه　　واجتمع الجنـــدان وسط البلقعة
هذا علي والهدى حقـــا معه　　يـــا رب فاحفظه ولا تضيعـــه
فانه يخشاك رب فارفعـــه　　ومـــن اراد غيـــه فضعضعـــه

قال علي وانفساه ايطاع معاوية واعصى ما قاتلت امة قط اهـــل بيت

تبيهل وهي مقرة بنبيهل الا هذه الامة ثم ان عليا (ع) امر الناس ان يحملوا على اهل الشام فحملت خيل علي على صفوف اهل الشام فقوضت صفوفهم فقال عمرو يومئذ على من هذا الرهج الساطع قيل على ابنيك عبد الله ومحمد قال يا وردان قدم لواءك فتقدم فارسل اليه معاوية ان ليس على ابنيك فلا تنقض الصف والزم موقفك فقال عمرو هيهات هيهات :

الليث يحمي شبليه ما خيره بعد ابنيه

فتقدم فلقي الناس وهو يحمل فادركه رسول معاوية فقال انه ليس على ابنيك بأس فلا تحملن فقال له عمرو قل له انك لم تلدهما انا ولدتهما وبلغ مقدم الصفوف فقال له الناس مكانك انه ليس على ابنيك بأس انهما في مكان حريز فقال اسمعوني اصواتهما حتى اعلم احيان هما ام قتيلان ونادى يا وردان قدم لواءك قدر قيس قوسي ولك فلانة جارية له فتقدم بلوائه فارسل علي الى اهل الكوفة ان احملوا والى اهل البصرة ان احملوا فحمل الناس من كل جانب فاقتتلوا قتالا شديدا فخرج رجل من اهل الشام فقال من يبارز فخرج اليه رجل من اصحاب علي فاقتتلا ساعة ثم ان العراقي ضرب رجل الشامي فقطعها فقاتل ولم يسقط الى الارض ثم ضرب يده فقطعها فرمى الشامي بسيفه بيده اليسرى الى اهل الشام وقال دونكم سيفي هذا فاستعينوا به على عدوكم فاخذوه فاشتراه معاوية من اولياء المقتول بعشرة آلاف واقتتل الناس بعد المغرب قتالا شديدا فما صلى كثير من الناس الا ايماء • وكان رجل من اصحاب علي عليه السلام يدعى هاني بن نمر الحضرمي فخرج رجل من اهل الشام يطلب المبارزة فلم يخرج اليه احد فقال سبحان الله ما يمنعكم ان يخرج رجل منكم الى هذا فلولا اني موعوك واني اجد لذلك ضعفا لخرجت اليه فما رد عليه احد فوثب فقال اصحابه سبحان الله تخرج وانت موعوك قال والله لأخرجن اليه ولو قتلني فخرج واذا هو رجل من قومه حضرموت وبينهما قرابة من

قبل النساء فقال له يا هاني ارجع فانه ان يخرج الي غيرك احب الي اني لست اريد قتلك قال له هاني ما خرجت الا وانا موطن نفسي على القتل ما ابالي انت قتلتني او غيرك ثم مشى نحوه فقال اللهم في سبيلك وسبيل رسولك ونصرة لابن عم نبيك ثم اختلفا ضربتين فقتله هاني وشد اصحابه نحوه وشد اصحاب هاني نحوه ثم اقتتلوا وانفرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلا ثم ان عليا ارسل الى الناس ان احملوا فحمل الناس على راياتهم كل قوم بحيالهم فتجلدوا بالسيوف وعمد الحديد لا يسمع الا صوت الحديد ومرت الصلوات كلها ولم يصلوا الا تكبيرا عند مواقيت الصلاة حتى تفانوا ورق الناس • قال عبد الرحمن بن حاطب خرجت التمس اخي سويدا في القتلى صفين فاذا برجل قد اخذ بثوبي صريع في القتلى فالتفت فاذا بعبدالرحمن بن كلدة فقلت انا لله وانا اليه راجعون هل لك في الماء قال لا حاجة لي في الماء قد انفذني السلاح وخرقني ولست اقدر على الشرب هل انت مبلغ عني أمير المؤمنين رسالة قلت نعم قال اقرأ عليه مني السلام وقل يا أمير المؤمنين احمل جرحاك الى عسكرك حتى تجعلهم من وراء القتلى فان الغلبة لمن فعل ذلك ثم لم ابرح حتى مات واتيت عليا فاخبرته فاسترجع وابلغته الرسالة قال صدق والذي نفسي بيده فنادى منادي العسكر ان احملوا جرحاكم الى عسكركم ففعلوا فلما اصبح نظر الى أهل الشام وقد ملوا الحرب • وكان علي اذا اراد القتال هلل وكبر ثم قال :

من اي يومي من الموت افر ... أيوم ما قدر أم يوم قدر

واقبل عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية الاعظم وهو يقول :

انا ابن سيف الله ذاكم خالد ... اضرب كل قدم وساعد
بصارم مثل الشهاب الواقد ... انصر عمي ان عمي والدي

بالجهدلا بلفوق جهدا لجاهد ما انا فيما نابني براقد

فاستقبله جارية بن قدامة السعدي وهو يقول :

اثبت لصدرالرمح يا ابن خالد اثبت لليث ذي فلول حارد

من اسد خفان شديد الساعد ينصر خير راكع وساجد

من حقه عندي كحق الوالد ذاكم علي كاشف الاوابد

واطعنا مليا ومضى عبدالرحمن وانصرف جارية وعبدالرحمن لايأتي على شيء الا اهمده وهو يقول :

اني اذا ما لحرب قرت عن كبر تخالني اخزر من غير خزر

اقحم والخطي في النقع كشر كالحية الصماء في راس الحجر

احمل ماحملت من خير وشر

ففهم ذلك عليا واقبل عمرو بن العاص في خيل من بعده فقال اقحم يا ابن سيف الله فانه الظفر • واقبل الناس على الاشتر فقالوا يوم من ايامك الاول وقد بلغ لواء معاوية حيث ترى فأخذ الاشتر لواء فحمل وهو يقول :

اني انا الاشتر معروف الشتر اني انا الافعى العراقي الذكر

لا من ربيعة ولا حي مضر لكنني من مذحج الغر الغرر

فضارب القوم حتى ردهم على اعقابهم فرجعت خيل عمرو وقال النجاشي في ذلك :

رأينا اللواء لواء العقاب يقحمه الشانيء الاخزر

كليث العرين خلال العجاج واقبل في خيله الابتر

دعونا لها الكبش كبش العراق وقد خالط العسكر العسكر

فرد اللواء على عقبه وفاز بحظوتها الاشتر

كما كان يفعل في مثلها اذا الناب معصوصب منكر

فان يـدفع الله عـن نفسه فحظ العـراق بهـا الاوفـر
اذا الاشتر الخير خلى العراق فقد ذهب العـرف والمنكـر
وتلك العراق ومـن عرفت كفقـع تبينـه القـرقر

ولما رد لواء معاوية ورجعت خيل عمرو انتدب همام بن قبيصة وكـان من اشتم النـاس لامير المؤمنين عليه السلام ومعـه لواء هوازن فقصد لمذحج وهو يقول :

اني اذا مـا دعيت نـزال اقـدم اقـدام الهـزبر العالي
أهل العـراق انكم من بالي كل تـلادي وطريف مـالي
حتى انال فيكـم المعالـي او اطعـم الموت وكـم حالي
في نصر عثمان ولا ابالي

فقال عدي بن حاتم لصاحب لوائه ادن مني فأخذه وحمل وهويقول

يا صاحب الصوت الرفيع العالي ان كنت تبغـي في الوغـى نزالي
فادن فاني كاشف عـن حـالي تفـدي عليـا مهجتي ومالي
واسرتي يتبعها عيـالي

فضربه وسلب لواءه • ثم حمل خزيمة بن ثابت وهو يقول :

قـد مر يومان وهـذا الثالث هـذا الذي يلهث فيـه اللاهث
هـذا الذي يبحث فيه الباحث كـم ذا يرجي ان يعيش المـاكث
النـاس موروث ومنهـم وارث هـذا علي مـن عصـاه ناكث

فقاتل حتى قتل ثم خرج خالد بن خالد الانصاري وهو يقول :

هذا علي والهدى امامـه هـذا لوا نبينـا قدامه
يقحمه في نقعـه اقحامـه لاجبنـه نخشى ولا اثامـه

فطعن ساعة ثم رجع • ثم حمل جندب بن زهير وهو يقول :

هـذا علي والهدى حقا معه يارب فاحفظـه ولا تضيعـه
فانـه يخشاك رب فارفعـه نحن نصرنـاه على من نازعـه

صهر النبي المصطفى قد طاوعه   أول من بايعه وتابعه

واقبل الاشتر يضرب بسيفه وهو يقول :

اضربهم ولا ارى معاوية   الاخزر العين العظيم الحاوية
هوت به في النار ام هاوية   جاوره فيها كلاب عاوية
اغوى جغاما لا هداه هاديه

هكذا ذكر نصر ولكنه في موضع آخر نسب هذا الرجز الى ابي مجزاة بن ثور الربعي وسيأتي نسبة الشطور الثلاثة الاول الى علي عليه السلام واختلط امر الناس حتى ترك اهل الرايات مراكزهم وتفرق الناس عن علي فأتى ربيعة ليلا فكان فيهم وتعاظم الامر واقبل عدي بن حاتم يطلب عليا في موضعه الذي تركه فيه فلم يجده فطاف يطلبه فأصابه في مصاف ربيعة فقال يا امير المؤمنين اما اذا كنت حيا فالامر امم ما مشيت اليك الا على قتيل وما ابقت هذه الوقعة لنا ولهم عميدا فقاتل حتى يفتح الله عليك فان في الناس بقية بعد واقبل الاشعث يلهث حزنا فلما رأى عليا هلل وكبر وقال يا امير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل الى ساعتنا هذه فعد الى مقامك الذي كنت فيه فان الناس انما يظنونك حيث تركوك وارسل سعيد بن قيس انا مشتغلون بأمرنا مع القوم وفينا فضل فان اردت ان نمد احدا امددناه فأقبل علي على ربيعة فقال انتم درعي ورمحي قال نصر فربيعة تفتخر بهذا الكلام الى اليوم فقال عدي بن حاتم يا امير المؤمنين ان قوما انست بهم وكنت فيهم في هذه الجولة لعظيم حقهم علينا والله انهم لصبر عند الموت اشداء عند القتال وركب علي عليه السلام فرسه الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال له المرتجز فتقدم امام الصفوف ثم قال بل البغلة فقدمت له بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء ثم نادى ايها الناس من يشري

نفسه لله يربح هذا يوم له مابعده ان عدوكم قد قرح كما قرحتم فانتدب له من بين العشرة آلاف الى اثني عشر الفا وضعو سيوفهم على عواتقهم وتقدمهم علي على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

دبوا دبيب النمـل لا تفوتوا — واصبحوا بحربكـم وبيتوا
حتى تنـالوا الثار او تموتوا — لولا فاني طالمـا عصيت
قـد قلتم لو جئتنـا فجيت — ليس لكـم ماشئتـم وشيت
بـل مايريد المحيي المميت

وتبعه عدي بن حاتم بلوائه وهو يقول :

ابعـد عمـار وبعـد هاشم — وابن بديـل فـارس الملاحـم
نرجو البقاء مثل حلم الحالم — وقد عضضنـا امس بالاباهـم
فاليوم لا نقـرع سن نـادم — ليس امرؤ من يومـه بسـالم

وتقدم الاشتر وهو يقول:

حـرب باسباب الردى تأجج — يهلـك فيها البطـل المدجـج
يكفيكهـا همدانها ومذحج — روحوا الـى الله ولا تعركـوا
دين قويم وسبيل منهج

وحمل الناس حملة واحـدة فلم يبق لاهل الشـام صف الا انتقض واهمدوا ما اتوا عليه حتى افضى الامر الى مضرب معاوية وعلي يضربهم بسيفه وهو يقول :

اضربهـم ولا ارى معاويـة — الاخزر العين العظيـم الحاويه
هوت به في النار ام هاويه

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليـه فلما وضع رجله في الركاب تمثـل بقول عمرو بن الاطنابة :

ابت لي عفتـي وابى بـلائي — واخـذي الحمد بالثمن الربيح
واقدامي على المكروه نفسي — وضربي هامـة البطل المشيـح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات واحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صاف ونفس ما تقر على القبيح

وقال يا ابن العاص اليوم صبر وغدا فخر فقال عمرو صدقت وثنى رجله من الركاب فنزل فاستصرخ بعك والاشعريين فوقفوا دونه وجالدوا عنه حتى كره كل من الفريقين صاحبه وتحاجز الناس • ثم ان معاوية لما اسرع أهل العراق في أهل الشام قال هذا يوم تمحيص ان القوم قد اسرع فيهم كما اسرع فيكم اصبروا يومكم هذا وخلاكم ذم وحض علي أصحابه فقام اليه الاصبغ بن نباتة التميمي فقال يا أمير المؤمنين انك جعلتني على شرطة الخميس وقدمتني في الثقة دون الناس وانك اليوم لاتفقد لي صبرا ولا نصرا اما أهل الشام فقد هدهم ما اصبنا منهم ونحن ففينا بعض البقية فاطلب بنا امرك وائذن لي في التقدم فقال تقدم بسم الله واقبل الاحنف بن قيس السعدي فقال يا أهل العراق والله لاتصيبون هذا الامر اذل عنقا منه اليوم قد كشف القوم عنكم قناع الحياء وما يقاتلون على دين وما يصبرون الا حياء فتقدموا فقالوا ان تقدمنا اليوم فقد تقدمنا امس فما تقول يا أمير المؤمنين قال تقدموا في موضع التقدم وتأخروا في موضع التأخر تقدموا من قبل ان يتقدموا اليكم وحمل أهل العراق وتلقاهم أهل الشام فاجتلدوا • وحمل عمرو بن العاص ..

(نكول معاوية عن مبارزة علي يوم صفين)

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين انه ارسل علي الى معاوية ان ابرز الي واعكف الفريقين من القتال فأينا قتل صاحبه كان الامر له قال عمرو لقد انصفك الرجل فقال معاوية اني لاكره ان ابارز الاهوج الشجاع لعلك طمعت فيها ياعمرو (وروى) في موضع آخر ان عليا عليه

السلام قام بين الصفين ثم نادى يا معاوية يكررها فقال معاويـة اسألوه ما شأنه قال احب ان يظهر لي فأكلمه كلمة واحدة فبرز معاوية ومعـه عمرو بن العاص فلما قارباه لم يلتفت الى عمرو وقال لمعاوية ويحك علام يقتتل الناس بيني وبينك ابرز الي فأينا قتل صاحبه فالامر له فالتفت معاوية الى عمرو فقال ما ترى يا أبا عبدالله ابارزه فقال عمرو لقد انصفك الرجل واعلم انك ان نكلت عنه لم تزل سبة عليك وعلى عقبك ما بقي عربي فقال معاوية يا عمرو ليس مثلي يخدع عن نفسه والله ما بارز بن ابي طالـب رجلا قط الا سقى الارض من دمه ثم انصرف معاوية راجعا الى آخـر الصفوف وعمرو معه وقال معاوية ويحك ياعمرو ما احمقك أتراني ابرز اليه ودوني عك والاشعرون وجذام وحقدها معاوية على عمرو وقـال ما اظنك ياعمرو الا مازحا فلما جلس معاويـة مجلسه اقبل عمرو حتـى جلس فقال معاويـة :

ياعمرو انك قد قشرت لي العصى	برضاك في وسـط العجاج برازي
ولقد اعدت فقلت مزحة مازح	والمـزح يحملـه مقال الهـازي
فاذ الذي منتك نفسك خاليـا	قتلي جزاك بمـا نويت الجـازي

فقال له عمرو ايها الرجل أتجبن عن خصمك وتتهم نصيحك وقـال مجيبـا لـه :

معاوي ان نكلت عـن البراز	لك الويلات فانظر في المخازي
وما ذنبي بـان نادى علـي	وكبش القـوم يدعى للبـراز
فلو بارزتـه بارزت ليثـا	حديد الناب ينفـذ كل بازي
وتزعم اني اضمـرت غشـا	جزاني بالذي اضمرت جـازي
اضيع في العجاجة يا ابن هند	وعند البـاه كالتيس الحجازي

(تعرض عمرو بن العـاص لعلي وكشفه سوأتـه)

قيل كان السبب في ذلك ان الحارث بن نصر الجشمي كان عدوا لعمرو ابن العاص وكان عمرو قلما يجلس مجلسا الا ذكر فيه الحـارث فقـال الحـارث في ذلك :

ليس عمرو تبـارك ذكـره الحر ... ب مـدى الدهر أو يلاقي عليـا
واضع السيف فوق منكبه الايـ ... ـمن لا يحسـب الفـوارس شيـا
ليس عمرو يلقاه في حمس النقـ ... ـع وقـد صـارت السيوف عصيا
فوق شهب مثل السحوق من النخـ ... ـل ينـادي المبـارزيـن اليـا
ثم يا عمرو تستريـح من الفخـ ... ـر وتلقى بـه فتى هاشميـا
فالقـه ان اردت مكرمـة الدهـ ... ـر أو الموت كـل ذاك عليـا

فلما سمع عمرو شعره قال والله لو علمت اني اموت الف موتة لبارزت عليا في اول ما القاه وقيل ان عمرا حمل معلما وهو يقول :

شـدوا علي شكتي لا تنكشف ... يوم لهمـدان ويوم للصـدف
وفي تميـم نخوة لا تنحـرف ... اضربهـا بالسيف حتـى تنصرف
ومثلهـا لحميـر أو تنحـرف ... والربعيـون لهـم يوم عصـف

فاعترضه علي عليه السلام وهو يقول :

قد علمت ذات القرون الميـل ... والحصـر والانامـل الطفول
احمي وارمي اول الرعيـل ... بصـارم ليس بـذي فلول

وقيل ان عمرا تعرض لعلي في يوم من ايام صفين وظن انه يطمع منه في غرة فيصيبه فحمل عليه علي عليه السلام فلما كاد ان يخالطه رمى نفسـه عن فرسه ورفع ثوبه وشغر برجله فبدرت عورته فصرف علي وجهـه

عنه وقام معفرا بالتراب هاربا على رجليه معتصما بصفوفه فقال القوم افلت الرجل يا أمير المؤمنين قال وهل تدرون من هو قالوا لاقال فانه عمرو ابن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي عنه ورجع عمرو الى معاوية فقال له ماصنعت ياعمرو قال لقيني علي فصرعني قال فاحمد الله وعورتك اما والله ان لو عرفته ما اقحمت عليه وقال معاوية في ذلك شعرا :

الا لله من هفوات عمرو ... يعاتبني على تركي برازي
فقد لاقى أبا حسن عليا ... فآب الوائلي مآب خازي
فلو لم يبد عورته للاقى ... به ليثا يذلل كل نازي
له كف كأن براحتيها ... منايا القوم يخطف خطف بازي
فان تكن المنية اخطأته ... فقد غنى بها أهل الحجاز

فغضب عمرو وقال ما اشد تعظيمك عليا في امري هذا هل هو الا رجل لقيه بن عمه فصرعه افترى السماء قاطرة لذلك دما قال ولكنها تعقبك جبنا قال نصر ولما شمت معاوية بعمرو قال عمرو في ذلك :

معاوي لا تشمت بفارس بهمة ... لقي فارسا لا تعتريه الفوارس
معاوي ان ابصرت في الخيل مقبلا ... أبا حسن بهوي دهتك الوساوس
وايقنت ان الموت حق وانه ... لنفسك ان لم تمض في الركض خالس
فانك لو لاقيته كنت بومة ... اتيح لها صقر من الجوآنس
وماذا بقاء القوم بعد اختباطه ... وان امرأ يلقى عليا لآيس
دعاك فصمت دونه الاذن هاربا ... بنفسك قد ضاقت عليها امالس
وتشمت بي ان نالني حد رمحه ... وعضعضني ناب من الحرب ناهس
ابى الله الا انه ليث غابة ... ابو اشبل تهدى اليه الفرائس
واني امرؤ باق فلم يلف شلوه ... بمعترك تسفي عليه الروامس
فان كنت في وشك فانهج عجاجة ... والا فتلك الترهات البسابس

ثم ان عليا غلس بالناس بصلاة الفجر ثم زحف بهم فخرج الناس على

راياتهم واعلامهم وزحف اليهم اهل الشام فقال أبرهة بن الصباح بن ابرهة الحميري ويلكم يا معشر أهل اليمن والله اني لا ظن قد اذن بفنائكم ويحكم خلوا بين هذين الرجلين فليقتتلا فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا وكان من رؤساء أصحاب معاوية فبلغ ذلك عليا فقال صدق ابرهه وبلغ معاوية كلام ابرهة فتأخر آخر الصفوف وقال لمن حوله اني لاظن ابرهة مصابا في عقله فقال اهل الشام والله ان ابرهة لافضلنا دينا ورايا وبأسا ولكن معاوية كره مبارزة علي فقال ابرهة في ذلك :

لقد قال ابن ابرهة مقالا — وخالفه معاوية بن حرب
وكم بين المنادي من بعيد — ومن يغشى الحروب بكل عضب
ايهجرني معاوية بن حرب — وما هجرانه سخطا لربي
وعمرو ان يفارقني بديني — لفي سعة الى شرق وغرب

وبرز يومئذ عروة بن داود الدمشقي فقال ان كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلم الي فتقدم اليه علي فقال له اصحابه ذر هذا الكلب فانه ليس لك بخطر فقال والله مامعوية اليوم باغيظ لي منه ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت احداهما يمنة والاخرى يسرة وارتج العسكر ان لهول الضربة ثم قال يا عروة اذهب فاخبر قومك اما والذي بعث محمدا بالحق لقد عاينت النار واصبحت من النادمين • وقال بن عم لعروة واسوء صباحاه قبح الله البقاء بعد أبي داود وحمل على علي فطعنه علي الرمح فبراه ثم قنعه ضربة فألحقه بابي داود ومعاوية واقف على التل يبصر ويشاهد فقال تبا لهذه الرجال وقبحا اما فيهم من يقتل هذا مبارزه اوغيلة او في اختلاط الفيلق وثوران النقع فقال الوليد بن عقبة ابرز اليه انت فانك اولى الناس بمبارزته فقال والله لقد دعاني الى البراز حتى استحييت من قريش واني والله لا ابرز اليه ما جعل العسكر بين يدي الرئيس الا وقاية له فقال الوليد الهوا عن هذا كأنكم لم تسمعوا نداءه فقد علمتم انه قتل حريثا وفضح عمرا ولا ارى احدا يتحكك به الا قتله •

(فعل بسر كفعل عمرو)

فقال معوية لبسر بن ارطاة اتقوم لمبارزته فقال ما احد احق بها منك واذا ابيتموه فانا له فقال له معوية اما انك ستلقاه في العجاجة غدا في اول الخيل وكان عند بسر بن عم له قد قدم من الحجاز يخطب ابنته فأتى بسرا فقال له اني سمعت انك وعدت من نفسك ان تبارز عليا اما تعلم ان الوالي بعد معوية اخوه عتبة ثم اخوه محمد فما يدعوك الى ذلك قال الحياء خرج مني كلام فانا استحي ان ارجع عنه فضحك الغلام وقال:

تنازله يا بسر ان كنت مثله ... والا فان الليث للضيع آكل

كأنك يا بسر بن ارطاة جاهل ... بآثاره في الحرب او متجاهل

معوية الوالي وصنواه بعده ... وليس سواء مستعار وثاكل

اولئك هم اولى منك انه ... علي فلا تقربه امك هابل

متى تلقه فالموت في رأس رمحه ... وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

فقال بسر هل هو الا الموت لا بد والله من لقاء الله تعالى فغدا علي منقطعا من خيله ومعه الاشتر وهو يريد التل وهو يقول :

انا علي فسلوا لتخبروا ... ثم برزوا الى الوغى او ادبروا

سيفي حسام وسناني ازهر ... منا النبي الطيب المطهر

وحمزة الخير ومنا جعفر ... له جناح في الجنان اخضر

واسد الله وفيه مفخر ... هذا بهذا وابن هند محجر

مذبذب مطرد مؤخر

فاستقبله بسر قريبا من التل وهو مقنع في الحديد لا يعرف فناداه ابرز الي أبا حسن فانحدر اليه علي على تؤئدة غير مكترث به حتى اذا قاربه طعنه وهو دارع فالقاه على الارض ومنع الدرع السنان ان يصل اليه فأتقاه بسر وقصد ان يكشف سوأته ليستدفع بأسه فانصرف عنه

علي عليه السلام مستدبرا له فعرفه الاشتر حين سقط فقال يا أمير المؤمنين هذا بسر بن ارطاة عدو الله وعدوك فقال دعه عليه لعنة الله بعد ان فعلها، فحمل بن عم لبسر شاب على علي عليه السلام وهو يقول :

ارديت بسرا والغلام ثائره ... ارديت شيخا غاب عنه ناصره

فحمل عليه الاشتر وهو يقول :

اكل يوم رجل شيخ شاغره ... وعورة وسط العجاج ظاهره

تبرزها طعنة كف واتره ... عمرو وبسر رميا بالفاقره

وطعنه الاشتر فكسر صلبه وقام بسر من طعنة علي وولت خيله وناداه علي يا بسر معاوية كان احق بهذا منك ورجع الى معوية فقال له معاوية ارفع طرفك قد اذال الله عمرا منك وقال في ذلك النضر بن الحارث وفي شرح النهج الحارث بن نضر الجشمي أو الخثعمي :

أفي كل يوم فارس تندبونه ... له عورة وسط العجاجة باديه

يكف بها عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الحلاء معويه

بدت امس من عمرو فقنع راسه ... وعورة بسر مثلها حذو حاذيه

فقولا لعمرو وبن ارطاة ابصرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه

ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما ... هما كانتا والله للنفس واقيه

فلولاهما لم تنجوا من سنانه ... وتلك بما فيها عن العود ناهيه

متى تلقيا الخيل المشبحة صبحة ... وفيها علي فاتر كا الخيل ناحيه

وكونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا ... نحور كما ان التجارب كافيه

وان كان منه بعد في النفس حاجة ... فعودا الى ماشئتما لي ماهيه

وفي ذلك يقول المؤلف ايضا من قصيدة :

لاقاه عمرو والاسنة شرع ... لقيا الحمامة للعقاب الكاسر

وتلاه بسر ثم ما نجاهما ... منه سوى فعل الخسيس الغادر

فثنى حياء عنهما وعفا ولم ... يرهقهما فعل الكريم القادر

فكان بسر بعد ذلك اذا لقي الخيل التي فيها علي تنحى ناحيةوتحامى فرسان أهل الشام عليا .

واجتمع ليلة عند معاوية بصفين عتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعبدالله بن عامر وبن طلحة الطلحات فقال عتبة ان امرنا وامر علي لعجيب ليس منا الا موتور له اما انا فقتل جدي واشترك في دم عمومتي يوم بدر وما أنت يا وليد فقتل اباك يوم بدر واما أنت يا عبدالله فقتل اباك يوم الجمل وايتم اخوتك واما أنت يا مروان فكما قال الاول :

وافلتهن علباء جريضا ولو ادركنه صفر الوطاب

قال معاوية هذا الاقرار فاين الغير قال مروان اي غير تريد قال اريد ان يسجر بالرماح قال والله انك لهازل او قد ثقلنا عليك فقال الوليد ابن عقبة :

يقول لنا معاوية بن حرب	اما فيكم لواتر كم طلوب
يشد على أبي حسن علي	بأسمر لا تهجنه الكعوب
فيهتك مجمع اللبات منه	ونقع الحرب مطرد يثوب
فقلت له اتلعب يا ابن هند	كأنك وسطنا رجل غريب
اتغرينا بحية بطن واد	اذا نهشت فليس لها طبيب
وما ضبع يدب ببطن واد	اتيح له به اسد مهيب
باضعف حيلة منا اذا ما	لقيناه وذا منا عجيب
دعا للقاه في الهيجاء لاق	فاخطأ نفسه الاجل القريب
سوى عمرو وقته خصيتاه	نجا ولقلبه منه وجيب
كأن القوم لما عاينوه	خلال النقع ليس لهم قلوب
لعمر ابي معاوية بن حرب	وما ظني ستلحقه العيوب
لقد ناداه في الهيجا علي	فأسمعه ولكن لا يجيب

فغضب عمرو وقال ان كان الوليد صادقا فليلق عليا أو ليقف حيث يسمع صوته وقال عمرو :

يذكرني الوليد دعا علي ... ونطق المرء يملؤه الوعيد
متى تذكر مشاهدة قريش ... يطر من خوفه القلب الشديد
فاما في اللقاء فاين منه ... معاوية بن حرب والوليد
وعيرني الوليد لقاء ليث ... اذا ما شد هابته الاسود
لقيت ولست اجهله عليا ... وقد بلث من العلق اللبود
فاطعنه ويطعنني خلاسا ... وماذا بعد طعنته اريد
فرمها منه يا ابن أبي معيط ... وانت الفارس البطل النجيد
فاقسم لو سمعت ندا علي ... لطار القلب وانتفخ الوريد
ولو لاقيته شقت جيوب ... عليك ولطمت فيك الخدود

وروى الواقدين ان معاوية قال يوما بعد استقرار الخلافة له لعمرو ابن العاص يا أبا عبدالله لا أراك الا ويغلبني الضحك قال بماذا قال اذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين فأذريت نفسك فرقا من شبا سنانه وكشفت سوأتك له فقال عمرو انا منك اشد ضحكا اني لاذكر يوم دعاك الى البراز فانتكخ سحرك وربا لسانك في فمك وغصصت بريقك وارتعدت فرائصك وبدا منك ما اكره ذكره لك فقال معوية لم يكن هذا كله وكيف يكون ودوني عك والاشعرون قال انك لتعلم ان الذي وصفت دون الذي اصابك وقد نزل ذلك بك ودونك عك والاشعرون فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب قال يا أبا عبدالله خض بنا الهزل الى الجد ان الجبن والفرار من علي لا عار على احد فيهما •

(مخادعة معاوية للاشعث)

ودعا معاوية أخاه عتبة بن أبي سفيان وكان لايطاق لسانه فقال الق

الاشعث بن قيس فانه ان رضي رضيت العامة فلقيه فقال ان معوية لو كان لاقيا رجلا غير علي للقيك انك رأس اهل العراق وسيد اهل اليمن وقد سلف من عثمان اليك ما سلف من الصهر والعمل ولست كأصحابك اما الاشتر فقتل عثمان واما عدي فحرض عليه واما سعيد فقلد عليا دينه واما شريح وزحر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى وانك حاميت عن أهل العراق تكرما وحاربت أهل الشام حمية وقد بلغنا والله منك وبلغت منا ما اردت وانا لاندعوك الى ترك علي ونصر معاوية ولكنا ندعوك الى البقية التي فيها صلاحك وصلاحنا فقال الاشعث اما قول ان معوية لا يلقى الا عليا فان لقيني لما عظم عني ولا صغرت عنه فان احب ان اجمع بينه وبين علي فعلت واما قولك اني رأس أهل العراق وسيد اهل اليمن فان الرأس المتبع والسيد المطاع هو علي بن أبي طالب واما ما سلف من عثمان الي فوالله ما زادني صهره شرفا ولا عمله عزا واما عيبك اصحابي فان هذا لا يقربك مني ولا يباعدني عنهم واما محاماتي عن اهل العراق فمن نزل بيتا حماه واما البقية فلستم باحوج اليها منا وسنرى رأينا فيها فلما بلغ معاوية كلام الاشعث قال يا عتبة لا تلقه بعدها فان الرجل عظيم عند نفسه وان كان قد جنح للسلم وشاع في اهل العراق ما دار بين عتبة والاشعث فقال النجاشي يمدح الاشعث :

يا ابن قيس وحارث ويزيد … انت والله رأس أهل العراق
انت والله حية تنفث السم … قليل منها غناء الراقي
انت كالشمس والرجال نجوم … لا يرى ضوؤها مع الاشراق
قد حميت العراق بالاسل السمـ … ـر وبالبيض كالبروق الرقاق
واجبناك اذ دعوت الى الشا … م على القلب كالسحوق العتاق
وسعرنا القتال في الشام بالبيـ … ـض المواضي وبالرماح الدقاق
وادرنا كأس المنيه في الفتـ … ـنة بالضرب والطعان الدفاق

كلمـا قلت قد تصرمت الهيـ جاء سقيتهـا بكـأس دهـاق
انت حلو لمـن تقـرب بالود وللشامتـين مـر المـذاق
بئس ماظنـه بن هند ومن مثـ لك للناس عند ضيق الخنـاق

(مخادعة معاوية لابن عباس)

فلما ايس معاوية من جهة الاشعث قال لعمرو بن العاص ان رأس الناس بعد علي هو عبدالله بن عباس فلو القيت اليه كتابا لعلك ترفقه به فانـه ان قال شيئا لم يخرج علي عنه وقد اكلتنا الحرب ولا ارانا نصل العراق الا بهلاك أهل الشام فقال له عمرو ان بن عباس لايخدع ولو طمعت فيه طمعت في علي فقال معاوية على ذلك فاكتب اليهفكتب اليه عمرو اما بعـد فان الذي نحن وانتم فيه ليس باول امر قاده البلاء وانت رأس هذا الجمع بعد علي فانظر فيما بقي ودع ما مضى فوالله ما ابقت هذه الحرب لنـا ولا لكم حياء ولا صبرا واعلموا ان الشام تملك الا بهلاك العـراق وان العراق لا تملك الا بهلاك الشام وما خيرنا بعد هلاك اعدادنا منكم ومـا خيركم بعد هلاك اعدادكم منا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن وان فينا من يكره القتال كما ان فيكم من يكرهه وانمـا هو أمير مطاع او مأمور مطيع أو مؤتمن مشاور وهو انت وكتب فـي اسفـل الكتاب :

طـال البلاء وما يرجى له آسي بعد الاله سوى رفـق ابن عبـاس
يا ابن الذيزمزمسقيا الحجيجله اعظم بـذلك من فخر على النـاس
انظر فدى لك نفسي قبل قاصمة للظهر ليس لهـا راق ولا آسـي
اني ارىالخيرفي سلم الشآملكم والله يعلـم ما بالسلـم مـن باس
فيها التقى وامور ليس يجهلهـا الا الجهول وما النوكى كأكيـاس

فأتى ابن عباس بالكتاب الى امير المؤمنين عليه السلام فضحك وقـال

قاتل الله بن العاص ما اغراه بك يا بن عباس اجبه وليرد عليه شعره الفضل ابن العباس فانه شاعر فكتب بن عباس الى عمرو : اما بعد فاني لا اعلم رجلا من العرب اقل حياء منك انه مال بك معاوية الى الهوى وبعتـــه دينك بالثمن اليسير ثم خبطت بالناس في عشوة طمعا في الملك فلمــا لم تر شيئا اعظمت الدنيا اعظام اهل الذنوب واظهرت فيها نزاهة اهــل الورع فان كنت ترضي الله بذلك فدع مصر وارجع الى بيتك وهـــذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي ابتدأها علي بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها الى السرف وليس اهل العراق فيهـا كاهل الشام بايع اهل العراق عليا وهو خير منهم وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه وليس انا وانت فيها بسواء اردت الله واردت انت مصرفان ترد شرا لا نسبقك به وان ترد خيرا لاتسبقنا اليه ثم قال لاخيه الفضل يا ابن ام اجب عمرا فقال الفضل :

ياعمرو حسبك من خدع ووسواس	فاذهب فليس لداء الجهل من آسي
الا تواتر طعـــن في نحوركــم	يشجي النفوس ويشفي نخوة الراس
هذاالدواء الذي يشفي جماعتكم	حتى يطيعوا عليــا وبن عبـــاس
امــا علي فـــان اللهفضلـــه	بفضل ذي شرف عــال على الناس
ان تعقلوا الحرب نعقلهــامخيسة	او تبعثوها فانا غـــير انكــاس
قد كــان منا ومنكم في عجاجتها	مالا يرد وكـــل عرضــة الباس
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة	هذا بهـــذا وما بالحق مــن باس
لا بارك الله في مصر فقد جلبت	شرا وحظك منهــا حسوة الكاس

ثم عرض الشعر والكتاب على علي عليه السلام فقال لا اراه يجيبــك بشيء بعدها ابدا ان كان يعقل ولعله يعود فتعود عليه فلما انتهى الكتاب الى عمرو اتى به معاوية فقال انت دعوتني الى هذا ماكان اغناني وايــاك عن بني عبدالمطلب فقال ان قلب بن عباس وقلب علي قلب واحد وكلاهما

ولدا عبدالمطلب وان كان قد خشن فقد لان وان كان قد تعظم وعظم صاحبه
فلقد قارب وجنح الى السلم وكان معاوية يكاتب بن عباس فيجيبه بقول
لين وذلك قبل ان تعظم الحرب فلما قتل أهل الشام قال معاوية ان ابـن
عباس رجل قريش وانا كاتب له في عداوة بني هاشم لنا واخوفه عواقب
هذه الحرب لعله يكف عنا فكتب اليـــه اما بعد فانكم يا معشر بني هاشم
لستم الى احد اسرع بالمساءة منكم الى انصار عثمان حتى انكم قتلتم
طلحة والزبير لطلبهما دمه فان يكن ذلك كراهة لسلطان بني امية فقـد
وليها عدي وتيم واظهرتم لهم الطاعة وقد اكلت هذه الحروب بعضها من
بعض حتى استوينا فيها فما اطمعكم فينا اطمعنا فيكم وما آيسكم منـا
آيسنا منكم ولستم بملاقينا اليوم باحد من حد امس ولا غدا باحـــد
من حد اليوم وقد قنعنا بما كان في ايدينا من ملك الشام فاقنعوا بمـا
في ايديكم من ملك العراق وابقوا على قريش فانما بقي من رجالها ستة
رجلان بالشام انا وعمرو ورجلان بالعراق انت وعلي ورجلان بالحجـاز
سعد وبن عمرو واثنان من الستة ناصبان لك واثنان واقفان وانت رأس
هذا الجمع اليوم ولو بايع لك الناس بعد عثمن كنا اليك اسرع فلمـا
انتهى الكتاب الي بن عباس اسخطه ثم قال حتى متى يخطب الي عقلـي
وحتى متى اجمجم على ما في نفسي فكتب اليه اما ماذكرت من سرعتنا
بالمساءة في انصار بن عفان وكراهتنا لسلطان بني امية فلعمري لقـــد
ادركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلـــم تنصره حتى صرت الى
ما صرت اليه وبيني وبينك في ذلك بن عمك واخو عثمان الوليد بن عقبة
واما طلحة والزبير فنقضا البيعة وطلبا الملك فقاتلناهما على النكث وقاتلناك
على البغي واما قولك انه لم يبق من قريش غير ستة فما اكثر رجالهـــا
واحسن بقيتها قد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا الا من خذلك
وقد بقي لك منا يوم ينسيك ماقبله ويخاف ما بعده واما قولك انه لو بايع

الناس لي لاستقامت لي فقد بايع الناس عليا وهو خير مني فلم يستقيموا له وما انت يامعاوية والخلافة وانت طليق وبن طليق فلما انتهى الكتاب الى معوية قال هذا عملي بنفسي والله لا اكتب اليه كتابا سنة وقال معوية في ذلك :

دعوت ابن عباس الى جل خطة ... وكان امرأ اهدي اليه رسائلي
فاخلف ظني والحوادث جمة ... وما زاد ان اغلى عليه مراجلي
فابرق وارعد ما اسطعت فانني ... اليك بما يشجيك سبط الانامل

فقال الفضل بن عباس يجيبه على ذلك :

الا يا ابن هند انني غير غافل ... وانك ما تسعى له غير نائل
وايقنت انا اهل حق وانما ... دعوت لأمر كان ابطل باطل
دعوت ابن عباس الى السلم خدعة ... وليس لها حتى تدين بسائل
فلا سلم حتى تشجر الخيل بالقنا ... وتضرب هامات الرجال الاماثل
وآليت لا تهدي اليه رسالة ... الى ان يحول الحول من رأس قابل
اردت به قطع الجواب وانما ... رماك فلم يخطىء بنات المقاتل
وقلت له لو بايعوك تبعتهم ... فهذا علي خير حاف وناعل
وصي رسول الله من دون اهله ... وفارسه ان قيل هل من منازل

فعرض شعره على علي فقال انت اشعر قريش فضرب بها الناس الى معوية .

(مقاتلة عك وهمدان)

ولما اشتد القتال ارسل معوية الى عمرو ان قدم عكاو الاشعريين الى من بازائهم فبعث عمرو الى معوية اني اقدم عكا الى همدان فاتاهم عمرو فقال يا معشر عك ان عليا قد عرف انكم حي اهل الشام فعبأ لكم حي اهل العراق همدان فاصبروا وهبوا لنا جماجمكم ساعة من النهار فقد

بلغ الحق مقطعه فقال ابن مسروق العكي امهلوني ومن هلك فابن عمه مكانه لنقر اليوم عينك قال ذلك فرجع ابن مسروق الى اصحابه فاخبرهم الخبر فقالت عك نحن لهمدان فتقدمت عك الى همدان وفي ذلك يقول القائل :

همدان همدان وعك عك   سيعلم اليوم من الأرك

وكانت على عك الدروع وليست عليهم رانات فنادى سعيد ابن قيس يا لهمدان خدموا القوم اي اضربوا سوقهم والتخديم ضرب مكان الخدمة وهي الحجل فنادى ابو مسروق العكي يا لعك بركا كبرك الكمل ثم رموا بحجر بين ايديهم وقالوا لا نفر حتى يفر هذا الحكر وهم يقبلون الجيم كافا وفي رواية ان عكا قيدت ارجلها بالعمائم يوم صفين حتى لا تفر فبركوا تحت الحجف وشجروهم بالرماح وتقدم شيخ من همدان وهو يقول :

يا لبكيل لخمها وحاشد   نفسي فداكم طاعنوا وجالدوا
حتى تخر منكم القما حد   وارجل تتبعها سواعد
بذاك اوصى جدكم والوالد

وتقدم رجل من عك وهو يقول :

يدعون همدان وندعو عكا   ان خدم القوم فبركا بركا
لا تدخلوا نفسي عليكم شكا

فالقى القوم الرماح وساروا الى السيوف وتجالدوا حتى ادركهم الليل فقالت همدان يا معشر عك انا والله لا ننصرف حتى تنصرفوا وقالت عك مثل ذلك فارسل معوية الى عك ابروا قسم القوم فانصرفت عك ثم انصرفت همدان وقال عمرو في ذلك :

ان عكا وحاشدا وبكيــــلا كاسود الضراب لاقـــت اسودا
وحبا القوم بالقنــا وتساقوا بظبات السيوف موتـــا عتيدا
يعلم الله مـــا رأيت من القوم ازورارا ولا رأيت صـــدودا
غير ضرب فوق الطلى وعلى الها موقرع الحديـــد يعلو الحديدا
ولقد قال قائل خدموا السوق فخرت هنـــاك عـــك قعودا
كبراك الجمـــال اثقلها الحمل فمـــا تستقـــل الا وجيـــدا

ولما اشترطت عك والاشعرون على معوية ما اشترطوا مـــن الفريضة والعطاء فاعطاهم لم يبق من اهل العراق احد في قلبه مرض الا طمع في معوية وشخص بصره اليه حتى فشا ذلك في الناس وبلغ عليا فساءه وجاء المنذر بن ابي حميضة الاوزاعي وكان فارس همدان وشاعرهم فقال يـا أمير المؤمني ان عكا والاشعريين طلبوا الى معوية الفرائض والعقار فاعطاهم فباعوا الدين بالدنيا وانا رضينا بالآخرة من الدنيا وبالعراق مـن الشام وبك من معوية والله لآخرتنا خير من دنياهم ولعراقنا خير مـــن شامهم ولامامنا اهدى من امامهم فامتحنا الصبر واحملنا على الموت وقال :

تركوا الدين للعطـاء وللفرض فكانـــوا بـــذاك شر البريـة
تركوا الدين للعطـاء وللكرض فكانـــوا بـــذاك شر البريـه
وسألنا حسن الثواب مـن الله وصبرا على الجهـــاد ونيـــه
فلكــل مـــا سالـــه ونواه كلنـــا يحسب الخـــلاف خطيه
ولأهل العراق احسن في الحرب اذا مـــا تدانـــت السمهريـــة
ولاهل العراق احمـــل للثقل اذا عمت العبـــــاد بليـــه
ليس منا من لم يكن لك في الله وليـــا يـاذا الـــولا والوصية

فقال علي (ع) حسبك رحمك الله واثنى عليه خيرا وعلى قومه وانتهى شعره الى معوية فقال والله لاستميلن بالاموال ثقات علي ولاقسمن فيهم المال حتى تغلب دنياي آخرته ٠

(حسن بلاء همدان بصفين)

ولما اصبح الناس غدوا على مصافهم ونادى معوية في احياء اليمن فقال عبوا كل فارس مذكور فيكم اتقوا به لهذا الحي من همدان فخرجت خيل عظيمة فلما رآها علي عرف انها عيون الرجال فنادى يا لهمدان فأجابه سعيد بن قيس فقال علي احمل فحمل حتى خالط الخيل بالخيل واشتد القتال وحطمتهم همدان حتى الحقوهم بمعوية فقال ما لقيت من همدان وجزع جزعا شديدا واسرع في فرسان اهل الشام القتل وجمع علي همدان فقال يا معشر همدان انتم درعي ورمحي يا همدان ما نصرتم الا الله ولا اجبتم غيره فقال سعيد بن قيس اجبنا الله وانت ونصرنا نبي الله (صلى الله عليه وسلم) في قبره وقاتلنا معك من ليس مثلك فارم بنا حيث احببت وفي ذلك اليوم قال علي عليه السلام :

ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام

فقال علي لصاحب لواء همدان اكفني اهل حمص فاني لم الق من احد ما لقيت منهم فتقدم وتقدمت همدان وشدوا شدة واحدة على اهل حمص فضربوهم ضربا شديدا متداركا بالسيوف وعمد الحديد حتى الجأوهم الى قبة معاوية وارتجز رجل من همدان في ارحب فقال :

قد قتل الله رجال حمص حرصا على المال واي حرص
غروا بقول كذب وخرص قد نكص القوم واي نكص
عن طاعة الله وفحوى النص

وحمل اهل حمص ورجل من كندة يقدمهم وهو يقول :

قد قتل الله رجال العاليه حتى يكونوا كرجال باليه
من عهد عاد وثمود الثاويه بالحجر او يملكهم معوية

ولما عبأ معوية حماة الخيل لهمدان فردت خيله اسف فخرج بسيفه

فحملت عليه فوارس همدان ففاركها ركضا وانكسر حماة اهل الشام ورجعت همدان الى مكانها .

(دعاء معوية مروان وعمرا لقتال الاشتر)

ودعا معوية مروان بن الحكم فقال ان الاشتر قد غمني فاخرج بهذه الخيل في كلاع ويحصب فالقه فقاتل بها فقال مروان ادع لها عمرا فانه شعارك دون دثارك قال وانت نفسي دون وريدي قال لو كنت كذلك الحقتني به في العطاء او الحقته بي في الحرمان ولكنك اعطيته ما في يديك ومنيته ما في يدي غيرك فان غلبت طاب له المقام وان غلبت خف عليه الهرب فقال معوية يغني الله عنك قال اما اليوم فلا ودعا معوية عمرا وامره بالخروج الى الاشتر فقال والله اني لا اقول لك كما قال مروان قال ولم تقوله وقد قدمتك واخرته وادخلتك واخرجته قال عمرو اما والله لئن كنت فعلت لقد قدمتني كافيا وادخلتني ناصحا وقد اكثر القوم عليك في امر مصر وان كان لا يرضيهم الا اخذها الا فخذها فخرج عمرو في تلك الخيل فلقيه الاشتر امام الخيل وهو يقول :

يا ليت شعري كيف لي بعمرو ذاك الذي اوجبت فيه نذري
ذاك الذي اطلبه بوتري ذاك الذي فيه شفاء صدري
ذاك الذي ان القه بعمري تغل به عند اللقاء قدري
او لا فربي عاذري بعذري

فعرف عمرو انه الاشتر فجبن وفشل واستحيا ان يرجع فاقبل نحو الصوت وهو يقول :

يا ليت شعري كيف لي بمالك كم فارس قتلته وفاتك
هذا وهذا عرضة المهالك

فلما غشيه الاشتر بالرمح زاغ عنه عمرو فطعنه الاشتر في وجهه فلم

يصنع شيئا وثقل عمرو فامسك على وجهه وثنى عنان فرسه ورجع راكضا الى المعسكر • ونادى غلام من يحصب يا عمرو عليك العفا ما هبت الصبايا لحمير هاتوا اللواء فأخذه وكان غلاما شابا وهو يقول :

ان يك عمرو وقد علاه الاشتر ... باسمر فيه سنــان ازهــر
فــذاك والله لعمري مفخر ... يا عمرو يكفيك الطعــان حمير
واليحصبي بالطعــان امهر ... دون اللواء اليــوم موت احمر

فنادى الاشتر ابنه ابراهيم خذ اللواء فغلام لغلام فأخــذه ابراهيم وتقدم وهو يقول :

يا ايهــا السائل عني لا ترع ... اقدم فاني من عرانين النخع
كيف ترى طعن العراقي الجذع ... اطير في يوم الوغى ولا اقــع
ما ساءكم سر وما ضر نفــع ... اعددت ذا اليوم لهول المطلــع

وحمل على الحميري فالتقاه الحميري بلوائه ورمحه ولم يبرحا يطعن كل واحد منهما صاحبه حتى سقط الحميري قتيلا وشمت مروان بعمرو وغضب القحطانيون على معوية وقالوا تولي علينا من لا يقاتل معنا ول رجلا منا والا فلا حاجة لنا فيك فقال لهم معوية لا اولي عليكم بعد موقفي هذا الا رجلا منكم • ولما اسرع اهل العراق في اهل الشام قال معويــة هذا يوم تمحيص ان القوم قد اسرع فيهم كما اسرع فيكــم فاصبروا وكونوا كراما وحرض علي اصحابه فقام اليه الاصبغ ابن نباتة فقال يا امير المؤمنين انك جعلتني على شرطة الخميس وقدمتني في الثقة دون الناس (او فقدمني في البقية من الناس) فانك لا تفقد لي اليوم صبرا ولا نصرا اما اهل الشام فقد هدهم ما اصبنا منهم واما نحن ففينا بعض البقية ائذن لى فاتقدم قال تقدم باسم الله والبركة فتقدم واخذ الراية ومضى بهــا ورجع وقد خضب سيفه ورمحه دمار وكان شيخا ناسكا عابدا وكان من ذخائر علي وممن بايعه على الموت وكان من فرسان اهل العراق وكان علي

(ع) يضن به على الحرب والقتال • وكانوا قد ثقلوا عن البراز حين عضتهم الحرب فقال الاشتر يا اهل العراق اما من رجل يشري نفسه لله •

(تبارز الأب وابنه)

فخرج اثال بن حجل فنادى بين العسكرين هل من مبارز فدعا معوية حجلا فقال دونك الرجل وكانا مستبصرين في رأيهما فبرز كل واحد منهما الى صاحبه فبدره الشيخ بطعنة فطعنه الغلام وانتمى فاذا هو ابنه فنزلا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال له الاب اي اثال هلم الى الدنيا فقال له الغلام يا ابة هلم الى الاخرة والله يا ابة لو كان من رأيي الانصراف الى اهل الشام لوجب عليك ان يكون من رأيك لي ان تنهاني واسواتا ماذا اقول لعلي وللمؤمنين الصالحين كن على ماانت عليه وانا اكون على ما انا عليه وانصرف حجل الى اهل الشام وانصرف اثال الى اهل العراق فخبر كل واحد منهما صحابه وقال في ذلك حجل :

ان حجل بن عامر واثالا ⁂ اصبحا يضربان في الامثال
اقبل الفارس المدجج في النقـ ⁂ ـع اثال يدعو يريد نزالي
دون اهل العراق يخطر كالفحـ ⁂ ـل على ظهر هيكل ذيال
فدعاني له ابن هند وما زا ⁂ ل قليلا في صحبه امثالي
فتناولته ببادرة الرمح ⁂ واهوى باسمر عسال
فاطعنا وذاك من حدث الدهر ⁂ عظيم فتى لشيخ بجال
شاجرا بالقناة صدر ابيه ⁂ وعظيم علي طعن اثال
لا ابالي حين اعترضت اثالا ⁂ واثال كذاك ليس يبالي
فافترقنا على السلامة والنفس ⁂ يقيها مؤخر الآجال
لا يراني على الهدى واراه ⁂ من هدانا على سبيل ضلال

فلما انتهى شعره الى اهل العراق قال ابنه اثال مجيبا له وكان مجتهدا مستبصرا :

ان طعني وسط العجاجة حجلا لم يكن في الذي نويت عقوقا
كنت ارجو به الثواب من الله وكوني مع النبي رفيقا
لم ازل انصر العراق من الشام اراني بفعل ذاك حقيقا
قال اهل العراق اذ عظم الخطب ونق المبارزون نقيقا
من فتى يأخذ الطريق الى الله فكنت الذي اخذت الطريقا
حاسر الرأس لا اريد سوى المو تارى الا عظم الجليل دقيقا
فاذا فارس تقحم في النقع خدبا مثل السحوق فنيقا
فبداني حجل ببادرة الطعن وما كنت قبلها مسبوقا
فتلقيته بعالية الرمح كلانا يطاول العيوقا
احمد الله ذا الجلالة والقد رة حمدا يزيدني توفيقا
لم انل قتله ببادرة الطعنة مني ولم اكن مفروقا
قلت للشيخ لست اكفرك الد هر لطيف الغذاء والتفنيقا
غير اني اخاف ان تدخل النار فلا تعصني وكن لي رفيقا
وكذا قال لي فغرب تغريبا وشرقت راجعا تشريقا

(ذم معوية للانصار)

ودعا معوية النعمن بن بشير بن سعد الانصاري ومسلمة بن مخلد الانصاري ولم يكن معه من الانصار غيرهما فقال يا هذان لقد غمني ما لقيت من الاوس والخزرج صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون الى النزال حتى والله جبنوا اصحابي الشجاع والجبان او حتى والله ما أسأل عن فارس من اهل الشام الا قالوا قتله الانصار اما والله لا لقينهم بجدي وحديدي ولاعبين لكل فارس منهم فارسا ينشب في حلقه ثم

لارمينهم باعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل «١» يقولون نحن الانصار قد والله آووا ونصروا ولكن افسدوا حقهم بباطلهم فغضب النعمان فقال يا معوية لا تلومن الانصار بسرعتهم في الحرب فانهم كذلك كانوا في الجاهلية واما دعاؤهم الى النزال فلقد رأيتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واما لقاؤك اياهم في عدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم فان احببت ان ترى فيهم مثل ذلك آنفا فافعل واما التمر والطفيشل فان التمر كان لنا فلما ان ذقتموه شاركتمونا فيه واما الطفيشل فكان لليهود فلما اكلناه غلبناهم عليه كما غلبت قريش على السخينة «٢» ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال يا معوية ان الانصار لا تعاب احسابها ولا نجداتها واما غمهم اياك فقد والله غمونا ولو رضينا ما فارقونا وما فارقنا جماعتهم وان في ذلك لما فيه من مباينة العشيرة ولكن حملنا ذلك ورجونا منك عوضه واما التمر والطفيشل فانهما يجران عليك نسب السخينة والخرنوب «٣» وانتهى الكلام الى الانصارفجمع قيس بن سعد الانصاري الانصار ثم قام خطيبا فيهم فقال ان معوية قد قال ما بلغكم واجاب عنكم صاحبكم فلعمري لئن غظتم معوية اليوم لقد غظتموه بالامس وان وترتموه في الاسلام لقد وتمتموه في الشرك وما لكم اليه من ذنب اعظم من نصر هذا الدين الذي انتم عليه فجدوا اليوم جدا تنسونه ما كان امس وجدوا غدا جدا تنسونه ما كان اليوم فانتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل والقوم مع لواء ابي جهل والاحزاب واما التمر فانا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه واما الطفيشل فلو كان طعامنا سمينا به كما سميت قريش السخينة ثم قال

قيس بن سعد في ذلك شعرا :

يا ابن هند دع التوثب في الحر	ب اذا نحن بالجياد سرينـــا
نحن من قد علمت فادن اذا شئـ	ـت بمن شئت في العجاج الينا
ان تشأ فارس لـه فارس منا	وان شئت باللفيف التقينــا
اي هذين مـــا اردت فخذه	ليس منا وليس منك الهوينـا
ثم لا تنزع العجاجـة حتى	تنجلي حربنا لنا أو علينـــا
ليت مـــا تطلب الغداة اتانا	انعم الله بالشهادة عينـــا
اننا اننا الذين لدى الفتـح	شهدنـــا وخيبرا وحنينـا
بعد بدر وتلك قاصمة الظهر	واحـــد وبالنضير ثنينـــا
يوم الاحزاب فيه قد علم النا	س شفينا من نحوكم واشتفينـا

فلما بلغ شعره معوية دعا عمرو بن العاص فقال ما ترى في شتم الانصار قال ارى ان توعد ولا تشتم ما عسى ان تقول لهم اذا اردت ذمهـم ذم ابدانهم ولا تذم احسابهم قال معوية ان خطيب الانصار قيس بن سعـد يقوم كل يوم خطيبا وهو والله يريد ان يفنينا غدا ان لم يحبسه عنا حابس الفيل فما الرأي قال الرأي التوكل والصبر فارسل معوية الى رجال من الانصار فعاتبهم فمشوا الى قيس فقالوا ان معوية لا يريد شتمنا فكف عن شتمه فقال ان مثلي لا يشتم ولكن لا اكف عـــن حربه حتى القى الله . وتحركت الخيل غدوة فظن قيس بن سعد ان فيها معوية فحمل على رجل يشبهه فقنعه بالسيف فاذا هو غير معوية وحمل على آخر يشبهه ايضـــا فضربه ثم انصرف فلما تحاجز الفريقان شتمه معوية شتما قبيحا وشتـم

الانصار فغضب النعمان ومسلمة فارضاهما بعدما هما ان ينصرفا الى قومهما ثم ان معوية سال النعمان ان يخرج الى قيس فيعاتبه ويسأله السلم فخرج فقال له يا قيس الستم معشر الانصار تعلمون انكم أخطأتم في خذل عثمان وقتلتم انصاره يوم الجمل واقحمتم خيولكم على اهل الشام بصفين فلو كنتم اذ خذلتم عثمان خذلتم عليا لكانت واحدة بواحدة ولكنكم خذلتم حقه ونصرتم باطلا ثم لم ترضوا ان تكونوا كالناس حتى اعملتم في الحرب ودعوتم الى البراز ثم لم ينزل بعلي امر قط الا هونتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر وقد اخذت الحرب منا ومنكم ماقد رأيتم فاتقوا الله في البقية فضحك قيس ثم قال ما كنت اراك يا نعمن تجتريء على هذه المقالة انه لا ينصح اخاه من غش نفسه وانت والله الغاش الضال المضل اما ذكرك عثمان فان كانت الاخبار تكفيك فخذ عني واحدة قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك واما اصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث واما معوية فوالله ان لو اجتمعت عليه العرب لقاتلته الانصار واما قولك انا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معوية الا طليقا او اعرابيا او يمانيا مستدرجا بغرور اين المهاجرون والانصار والتابعون باحسان الذين رضي الله عنهم ثم انظر هل ترى مع معوية غيرك وصويحبك ولستما والله ببدريين ولا احديين ولا لكما سابقة في الاسلام ولا آية في القرآن ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا ابوك (يشير الى ما فعله ابوه يوم السقيفة) وقال قيس في ذلك ـ

والراقصات بكل اشعث اغبر ... خوص العيون تحثها الركبان
ما ابن المخلد ناسيا اسيافنا ... عمن نحاربه ولا النعمان
تركا العيان وفي العيان كفاية ... لو كان ينفع صاحبيه عيان

قال نصر : كان فارس اهل الكوفة الذي لا ينازع العكبر ابـن جدير الاسدي وفارس اهل الشام الذي لا ينازع عوف ابن مجزاة المرادي المكني ابا احمر وهو ابو الذي استنقذ الحجاج بن يوسف يوم صرع في المسجد بمكة وكان العكبر له عبادة ولسان لا يطاق فقام الى علي (ع) وقال يـا امير المؤمنين ان في ايدينا عهدا من الله لا نحتاج فيه الى الناس وقـد ظننا باهل الشام الصبر وظنوا بنا فصبرنا وصبروا وقد عجبت مـن صبر اهل الدنيا لاهل الاخرة ثم قرأت آية من كتاب الله فعلمت انهم مفتونون الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الآية فاثنى عليه علي خيرا وقال له خيرا وخرج الناس الى مصافهم وخرج المرادي نادرا من الناس وكذلك كان يصنع وقد كان قتل قبل ذلك نفرا مبارزة فنادى يا اهل العراق هل من رجل عصاه سيفه يبارزني ولا اغركم من نفسي فأنا فارس روف فصاح الناس بالعكبر فخرج اليه منقطعا من اصحابه والناس وقوف والمرادي يقول :

بالشام امـن ليس فيه خوف	بالشام عـدل ليس فيه حيف
انـا المرادي ورهطي روف	انـا ابن مجزاة واسمي عوف
هل من عراقي عصـاه سيف	يبرز لـي وكيف لـي وكيف

فبرز اليه العكبر وهو يقول :

الشام محـل والعراق تمطر	بهـا الامام والامـام معذر
انـا العراقي واسمي العكبر	ابـن جدير وابوه المنـذر

ادن فاني للكمـي مصحر

فاطعنا فصرعه العكبر فقتله ومعوية على التل في جماعة فوجه العكبر فرسه فملا فروجه ركضا يضربه بالسوط مسرعا نحو التل فنظر اليه معوية فقال ان هذا الرجل مغلوب على عقله او مستأمن اسألوه فأتاه رجل وهو في حمو فرسه فناداه فلم يجبه فمضى حتى انتهى الى معوية وجعل يطعن

في اعراض الخيل ورجا المعكبر ان يفردوا له معوية فقتل رجالا وقام القوم دون معوية بالسيوف والرماح فلما لم يصل اليه نادى اولى لـك يا ابن هند وان الغلام الاسدي ورجع الى علي فقال له ما دعاك الى ما صنعت يا عكبر قال اردت غرة ابن هند وكان شاعرا فقال :

قتلت المرادي الذي جاء باغيا ... ينادي وقد ثار العجاج نزال
يقول أنا عوف بن مجزاة المنى ... لقاء ابن مجزاة بيوم قتال
فقلت له لما علا القوم صوته ... بليت بمشبوح اليدين طوال
فلو جرته في معظم النقع صعدة ... ملأت بها رعبا قلوب رجال
وقدمت مهري راكضا نحو صفهم ... اعرقه في جريه بشمالي
اريد به التل الذي فوق رأسه ... معوية الجاني لكل خبال
فلما رأوني اصدق الطعن فيهم ... جلا عنهم رجم الغيوب فعالي
فقام رجال دونه بسيوفهم ... وقام رجال دونه بعوالي
فلو نلته نلت التي ليس بعدها ... من الامر شيء غير قيل وقال
ولو مت في نيل المنى الف ميتة ... لقلت اذا ما مت لست ابالي

وانكسر أهل الشام لقتل المرادي وهدر معوية دم العكبر فقال العكبر يد الله فوق يد معوية فاين دفاع الله عن المؤمنين (قال نصر) وكانت طلائع أهل الشام وأهل العراق يلتقون فيما بين ذلك ويتناشدون الأشعار ويفخر بعضهم على بعض وتحدث بعضهم بعضا على امان فالتقوا يوما وفيهم النجاشي فتذاكروا رجراجة علي وخضرية معوية (فالاولى) اربعة آلاف مجفف من همدان مع سعيد بن قيس الهمداني عليهم البيض والسلاح والدروع والرجراجة الكتيبة التي تموج من كثرتها او تمخض في سيرها ولا تكاد تسير لكثرتها (والثانية) اربعة آلاف مع عبيد الله بن عمر عليهم ثياب خضر او معلمون بالخضرة وتسمى الرقطاء ايضا كما مر فافتخر كل قوم بكتيبتهم وقالوا في ذلك الاشعار (قال نصر) وجزع

اهل الشام على قتلاهم جزعا شديدا فقال معوية بن خديج يا أهل الشام
قبح الله ملكا يملكه المرء بعد حوشب وذي الكلاع فقال معوية يا أهل
الشام ما جعلكم الله احق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم
فوالله ماذو الكلاع فيكم باعظم من عمار بن ياسر فيهم ولا حوشب فيكم
باعظم من هاشم فيهم وما عبيد الله بن عمر فيكم باعظم من ابن بديل فيهم
وما الرجال الا اشباه فابشروا فان الله قد قتل من القوم عمار بن ياسر
وهو فتاهم وهاشما وكان جمرتهم وابن بديل وهو فاعل الافاعيل وبقي
الاشعث والاشتر وعدي بن حاتم فاما الاشعث فانما حمى عنه مصره واما
الاشتر وعدي فغضبا للفتنة والله قاتلهما غدا فقال ابن خديج ان يكن
رجال عندك اشباها فليست عندنا كذلك وغضب ابن خديج • وروى نصر
عن عمر بن سعد عن عبد الرحمن ابن عبد الله ان عبد الله بن كعب قتل
يوم صفين فمر به الاسود بن قيس بآخر رمق فقال عز علي والله مصرعك
اما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك ولو اعرف الذي اشعرك «١»
لأحببت ان لا يزايلني حتى اقتله او يلحقني بك ثم نزل اليه فقال والله ان
كان جارك ليأمن بوائقك وان كنت لمن الذاكرين الله كثيرا اوصني رحمك
الله قال اوصيك بتقوى الله وان تناصح أمير المؤمنين وان تقاتل معه
المحلين حتى يظهر الحق او تلحق بالله وأبلغه عني السلام وقل له قاتل على
المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فانه من اصبح والمعركة خلف ظهره كان
الغالب ثم لم يلبث ان مات فاقبل الاسود الى علي فاخبره فقال رحمه الله
جاهد معنا عدونا في الحياة ونصح لنا في الوفاة • وروى نصر ان معوية
جمع كل قرشي بالشام فقال العجب يا معشر قريش انه ليس لاحد منكم
في هذه الحرب فعال يطول به لسانه ما عدا عمرو فما بالكم اين حمية قريش

فغضب الوليد بن عقبة وقال واي فعال تريد والله مانعرف في اكفائنا
من قريش العراق من يغني عنا باللسان ولا باليد فقال معوية بل ان
اولئك وقوا عليا بأنفسهم قال الوليد كلا بل وقاهم علي بنفسه قال ويحكم
اما منكم من يقوم لقرنه منهم مبارزة ا ومفاخرة فقال مروان اما البراز
فان عليا لا يأذن لحسن ولا لحسين ولا لمحمد بنيه فيه ولا لابن عباس
واخوته ويصلى بالحرب دونهم فلأيهم نبارز واما المفاخرة فيما ذا
نفاخرهم أبالاسلام أم بالجاهلية فان كان بالاسلام فالفخر لهم بالنبوة
وان كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن فان قلنا قريش قالت العرب فأقروا
لبني عبدالمطلب .

(ما جرى بين عتبة بن أبي سفيان وجعدة بن هبيرة)

فقال عتبة بن ابي سفيان الهوا عن هذا فاني لاق بالغداة جعدة ابن
هبيرة فقال معوية بخ بخ قومه بنو مخزوم وامه ام هاني بنت ابي طالب
وابوه هبيرة بن ابي وهب كفو كريم ونابذ معوية الوليد بن عقبة فاغلظ
له الوليد وظهر العتاب بين عتبة والقوم حتى اغلظ لهم واغلظوا له
ثم ما امسوا حتى اصطلحوا وارضاهم معوية من نفسه ووصلهم باموال
جليلة وبعث الى اخيه عتبة ما انت صانع في جعدة قال القاه اليوم واقاتله
غدا وكان لجعدة في قريش شرف عظيم وكان له لسان وكان من احب
الناس الى علي فغدا عليه عتبة فنادى ياجعدة يا جعدة فاستأذن عليا في
الخروج اليه فأذن له فاجتمع الناس لكلامهما فقال عتبة ياجعدة انه
والله ما اخرجك علينا الا حب خالك وعمك بن أبي سلمة عامل البحرين
وانا والله مانزعم ان معوية احق بالخلافة من علي لولا امره في عثمان
ولكن معوية احق بالشام لرضا اهلها به فاعفوا لنا عنها فوالله ما بالشام
رجل به طرف الا وهو اجد من معوية في القتال وما بالعراق من له مثل

جد علي في القتال ونحن اطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم وما اقبح بعلي ان يكون في قلوب المسلمين اولى الناس بالناس حتى اذا اصاب سلطانا افنى العرب فقال جعدة : اما حبي لخالي فوالله لو كان لك خال مثله لنسيت اباك بن أبي سلمة فلم يصب اعظم من قدره والجاد احب الي من العمل واما فضل علي على معوية فهذا مالا يختلف فيه واما رضاك اليوم بالشام فقد رضيتم بها امس واما قولك انه ليس بالشام من رجل الا وهو اجد من معوية وليس بالعراق لرجل مثل جد على فهكذا ينبغي ان يكون مضى بعلي يقينه وقصر بمعوية شكه وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل واما قولك نحن اطوع لمعوية منكم لعلي فوالله لانسأله ان سكت ولا نرد عليه ان قال واما قتل العرب فان الله كتب القتال فمن قتله الحق فالى الله فغضب عتبة وفحش على جعدة فلم يجبه واعرض عنه وانصرفا جميعا مغضبين وجمع عتبة خيله فلم يستبق منها وجل اصحابه السكون والازد والصدف وتهيأ جعدة بما استطاع فالتقيا وصبر القوم جميعا وباشر جعدة القتال بنفسه وجزع عتبة فاسلم خيله واسرع هاربا الى معوية فقال له فضحك جعدة وهزمك لاتغسل رأسك منها ابدا قال عتبة لا والله لا اعود الى مثلها ابدا وقد اعذرت وما كان على اصحابي من عتب ولكن الله ابى ان يديلنا منهم فما اصنع فحظي بها جعدة عند علي وقال النجاشي ابياتا يذكر فيها ذلك وقال الشني مثلها وذكرناهما في ترجمة جعدة • قال نصر واظهر علي عليه السلام انه مصبح غدا معوية ومناجزه فبلغ ذلك معوية وفزع اهل الشام لذلك وانكسروا لقوله وكان معوية بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم مع معوية وكان مبغضا لمعوية وكان يكتب بالاخبار الى عبدالله بن الطفيل العامري ويبعث بها الى علي فبعث الى عبدالله بن الطفيل اني قائل شعرا اذ عربه أهل الشام واذ عربه معوية وكان معوية لا يتهمه وكان له فضل ونجدة ولسان فقال ليلا ليسمع اصحابه من ابيات :

الا ليت هذا الليل اصبح سرمدا — علينا وانا لا نرى بعده غدا
حذار علي انه غير مخلف — مدى الدهر مالبى الملبون موعدا
بأني به في الناس كاشف راسه — على ظهر خوار الرجالة اجردا
يخوض غمار الموت في مرجحنة — ينادون في نقع العجاج محمدا
فوارس بدر والنضير وخيبر — واحد يروون الصفيح المهندا
ويوم حنين جاهدوا عن نبيهم — فريقا من الاحزاب حتى تبددا
هنالك لا تلوي عجوز على ابنها — وان اكثرت في القول نفسي لك الفدا
فقل لابن حرب ما الذي انت صانع — اتثبت ام ندعوك في الحرب قعددا
فلا رأي الا تركنا الشام جهرة — وان ابرق الفجفاج فيها وارعدا

فلما سمع أهل الشام شعره اتوا به معوية فهم بقتله ثم راقب فيه قومه وطرده عن الشام فلحق بمصر وقال معوية والله لقول السلمي اشد على أهل الشام من لقاء علي وقال الاشتر حين قال علي انني مناجز القوم اذا اصبحت :

قد دنا الفصل في الصباح وللسلـ — ـم رجال وللحروب رجال
فرجال الحروب كل خدب — مقحم لا تهده الاهوال
يضرب الفارس المدجج بالسيـ — ـف اذا قل في الوغى الاكفال
يا ابن هند شد الحيازيم للمو — ت ولا تذهبن بك الآمال
ان في الصبح ان بقيت لامرا — تتنادى من هوله الابطال
فيه عز العراق أو ظفر الشا — م باهل العراق والزلزال
فاصبرن للطعان بالاسل السمـ — ـر وضرب تجري به الامثال
ان تكونوا قتلتم النفر البيـ — ـض وغالت اولئك الآجال
فلنا مثلهم وان عظم الخطـ — ـب قليل امثالهم ابدال
يخضبون الوشيج طعنا اذا جر — ر للموت بينهم اذيال
طلبوا الفوز في المعاد وفي ذا — تستهان النفوس والاموال

فلما انتهى الى معوية شعر الاشتر قال شعر منكر من شاعر منكـر رأس اهل العراق وعظيمهم ومسعر حربهم وأول الفتنة وآخرها •

(كتاب معوية الى علي يسأله الشام وجواب علي له)

وقال معوية رأيت ان اكتب الى علي كتابا اسأله الشام والقي في نفسه الشك والرقة فضحك عمرو بن العاص وقال اين انت يامعوية من خدعة علي فقال السنا بني عبد مناف قال بلى ولكن لهم النبوة دونك وان شئت ان تكتب فاكتب فكتب اليه •

اما بعد فاني اظنك ان لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك مابلغت وعلمنا لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ماننندم به على مامضى ونصلح به مابقي وقد كنت سألتك الشام على ان لايلزمني لك طاعة ولا بيعة فابيت ذلك علي فاعطاني الله مامنعت وانا ادعوك اليوم الى مادعوتك اليه امس فاني لا ارجو من البقاء الا ما ترجو ولا اخاف من الموت الا ماتخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل الافضل لايستذل به عزيز ولا يسترق به حر والسلام •

فلما انتهى كتاب معوية الى علي قرأه ثم قال العجب لمعوية وكتابه ثم دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه فقال اكتب • اما بعد فقد جاءني كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنبها بعضنا على بعض فانا واياك منها في غاية لم تبلغها واني لو قتلت في ذات الله وحييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم ارجع عن الشدة في ذات الله والجهاد لاعداء الله واما قولك انه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى فاني ما نقصت عقلي ولا ندمت على فعلي فاما طلبك الشام فاني لم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك امس واما ستواؤنا في الخوف

والرجاء فانك لست بامضي على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام باحرص على الدنيا من اهل العراق على الآخرة واما قولك انا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل فلعمري انا بنو اب واحد ولكن ليس امية كهاشم ولا حرب كعبدالمطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا المحق كالمبطل وفي ايدينا فضل النبوة التي اذللنا بها العزيز واعززنا بها الذليل والسلام •

فلما أتى معوية كتاب علي كتمه عن عمرو بن العاص اياما ثم دعاه فاقرأه الكتاب فشمت به عمرو ولم يكن احد من قريش اشد تعظيما لعلي من عمرو منذ يوم لقيه وصفح عنه فقال عمرو فيما كان اشار به على معوية :

الا لله درك يا ابن هند ... ودر الآمرين لك الشهود
اتطمع لا ابالك في علي ... وقد قرع الحديد على الحديد
وترجو ان تخبره بشك ... وترجو ان يهابك بالوعيد
وقد كشف القناع وجر حربا ... يشيب لهو لها رأس الوليد
له جاؤاء مظلمة طحون ... فوارسها تلهب كالاسود
يقول لها اذا دلفت اليه ... وقد ملت طعان القوم عودي
فان وردت فاولها ورودا ... وان صدرت فليس بذي صدود
وما هي من أبي‌حسن بنكر ... وما هي من مسائك بالبعيد
وقلت له مقالةمستكين ... ضعيف الركن منقطع الوريد
دعن الشام‌حسبك يا ابن هند ... من السوءات والرأي الزهيد
ولو اعطاكها ما ازددت عزا ... ولا لك لو اجابك من مزيد
ولم تكسر بذاك الرأي عودا ... لركته ولا ما دون عود

فلما بلغ معوية قول عمرو دعاه فقال اني اعلم ما اردت بهذا قال ما اردت قال اردت تفييل رأيي واعظام علي وقد فضحك فقال اما

تفييلي رأيك فقد كان واما اعظامي عليا فانك باعظامه اشد معرفة مني ولكنك تطويه وانا انشره واما فضيحتي فلم يفتضح امرؤ لقي أبا حسن.

(ليلة الهرير)

روى نصر بن مزاحم ان عليا عليه السلام غلس بالناس في صلاةالغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الاول سنة ٣٧ وقيل عاشر صفر ثم زحف الى اهل الشام بعسكر العراق والناس على راياتهم وزحف اليهم أهل الشام وقد كانت الحرب اكلت الفريقين ولكنها في اهل الشام اشد نكاية واعظم وقعا فقد ملوا الحرب وكرهوا القتال وتضعضعت اركانهم فخرج رجل من اهل العراق على فرس كميت ذنوب عليه السلاح لايرى منه الا عيناه وبيده الرمح فجعل يضرب رؤوس اصحاب علي بالقناة وهو يقول سووا صفوفكم حتى اذا عدل الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه وولى اهل الشام ظهره ثم حمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي جعل فيكم بن عم نبيكم اقدمهم هجرة واولهم اسلاما سيف من سيوف الله صبه على اعدائه فانظروا الي اذا حمي الوطيس وثار القتام وتكسرت المران وجالت الخيل بالابطال فلا اسمع ا لاغمغمة او همهمة ثم حمل على أهل الشام وكسر فيهم رمحه ثم رجع فاذا هو الاشتر . وخرج رجل من اهل الشام ينادي بين الصفين يا أبا حسن يا علي ابرز لي فخرج اليه على حتى اختلفت اعناق دابتيهما فقال ياعلي ان لك قدما في الاسلام وهجرة فهل لك في امرا اعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رايك فقال له علي وما ذاك قال ترجع الى عراقك فنخلي بينك وبين أهل العراق ونرجع الى شامنا فتخلي بيننا وبين الشام فقال له علي لقد عرفت انك انما عرضت هذا نصيحة وشفقة ولقد اهمني هذا الامر واسهرني وضربت انفه وعينه فلم اجد الا القتال أو

الكفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لم يرض من اوليائه ان يعصى في الارض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فوجدت القتال اهون علي من معالجة الاغلال في جهنم فرجع الشامي وهو يسترجع ولما كان قبل ليلة الهرير بليلة قال اصحاب معوية والله مانبرح العرصة حتى يفتح الله لنا أو نموت وقال اصحاب علي عليه السلام مثل ذلك فباكروا القتال غدا يوما من ايام الشعري طويلا شديد الحر فتراموا بالنبل حتى فنيت نبالهم ثم تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت واندقت ثم مشى بعضهم الى بعض بالسيوف وقد كسروا جفونها وعمد الحديد فلم يسمع السامع الا تغمغم القوم وتكادم الافواه وصليل السيوف في الهام ووقع الحديد بعضه على بعض لهو اشد هولا في صدور الرجال من الصواعق ومن جبال تهامة يدك بعضها بعضا وكسفت الشمس وثار القتام وضلت الالوية والرايات فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة الى نصف الليل ومرت مواقيت اربع صلوات لم يسجد لله فيهن سجدة ولم يصلوا لله صلاة الا التكبير ثم استمر القتال من نصف الليل الى ارتفاع الضحى وافترقوا على سبعين الف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة وهي ليلة الهرير والاشتر في ميمنة الناس وابن عباس في الميسرة وعلي في القلب والاشتر في هذه الحال يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالاقدام على التي تليها فلم يزل يفعل ذلك حتى اصبح والمعركة خلف ظهره ونادت المشيخة في تلك الغمرات يامعشر العرب الله الله في الحرمات من النساء والبنات قال جابر فبكى أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام وهو يحدثني بهذا الحديث وجعل الاشتر يقول لاصحابه وهو يزحف بهم نحو أهل الشام ازحفوا قيد رمحي هذا فاذا فعلوا قال ازحفوا قاب هذا القوس فاذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى مل أكثر الناس الاقدام ثم دعا بفرسه وركز

رايته وكانت مع حيان بن هوذه النخعي واقبل الاشتر على فرس له كميت محذوف قد وضع مغفره على قربوس السرج وهو يقول اصبروا يامعشر المؤمنين فقد حمي الوطيس ورجعت الشمس من الكسوف واشتدالقتال وخرج يسير في الكتائب ويقول الا من يشري نفسه لله ويقاتل مع الاشتر حتى يظهر أو يلحق بالله فلا يزال الرجل من الناس يخرج اليه ويقاتل معه. ويقول واحد في تلك الحال اي رجل هذا لو كانت له نية فيقول له صاحبه واي نية اعظم من هذه ثكلتك امك وهبلتك ان رجلا فيما قد ترى قد سبح في الدماء وما اضجرته الحرب وقد غلت هام الكماة من الحر وبلغت القلوب الحناجر وهو كما ترى يقول هذه المقالة اللهم لاتبقنا بعد هذا .ثم قام الاشتر في اصحابه فقال شدوا فدا لكم عمي وخالي شدة ترضون بها الله وتعزون بها الدين فاذا شددت فشدوا ثم نزل وضرب وجه دابته ثم قال لصاحب رايته اقدم فاقدم بها ثم شد على القوم وشد معه اصحابه يضرب اهل الشام حتى انتهى بهم الى عسكرهم فقاتلوا عند المعسكر قتالا شديدا فقتل صاحب رايته واخذ علي لما رأى الظفر قد جاء من قبله يمده بالرجال وخطب الاشعث بن قيس في كندة ليلة الهرير فقال كلاما ظاهره النصح لقومه وباطنه الغش لعلي عليه السلام فمما قال : قد رأيتم يا معشر المسلمين ماقد كان في يومكم هذا الماضي وما فني فيه من العرب فوالله لقد بلغت من السن ماشاء الله ان ابلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط الا فليبلغ الشاهد الغائب انا ان نحن تواقفنا غدا انه لفناء العرب وضيعة الحرمات اما والله ما اقول هذه المقالة جزعا من الحتف ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غدا اذا فنينا .

وروى نصر عن عمرو بن شمر عن جابر بن عمير الانصاري قال والله لكأني اسمع عليا يوم الهرير حين سار أهل الشام وذلك بعدما طحنت رحى مذحج فيما بيننا وبين عك ولخم وجذام والاشعريين بامر عظيم تشيب منه

النواصي من حين استقبلت الشمس حتى قام قائم الظهيرة ثم ان عليا قال حتى متى نخلي بين هذين الحيين قد فنيا وانتم وقوف تنظرون اليهم امـا تخافون مقت الله ثم انفتل الى القبلة ورفع يديه الى الله ثم نادى يالله يا رحمن يا واحد ياصمد يا الله يا اله محمد اللهم اليك نقلت الاقـدام وافضت القلوب ورفعت الايدي وامتدت الاعناق وشخصت الابصار وطلبت الحوائج انا نشكو اليك غيبة نبينا صلى الله عليه وسلم وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا ربنا افتح بيننا وبـين قومنا بالحق وانت خـير الفاتحين سيروا على بركة الله ثم نادى لا اله الا الله والله اكبر كلمـة التقوى . قال الراوي لا والله الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق نبينا ماسمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والارض اصاب بيده في يوم واحد ما اصاب انه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من اعلام العرب يخرج بسيفه منحنيا فيقول معذرة الى الله واليكم مـن هذا لقد هممت ان افلقه ولكن حجزني عنه اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كثيرا :

لاسيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علـي

وانا اقاتل بـه دونه فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من ايدينا فيقتحم بـه في عرض الصف فلا والله ما ليث باشد نكاية في عدوه وخطب علي عليه السلام الناس فقال ايها الناس قد بلغ بكم الامر وبعدوكم مـاقد رأيتم ولم يبق منهم الا آخر نفس وان الامور اذا اقبلت اعتبر آخرها باولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا وانا غاد عليهم بالغداة احاكمهم الى الله عز وجل .

(حيلة رفـع المصاحف)

فبلغ ذلك معوية فدعا عمرو بن العاص فقال ياعمرو انمـا هي الليلة

حتى يغدو علي علينا بالفيصل فما ترى قال ارى ان رجالـك لايقومون لرجاله ولست مثله هو يقاتلك على امر وانت تقاتله على غيره انت تريد البقاء وهو يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم وأهـل الشام لايخافون عليا ان ظفر بهم ولكن الق اليهم امرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانـك بالغ به حاجتك في القوم فاني لم ازل أوخر هذا الامر لحاجتك اليـه فقال معوية صدقت . واصبح اهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلدوها الخيل والناس على راياتهم قال تميم بن حذيم لما اصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فاذا اشباه الرايات امام صف أهل الشام وسط الفيلق فلما ان اسفرنا فاذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح وكـان جميعها خمسمائة مصحف فاستقبلوا عليا بمائة مصحف ووضعوا في كل مجنبة مائتي مصحف وشدوا ثلاثة رماح جميعـا وربطوا عليها مصحف المسجد الاعظم يمسكه عشرة رهط ونادوا يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم يا معشر العرب الله الله في نسائكم وبناتكم فمن للروم والاتراك وأهل فارس غدا اذا فنيتم الله الله في دينكم واقبل أبو الاعور السلمي على برذون ابيض وقد وضع المصحف على رأسه ينادي يا أهل العـراق كتاب الله بيننا وبينكم فقال أمير المؤمنين اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكيم الحق المبين فاختلف اصحاب علي عليه السلام في الرأي فطائفة قالت القتال وطائفة قالت المحاكمـة الى الكتاب لا يحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب وتمت الحيلة على أهل العراق .

واقبل عدي بن حاتم فقال يا أمير المؤمنين ان كان أهل الباطل لايقومون باهل الحق فانه لم يصب عصبة منا الا وقد اصيب مثلها منهم وكـل مقروح ولكنا امثل بقية منهم وقد جزع القوم وليس بعد الجزع الا مـا

تحب فناجز القوم فقام الاشتر النخعي فقال ان معوية لا خلف له من رجاله
ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك
ولا بصرك فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله الحميد وقام عمرو ابن
الحمق فقال يا أمير المؤمنين انا والله ما اخترناك ولا نصرناك عصبية
على الباطل ولا احببنا الا الله عز وجل ولا طلبنا الا الحق ولو دعانا غيرك
الى مادعوتنا اليه لكان فيه اللجاج وطالت فيه النجوى وقد بلغ الحق
مقطعه وليس لنا من رأيك رأي وقال الاشعث بن قيس مغضبا فقال
يا أمير المؤمنين انا لك اليوم على ماكنا عليه امس (وقد صدق) وليس آخر
امرنا كأوله وما من القوم احدا حتى على أهل العراق ولا اوتر لاهل
الشام مني فأجب القوم الى كتاب الله فانك احق به منهم وقد احب
الناس البقاء وكرهوا القتال وماج الناس وقالوا اكلتنا الحرب وقتلت
الرجال وقال قوم نقاتل القوم على ماقاتلناهم عليه امس ولم يقل هذا
الا قليل من الناس فقال أمير المؤمنين عليه السلام انه لم يزل امري معكم
على ما احب الى ان اخذت منكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت
واخذت من عدوكم فلم تترك وانها فيهم انكى وانهك الا اني كنت بالامس
أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت منهيا وقد
احببتم البقاء وليس لي ان احملكم على ماتكرهون ثم قعد . وتكلم
رؤساء القبائل فاما من ربيعة وهي الجبهة العظمى فقام كردوس ابن
هانىء البكري فقال ايها الناس انا والله ماتولينا معوية منذ تبرأنا منه
ولا تبرأنا من علي مذ توليناه وان قتلانا لشهداء وان أحياءنا لابرار وان
عليا لعلى بينة من ربه وما احدث الا الانصاف وكل محق منصف فمن
سلم له نجا ومن خالفه هلك وقام شقيق بن ثور البكري فقال ايها
الناس انا دعونا أهل الشام الى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم عليه وانهم
دعونا الى كتاب الله فان رددناه عليهم حل لهم منا ما حل لنا منهم ولسنا

نخاف ان يحيف الله علينا ولا رسوله وان عليا ليس بالراجع الناكص ولا الشاك الواقف وهو اليوم على ما كان عليه امس وقد اكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء الا في الوادعة وقام حريث بن جابر البكري فقال ايها الناس ان عليا لو كان خلفا من هذا الامر لكان المفزع اليه فكيف وهو قائده وسائقه انه والله ماقبل من القوم اليوم الا مُادعاهم اليه امس ولو رده عليهم كنتم له اعنت وقام خالد بن المعمر فقال يا أمير المؤمنين انا لانرى البقاء الا فيما دعاك اليه القوم ان رأيت ذلك فان لم تره فرأيك افضل ثم قام الحضين بن المنذر الرقاشي وهو من اصغر القوم سنا فقال ايها الناس ان لنا داعيا قدحمدنا ورده وصدره وهو المصدق على ماقال المأمون على مافعل فان قال لا قلنا لا وان قال نعم قلنا نعم وقال رفاعة بن شداد البجلي ايها الناس انه لايفوتنا شيء من حقنا وقد دعونا في آخر امرنا الى ما دعوناهم اليه في اوله فان يتم الامر على مانريد والا اثرناها جذعة وروى نصر ان امير المؤمنين عليه السلام لما رفع أهل الشام المصاحف يدعون الى حكم القرآن قال : عباد الله انا احق من اجاب الى كتاب الله ولكن معوية وعمرو بن العاص وبن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا باصحاب دين ولا قرآن اني اعرف بهم منكم صحبتهم اطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال انها كلمة حق يراد بها باطل انهم والله ما رفعوها حقا انهم يعرفونها ولا يعملون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ومكيدة اعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعة ولم يبق الا ان يقطع دابر الذين ظلموا فجاءه زهاء عشرين الفا مقنعين في الحديد وشاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد سودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد ابن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا بامرة المؤمنين يا علي اجب القوم الى كتاب الله اذ دعيت اليه

والا قتلناك كما قتلنا بن عفان فوالله لنفعلها ان لم تجبهم فقال لهم ويحكم انا اول من دعا الى كتاب الله وأول من اجاب اليه وليس يحل لي ولا يسعني في ديني ان ادعى الى كتاب الله فلا اقبله اني انما اقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فانهم قد عصوا الله فيما امرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكني قد اعلمتكم انهم قد كادوكم وانهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون قالوا فابعث الى الاشتر ليأتينك وكان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معوية ليدخله فارسل اليه علي يزيد ابن هانيء فأتاه فبلغه فقال الاشتر قل له ليس هذه الساعة ينبغي لك ان تزيلني فيها عن موقفي اني قد رجوت ان يفتح الله لي فلا تعجلني فرجع يزيد بن هانيء الى علي فأخبره وارتفع الرهج وعلت الاصوات من قبل الاشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لاهل العراق ودلائل الخذلان والادبار على اهل الشام فقال له القوم والله ما نراك الا أمرته بقتال القوم قال رأيتموني ساررت رسولي اليس اني كلمته على رؤوسكم علانية وانتم تسمعون قالوا فابعث اليه فليأتك والا فوالله اعتزلناك قال ويحك يايزيد قل له اقبل الي فان الفتنة قد وقعت فأتاه فاخبره فقال له الاشتر الرفع هذه المصاحف قال نعم قال اما والله لقد ظننت انها حين رفعت ستوقع اختلافا وفرقة انها من مشورة بن النابغة يعني عمرو بن العاص وقال ليزيد الا ترى الى الفتح الا ترى الى مايلقون الا ترى الى الذي يصنع الله لنا اينبغي ان ندع هذا وننصرف عنه فقال له يزيد اتحب انك ظفرت هاهنا وان أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلم الى عدوه قال سبحن الله والله ما احب ذلك قال فانهم قالوا لترسلن الى الاشتر فليأتينك او لنقتلك كما قتلنا عثمن او لنسلمنك الى عدوك فأقبل الاشتر فصاح يا أهل الذل والوهن احين علوتم القوم فظنوا انكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم الى مافيها وقد والله تركوا ما امر

الله فيها وسنة من انزلت عليه فلا تجيبوهم مهلوني فواقا فاني قد احسست بالفتح قالوا لا قال فامهلوني عدو الفرس فاني قد طمعت في النصرة قالوا اذا ندخل معك في خطيئتك قال فحدثوني عنكم وقد قتل اماثلكم وبقي اراذلكم متى كنتم محقين حيث كنتم تقتلون أهل الشام فانتم الآن حين امسكتم عن القتال مبطلون ام الان محقون فقتلاكم الذين لاتنكرون فضلهم وكانوا خيرا منكم في النار قالوا دعنا منك يا اشتر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله انا لسنا نطيعك فاجتنبنا قال خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم الى وضع الحرب فأجبتم يا اصحاب الجباه السود كنا نظن ان صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق الى لقاء الله فلا ارى فراركم الا الى الدنيا من الموت الا قبحا يا اشباه النيب الجلالة ما انتم برائين بعدها عزا ابدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابهم فصاح بهم علي عليه السلام فكفوا ومن ذلك يعلم ان اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كانوا اربعة اصناف (الاول) أهل البصيرة المخلصون له في الظاهر والباطن العارفون بحقه العالمون بانها خدعة وهم القليل امثال الاشتر وحجر بن عدي وعمرو بن الحمق وكردوس بن هانيء والحضين بن المنذر (الثاني) المخلصون له بقلوبهم لكنهم خدعوا أو احبوا البقاء امثال شقيق بن ثور وحريث بن جابر ورفاعة بن شداد (الثالث) الذين ليس لعلي عليه السلام في قلوبهم مكانته التي يجب ان تكون له مضافا الى انهم قد خدعوا وهم القراء أهل الجباه السود وهؤلاء كانوا وما زالوا في كل عصر اضر من الفساق المتجاهرين بالفسق (الرابع) المنافقون الذين يظهرون النصيحة ويبطنون الغش امثال الاشعث وخالد بن المعمر فكيف يتم مع هؤلاء امر .

وقال الاشتر يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف يصرع القوم

فقالوا له ان عليا أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن قال ان كان قد قبل ورضي فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين فاقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين قد قبل أمير المؤمنين وهو ساكت لا يفيض بكلمة تطرق الى الارض . وقال الناس قد قبلنا ان نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما . وكتب معوية الى علي عليه السلام ان هذا الامر قد طال بيننا وبينك وكل واحد منا يرى انه على الحق وقد قتل فيما بيننا كثير وأنا اتخوف ان يكون ما بقي اشد مما مضى وانا نسأل عن ذلك الموطن ولا يحاسب به غيري وغيرك فهل لك في امر لنا ولك فيه حياة وعذر وصلاح للامة وحقن للدماء والفة للدين وذهاب للضغائن والفتن ان يحكم بيننا وبينكم حكمان رضيان احدهما من اصحابي والآخر من اصحابك فيحكمان بما في كتاب الله بيننا فاتق الله فيما دعيت له وارض بحكم القرآن ان كنت من اهله والسلام فكتب اليه علي عليه السلام كتابا قال في آخره ثم انك قد دعوتني الى حكم القرآن ولقد علمت انك لست من أهل القرآن ولست حكمه تريد والله المستعان وقد اجبنا القرآن الى حكمه ولسنا اياك اجبنا ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا .

(اختيار الحكمين)

وجاء الاشعث بن قيس الى علي عليه السلام فقال ما ارى الناس الا قد رضوا وسرهم ان يجيبوا الناس الى ما دعوهم اليه من حكم القرآن فان شئت اتيت معوية فسألته مايريد فقال ائته فأتاه فقال لاي شيء رفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن وانتم الى ما امر الله به في كتابه فابعثوا منكم رجلا ترضونه ونبعث منا رجلا ثم نأخذ عليهما ان يعملا بكتاب الله لا يعدوانه تتبع ما اتفقنا عليه فقال الاشعث هذا هو الحق وانصرف الى علي فأخبره فقال الناس قد رضينا وقبلنا فبعث علي قراءا من أهل

العراق وبعث معوية قراءا من أهــل الشام فاجتمعوا بين الصفين ومعهــم المصحف فنظروا فيه وتدارسوه واجمعوا على ان يحيوا ما احيا القرآن ويميتوا ما امات ثم رجع كل فريق الى اصحابه (اقول) لم يذكر المؤرخون ماذا انتجه اجتماعهم ومدارستهم القرآن ولا شك ان ذلك من حواشي الاحتيال الذي اكره علي عليه السلام على قبوله فقال أهل الشام انا قــد رضينا واخترنا عمرو بن العاص وقال الاشعث والقراء الذيــن صاروا خوارج فيما بعد انا قد رضينا واخترنا أبا موسى الاشعري فقال لهــم علي عليه السلام اني لا ارضى بأبي موسى ولا ارى ان اوليه فقال الاشعث ويزيد بن حصين ومسعر بن فدكي في عصابة من القراء لا نرضى الا بــه فانه قد حذرنا ما وقعنا فيه قال علي عليه السلام فانه ليس لي برضى وقد فارقني وخذل الناس عني ثم هرب حتى امنته بعد اشهر ولكن هذا ابن عباس اوليه ذلك قالوا والله ما نبالي انت كنت أو بن عباس لا نريد الا رجلا هو منك ومن معوية سواء قال علي فاني اجعل الاشتر قال الاشعث وهل سعر الارض علينا غير الاشتر وهل نحن الا في حكم الاشتر قــال وما حكمه قال حكمه ان يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما اردت وما اراد .

وروى نصر بسنده عن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليــه السلام قال لما اراد الناس عليا على ان يضع حكمين قال لهم ان معويــة لم يكن ليضع احدا هو اوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وانــه لا يصلح للقرشي الا مثله فعليكم بعبدالله بن عباس فارموه به فان عمرا لا يعقد عقدة الا حلها عبدالله ولا يحل عقدة الا عقدها ولا يبرم امــرا الا نقضه ولا ينقض امرا الا ابرمه فقال الاشعث لا والله لا يحكم فينــا مضريان حتى تقوم الساعة ولكن اجعله رجلا من أهل اليمن اذا جعلوا رجلا من مضر فقال علي عليه السلام اني اخاف ان يخدع يمينكم فــان

عمرا ليس من الله في شيء اذا كان له في امر هواه فقال الاشعث والله لان يحكما ببعض مانكره واحدهما من أهل اليمن احب الينا من ان يكون مانحب في حكمهما وهما مضريان وذكر الشعبي مثل ذلك (أقول) ليس العجب من الاشعث اذا ظهر ذات نفسه لعلي عليه السلام وجابهه بهـذا القول في الاشتر وتمسك بهذه الاعذار الواهية في اختيار أبي موسى لان الاشعث كان منطويا على غش أمير المؤمنين عليه السلام وعداوته وهواه مع معوية لينال من دنياه وكان رئيس كندة فلما امن جانب علـي عليه السلام ورأى اختلاف الكلمة اظهر ذات نفسه وجابه بما جابـه به ولكن العجب من القراء اهل الجباه السود من طول السجود وأهل البلادة والجمود الذين لايزال امثالهم بلاء على الامة الاسلامية الى اليوم كيف يقولون لعلي عليه السلام مانبالي كنت انت أو بن عباس لا نريد الا رجلا هو منك ومن معوية سواء ولا يقولون لمعوية ما نبالي كنت انت او عمرو لا نريد الا رجلا هو منك ومن علي سواء • ومن الذين جاؤوا بعد ذلك فلم يشاؤوا ان ينظروا الى الامور الا من وراء غشاء فقالوا ان كل ماجرى من الفئة الباغية كان عن حسن نية واجتهاد • قال المؤلف :

داء لعمرك اعيـا الطـ ـبيـب والمتطبـب
ان كان هـذا اجتهادا فليس في الارض مذنب

وجاء الاشتر فقال يا أمير المؤمنين ارني عمرو بن العاص فوالله الـذي لا اله الا هو لئن ملأت عيني منه لاقتلنه وجاء الاحنف بن قيس التميمي فقال يا أمير المؤمنين انك قد رميت بحجر الارض ومن حارب الله ورسوله وانف الاسلام واني قد عجمت هذا الرجل يعني أبا موسى وحلبت اشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر وانه رجل يماني وقومه مع معوية وانه لا يصلح لهؤلاء القوم الا رجل يدنو منهم حتى يكون في اكفهم ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم فان شئت ان تجعلني حكما فاجعلني وان

قلت اني لست من اصحاب رسول الله صلى الله وسلم فابعث رجلا من اصحابه غير عبدالله بن قيس واجعلني ثانيا أو ثالثا فانه لايعقد عقدة الا حللتها ولن يحل عقدة الا عقدتها وعقدت لك اخرى اشد منها فعرض ذلك على الناس فأبوه وقالوا لا يكون الا أبا موسى (وفي رواية) ان القوم اتوني عبداله بن قيس مبرنسا فقالوا ابعث هذا فقد رضينا به والله بالغ امره • قال علي عليه السلام قد ابيتم الا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما اردتم فبعثوا الى أبي موسى وكان معتزلا بارض من ارض الشام يقال لها عرض فأتاه مولى له فقال ان الناس اصطلحوا قال الحمدلله قال وقد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر علي عليه السلام •

(كتاب الصلح)

قال نصر لما رضي أهل الشام بعمرو بن العاص وأهل العراق بابي موسى اخذوا في كتاب الموادعة ورضوا بالحكم حكم القرآن فكتبوا : هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين فقال معوية بئس الرجل انا ان اقررت انه أمير المؤمنين ثم قاتلته وقال عمرو للكاتب اكتب اسمه واسم ابيه انما هو أميركم واما أميرنا فلا فلما اعيد اليه الكتاب امر بمحوه فقال له الاحنف لا تمح اسم امرة المؤمنين عنك فاني اتخوف ان محوتها ان لا ترجع اليك لا تمحها وان قتل الناس بعضهم بعضا فأبى مليا من النهار ان يمحوها ثم جاء الاشعث بن قيس فقال امح هذا الاسم فقال علي لا اله الا الله والله أكبر سنة سنة اما والله لعلى يدي دار هذا الامر يوم الحديبية حين كتبت الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو فقال سهيل لو اعلم انك رسول الله لم اقاتلك اني اذا ظلمتك ان منعتك

ان تطوف ببيت الله وأنت رسول الله ولكن اكتب محمد بن عبدالله فقال محمد صلى الله عليه وسلم يا علي اني لرسول الله واني لمحمد بن عبدالله ولن يمحو عني الرسالة كتابي اليهم من محمد بن عبدالله فراجعني المشركون فاليوم اكتبها الى ابنائهم كما كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آبائهم سنة ومثلا فقال عمرو بن العاص سبحان الله شبهتنا بالكفار ونحن مؤمنون فقال له علي عليه السلام يا بن النابغة ومتى لم تكن للكافرين وليا وللمسلمين عدوا وهل تشبه الا امك فقام عمرو فقال والله لا يجمع بيني وبينك مجلس ابدا بعد هذا اليوم فقال علي اما والله اني لارجو ان يظهر الله عليك وعلى اصحابك وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي عليه السلام يوم الحديبية ان لك مثلها ستعطيها وانت مضطهد وكان كتاب الصلح في صحيفة صفراء عليها خاتمان من اعلاها واسفلها خاتم علي وخاتم معوية وفي كل منهما محمد رسول الله .

(صورة كتاب الصلح)

ذكر له نصر في كتاب صفين صورتين احداهما عن جابر عن زيد ابن حسن انه املاه عليه من كتاب عنده والثانية عن أبي اسحق الشيباني عن سعيد بن أبي بردة انه قرأ كتاب الصلح عنده وبين الصورتين بعض التفاوت ونحن ننقله منتزعا من مجموع الصورتين .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعوية ابن ابي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قضية علي على اهل العراق ومن كان معه من شيعته من شاهد أو غائب وقضية معوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته انا ننزل حكم القرآن فيما حكم به ونقف عند

أمره فيما أمر ولا يجمع بيننا الا ذلك وانا جعلنا كتاب الله حكما فيما بيننا فيما اختلفنا فيه من فاتحته الى خاتمته نحيي ما احيا ونميت ما امات على ذلك تقاضيا وبه تراضيا فما وجد الحكمان في كتاب الله بينناوبينكم فانهما يتبعانه وما لم يجداه في كتاب الله اخذا بالسنةالعادلة الجامعة غير المفرقة وان عليا وشيعته رضوا ان يبعثوا عبدالله بن قيس ناظرا ومحاكما كما رضي معوية وشيعته ان يبعثوا عمرو بن العاص ناظرا ومحاكماواخذوا عليهما عهد الله وميثاقه واعظم ما اخذ الله على احد من خلقه ليتخذان الكتاب اماما فيما بعثا له لا يعدوانه الى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطورا وما لم يجداه مسمى في الكتاب رداه الى سنة رسول اللهصلى الله عليه وسلم الجامعة لا يتعمدان لها خلافا ولا يتبعان في ذلك لهما هوى ولا يدخلان في شبهة وأخذ عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعوية عهد الله وميثاقه بالرضى بما حكما به من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس لهما ان ينقضا ذلك ولا ان يالفاه الى غيره وانهما آمنان في حكومتهما على دمائهما واموالهما واهلهما ما لم يعدوا الحق رضي بذلك راض أو انكره منكر وان الامة انصار لهما على ما قضيا به من العدل فان توفي احد الحكمين قبل انقضاء الحكومة فأمير شيعته واصحابه يختارون مكانه رجلا لا يألون عن أهل المعدلة والاقساط على ماكان عليه صاحبه من العهد والميثاق والحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وله مثل شرط صاحبه وان مات أحد الاميرين من قبل القضاء فلشيعتهان يولوا مكانه رجلا يرضون عدله وقد وقعت القضية ومعها الامن والتفاوض ووضع السلاح والسلام والموادعة وعلى الحكمين عهد الله وميثاقه ان لا يألوا جهدا ولا يتعمدا جورا ولا يدخلا في شبهة ولا يعدوا حكم الكتاب وسنة رسول اللهصلى الله عليه وسلم فان لم يفعلا برئت الامة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمة وقد

وقد وجبت القضية على ماقد سمي في هذا الكتاب من مواقع الشروط على الاميرين والحكمين والفريقين والله اقرب شهيدا واوفى حفيظا والناس آمنون على انفسهم واهليهم واموالهم الى انقضاء مدة الاجل والسلاح موضوع والسبل مخلاة والغائب والشاهد من الفريقين سواء في الامن وللحكمين ان ينزلا منزلا عدلا بين أهل العراق وأهل الشام ولا يحضرهما فيه الا من احبا عن ملأ منهما وتراض وان المسلمين قد اجلوا القاضيين الى انسلاخ رمضان فان رأى الحكمان تعجيل الحكومة فيما وجها له عجلاها وان ارادا تأخيرها بعد رمضان الى انقضاء الموسم فان ذلك اليهما فان هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الى انقضاء الموسم فالمسلمون على امرهم الاول في الحرب ولا شرط بين واحد من الفريقين وعلى الامة عهد الله وميثاقه على التمام والوفاء بما في هذا الكتاب وهم بد على من اراد فيه الحادا أو ظلما أو حاول له نقضا .

وشهد بما في الكتاب من اصحاب علي : عبدالله بن عباس . الاشعث ابن قيس ، الاشتر مالك بن الحارث ، سعيد بن قيس الهمداني ، الحصين والطفيل ابنا الحارث بن المطلب ، أبو اسيد ربيعة بن مالك الانصاري ، عوف بن الحارث بن المطلب القرشي ، بريدة السلمي ، عقبة بن عامر الجهني ث رافع بن حديج الانصاري ، عمرو بن الحمق الخزاعي ، الحسن والحسين ابنا عليهم السلام ، عبدالله بن جعفر الهاشمي ، النعمان ابن عجلان الانصاري ، حجر بن عدي الكندي ، ورقاء بن مالك بن كعب الهمداني ، ربيعة بن شرحبيل ، أبو صفرة بن يزيد ، الحارث بن مالك الهمداني ، حجر بن يزيد ، عقبة بن حجية .

ومن اصحاب معوية : حبيب بن مسلمة الفهري ، أبو الاعور بن سفيان السلمي ، بسر بن ارطاة القرشي ، معوية بن خديج الكندي ، المخارق

ابن الحارث الحميري ، دعبل بن عمرو السكسكي ، عبدالرحمن بن خالد المخزومي ، حمزة بن مالك الهمداني ، سبيع بن يزيد الهمداني ، يزيد ابن الحر الثقفي ، مسروق بن حرملة العكي ، نمير بن يزيد الحميري ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، علقمة بن يزيد الكلبي ، خالد بن المعرض السكسكي ، علقمة بن يزيد الجرمي ، عبدالله بن عامر القرشي ، مروان ابن الحكم ، الوليد بن عقبة القرشي ، عتبة بن أبي سفيان ، محمد ابن أبي سفيان ، محمد بن عمرو بن العاص ، يزيد بن عمرو الجذامي ، عمار ابن الاحوص الكلبي ، مسعدة بن عمر التجيبي ، الحارث بن زياد القيني ، عاصم بن المنتشر الجذامي ، عبدالرحمن بن ذي الكلاع الحميري ، الفتاح ابن جلهمة الحميري ، ثمامة بن حوشب ، علقمة بن حكيم ، حمزة ابن مالك .

وان بيننا على مافي هذه الصحيفة عهد الله وميثاقه وكتب عميرة يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٣٧ .

واتعد الحكمان أذرح وان يجيء علي باربعمائة من اصحابه ويجيء معوية باربعمائة من اصحابه يشهدون الحكومة . والاجل الى شهر رمضان لثمانية اشهر ولما كتبت الصحيفة دعي لها الاشتر فقال لاصحبتني يميني ولا نفعتني بعدها الشمال ان كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة أو لست علي بينة من ربي ويقين من ضلالة عدوي او لستم قد رأيتم الظفر ان لم تجمعوا على الخور فقال له رجل انك والله ما رأيت ظفرا ولا خورا هلم فاشهد على نفسك واقرر بما في هذه الصحيفة فانه لا رغبة بك عن الناس قال بلى والله ان بي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للاخرة ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما انت بخير منهم عندي ولا احرم دما قال عمار بن ربيعة فنظرت الى ذلك الرجل وكأنما قصع على انفه الحمم وهو الاشعث بن قيس ؛ ثم

قال لكن قد رضيت بما صنع علي أمير المؤمنين ودخلت فيما دخل فيـه وخرجت مما خرج منه فانه لا يدخل الا في هدى وصواب •

(اول من حكم وظهور مقالة الخوارج)

وخرج الاشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه عليهم ويمر بـه على صفوف أهل الشام وراياتهم فرضوا بذلك ثم مر به على صفوف أهل العراق وراياتهم حتى مر برايات عنزة وكان منهم بصفين مع علي عليه السلام اربعة آلاف مجفف فقرأه عليهم فقال معدان وجعد العنزيان فتيان اخوان منهم لا حكم الا لله ثم حملا على أهـل الشام بسيوفهما حتـى قتلا على باب رواق معوية • ثم مر بها على مراد فقال صالح بن شقيق من رؤسائهـم :

ما لعلي في الدماء قـد حكم   لو قاتل الاحزاب يوما ماظلم

لاحكم الا الله ولو كره المشركون • ثم مر على رايات بني راسب فقرأها عليهم فقال رجل منهم لا حكم الا الله يقضي بالحق وهو خير الفاصلـين فقال رجل منهم لآخر اما هذا فقد طعن طعنة نافذة وخرج عروة بن ادية أخو مرداس بن ادية التميمي فقال اتحكمون الرجال في امر الله لا حكم الا الله فأين قتلانا يا اشعث وشد بسيفه ليضرب بـه الاشعث فأخطأه وضرب به عجز دابته خفيفة وصاح به الناس ان امسك يدك فكف ورجع الاشعث الى قومه فمشى اليه رجال من بني تميم فيهـم الاحنف بن قيس واعتذروا اليه فقبل منهم وانطلق الى علي فقال يا أمير المؤمنين قد عرضت الحكومة على صفوف أهل الشام وأهل العراق فقالوا جميعا قد رضينا حتى مررت برايات بني راسب ونبذ من الناس سواهم فقالوا لا نرضى لا حكم الا الله فلنحمل بأهل العراق وأهل الشام عليهم فنقتلهم فقال علي عليه السلام هل هي غير راية أو رايتين ونبذ من الناس قال لا قال دعهـم

وظن علي عليه السلام انهم قليلون لا يعبأ بهم فما راعه الا نداء النـــاس من كل جهة لا حكم الا الله الحكم لله يا علي لا لك لا نرضى بان يحكم الرجال في دين اللهان قد امضى حكمه في معوية واصحابه ان يقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم وقد كانت منازلة حين رضينا بالحكمين فرجعنا وتبنا فارجع انت ياعلي كما رجعنا وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فقال ويحكم ابعد الرضا والعهد نرجـــع او ليس الله تعالى قال اوفوا بالعقود وقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعـــد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا فأبى علي ان يرجع وابت الخوارج الا تضليل التحكيم والطعن فيه وبرئت من علي وبرىء منهم • وقيل لعلي عليه السلام لما كتبت الصحيفة ان الاشتر لم يرض بما في الصحيفـــة ولا يرى الا قتال القوم فقال علي بلى ان الاشتر يرضى اذا رضيت وقـــد رضيت ورضيتم ولا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الاقرار الا ان يعصى الله ويتعدى ما في كتابه واما الذي ذكرتم من تركه امري فلست اتخوفه على ذلك وليت فيكم مثله اثنين بل ليت فيكم مثله واحدا يرى في عدوه مثل رأيه اذا لخفت علي مؤونتكم ورجوت ان يستقيم لي بعض اودكم •

وكان عمر بن اوس الاودي قاتل مع علي عليه السلام واسره معوية في اسرى كثيرة فقال له عمرو بن العاص اقتلهم فقال عمر بن اوس لمعوية انك خالي فلا تقتلني فقال معوية وكيف ذاك وليس بيننا وبين اود مصاهـــرة فقال اليست اختك ام حبيبة ام المؤمنين وانا ابنها فأنت خالي فقال معوية لله ابوه خلوا سبيله واسر علي عليه السلام يوم صفين اسرى فخلى سبيلهم واسر معوية اسرى فقال له عمرو بن العاص اقتلهم فما شعروا الا باسراهم قد خلى علي سبيلهم فقال معوية لو اطعناك لوقعنا في قبيح وخلى سبيلهم وكان علي عليه السلام اذا اخذ اسيرا من أهل الشام خلـــى سبيله الا ان

يكون قد قختل من اصحابه احدا فيقتله به فاذا خلى سبيله وعاد الثانية قتله وكان لايجهز على الجرحى ولا يتبع مدبرا ثم ان الناس اقبلوا على دفن قتلاهم .

(رجوع امير المؤمنين عليه السلام الى الكوفة)

روى نصر عن عبدالرحمن بن جندب قال لما اقبل علي عليه السلام من صفين اقبلنا معه قال نصر ورجع أمير المؤمنين عليه السلام الى الكوفة فأخذ طريقا غير الطريق الذي اقبلنا فيه فقال (آئبون عابدون لربنا حامدون اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في المال والاهل) ثم اخذ بنا طريق البر على شاطيء الفرات حتى انتهينا الى هيت واخذنا على صندوداء فخرج الانماريون بنو سعيد بن خريم واستقبلوه فعرضوا عليه النزل فلم يقبل فبات بها ثم غدا حتى جزنا النخيلة ورأينا بيوت الكوفة فاذا شيخ في ظل بيت عليه اثر المرض فقال له علي عليه السلام مالي أرى وجهك منكسفا أمن مرض قال نعم قال لعلك كرهته قال ما احب انه يعتري قال اليس احتسبت بالخير فيما اصابك منه قال بلى قال ابشر برحمة ربك وغفران ذنبك من انت قال انا صالح بن سليم من بني سلامان والجوار والدعوة في بني سليم بن منصور قال سبحن الله ما احسن اسمك واسم ابيك واسم اعدادك ومن اعتزيت اليه ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين اهل الشام قال منهم المسرور واولئك اغنياء الناس ومنهم المكبوت الآسف واولئك نصحاء الناس لك فقال صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا اجر فيه ولكن لايدع للعبد ذنبا الا حطه انما الاجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل وان الله عز وجل يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من عباده الجنة ثم مضى فلقيه عبدالله بن وديعة الانصاري فقال ماسمعت الناس يقولون

في امرنا هذا قال منهم المعجب به ومنهم الكاره له والناس كما قال الله تعالى ولا يزالون مختلفين قال ما يقول ذوو الرأي قال يقولون ان عليا كان له جمع عظيم ففرقه وحصن حصين فهدمه فمتى يبني مثل ماهدم ومتى يجمع مثلما فرق فلو انه كان مضى بمن اطاعه اذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك كان ذلك هو الحزم فقال أنا هدمت أم هم هدموا وأنا فرقت أم هم تفرقوا واما قولهم لو انه مضى بمن اطاعه اذ عصاه من عصاه فوالله ان كنت سخي النفس بالدنيا طيب النفس بالموت ولقد هممت بالاقدام فنظرت الى هذين قد استقدماني (يعني الحسن والحسين) فعلمت انهما ان هلكا انقطع نسل محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الامة وايم الله لئن لقيتهم بعد يومي لقيتهم وليس هما معي في عسكر ولا دار ثم مضى حتى جزنا دور بني عوف فاذا نحن بقبور سبعة أو ثمانية عن إيماننا فسأل عنها فقيل له ان خباب بن الارث توفي بعد مخرجك فاوصى ان يدفن في الظهر فدفن الناس حوله فترحم عليه واثنى عليه ثم اقبل حتى دخل سكة الثوريين ثور همدان فسمع البكاء فقال ما هذه الاصوات قيل هذا البكاء على من قتل بصفين قال اما اني شهيد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهادة ثم مر بالشباميين فسمع رنة شديدة فخرج اليه حارب بن شرحبيل الشبامي فقال علي ايغلبكم نساؤكم الا تنهونهن عن هذا الصياح والرنين فقال يا أمير المؤمنين لو كانت دارا أو دارين أو ثلاثا قدرنا على ذلك ولكن من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل فليس من دار الا وفيها بكاء اما نحن معاشر الرجال فانا لانبكي ولكن نفرح لهم بالشهادة فقال علي رحم الله قتلاكم وموتاكم واقبل يمشي معه وعلي راكب فقال له ارجع ووقف ثم قال ارجع فان مشي مثلك فتنة للوالي ومذلة للمؤمنين ثم مضى حتى مر بالناعطيين (١) فسمع رجلا منهم يقال له عبدالرحمن بن مرثد فقال ماصنع علي والله شيئا ذهب ثم انصرف في

غير شيء فلما نظر أمير المؤمنين عليه السلام اليه ابلس فقال علي عليه السلام وجوه قوم ما رأو الشام العام ثم قال لاصحابه قوم فارقتهم آنفا خير من هؤلاء ثم قال :

أخوك الذي ان اجرضتك ملمة   من الدهر لم يبرح لبثك واجما
وليس أخوك بالذي ان تمنعت   عليك امور ظل يلحاك لائما

ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة

(اجتماع الحكمين بدومة الجندل)

حكى الطبري عن الواقدي انه كان ذلك في شعبان سنة ٣٨ والصواب انه كان سنة ٣٧ روى نصر ان عليا عليه السلام بعث اربعمائة رجل وبعث عليهم شريح بن هانىء الحارثي وبعث عبدالله بن عباس يصلي بهم ويلي امورهم وابو موسى الاشعري معهم وبعث معوية شرحبيل بن السمط مع عمرو بن العاص في اربعمائة رجل فكان اذا كتب علي بشيء اتاه أهل الكوفة فقالوا ما الذي كتب به اليك أمير المؤمنين فيكتمهم فيقولون كتب اليك في كذا وكذا ويجيء رسول معوية الى عمرو بن العاص فلا يدري في أي شيء جاء ولا في أي شيء ذهب فانب بن عباس اهل الكوفة بذلك ثم ودع شرحبيل عمرو بن العاص وقال له انك رجل قريش وان معوية لم يبعثك الا ثقة بك وانك لن تؤتى من عجز ولا مكيدة فكن عند ظننا بك وانصرف وودع شريح أبا موسى وقال انك قد نصبت لامر عظيم لايجبر صدعه ولا يستقال فتقة وانه لابقاء لاهل العراق ان ملكها معوية ولا بأس لاهل الشام ان ملكها علي وقد كانت منك تثبيطة بالكوفة فان تشفعها بمثلها يكن الظن فيك يقينا والرجاء يأسا وكان آخر من ودع أبا موسى الاحنف بن قيس فقال له يا أبا موسى اعرف خطب هذا الامر واعلم ان له ما بعده وانك ان اضعت العراق فلا عراق فاتق الله فانها تجمع لك دنياك وآخرتك واذا لقيت عمرا غدا فلا تبدأه بالسلام فانها وان

كانت سنة الا انه ليس من اهلها وإياك ان يقعدك على صدر الفراش. فانها خدعة ولا تلقه الا وحده واحذره ان يكلمك في بيت فيه مخدع تخبأ فيه الرجال والشهود ثم اراد ان يختبر مافي نفسه فقال له فان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي فخيره بين ان يختار أهل العراق من قريش الشام من شاؤوا قال أبو موسى قدسمعت ما قلت و لايستنكر ذلك فأتى الاحنف عليا فقال يا أمير المؤمنين اخرجوالله أبا موسى زبدة سقائه في اول مخضة لا ارانا الا بعثنا رجلا لا ينكر خلعك فقال علي يا احنف ان الله غالب على امره قال فمن ذلك نجزع وفشا أمر الاحنف وأبي موسى في الناس فجهز الشني راكبا فتبع به أبا موسى بهذه الابيات :

أبا موسى جزاك الله خيرا ... عراقك ان حظك في العراق
وان الشام قد نصبوا اماما ... من الاحزاب معروف النفاق
وانا لا نزال لهم عدوا ... أبا موسى الى يوم التلاقي
فلا تجعل معوية بن حرب ... اماما ما مشت قدم بساق
ولا يخدعك عمرو ان عمرا ... أبا موسى تحاماه الرواقي
فكن منه على حذر وانهج ... طريقك لا تزل بك المراقي

وقال شريح مع ذلك :

أبا موسى رميت بشر خصم ... فلا تضع العراق فدتك نفسي
واعط الحق شامهم وخذه ... فان اليوم في مهل كامس
وان غدا يجيء بما عليه ... يدور الامر من سعد ونحس
ولا يخدعك عمرو ان عمرا ... عدو الله مطلع كل شمس
له خدع يحار العقل فيها ... مموهة مزخرفة بلبس
فلا تجعل معوية بن حرب ... كشيخ في الحوادث غير نكس
هداه الله للاسلام فردا ... سوى عرس النبي واي عرس

فقال ابو موسى ما ينبغي لقوم اتهموني ان يرسلوني لادفع عنهم

باطلا أو اجر اليهم حقا • ثم انهم خلوا بين الحكمين فكان رأي ابي موسى في شيء من هذه الفتنة وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن الزبير الاخبار على معوية فبعث الى رجال من قريش من الذين كرهوا ان يعينوه في حربه فأتوه منهم عبدالله بن الزبير وأتاه المغيرة بن شعبة وكان مقيما بالطائف لم يشهد صفين فقال يا مغيرة ما ترى قال لو وسعني ان انصرك لنصرتك ولكن علي ان آتيك بامر الرجلين فركب حتى اتى ذومة الجندل فدخل على ابي موسى كأنه زائر فقال يا أبا موسى ماتقول فيمن اعتزل هذه الحرب قال اولئك خيار الناس ثم اتى عمرا فقال ماتقول فيمن اعتزل هذه الحرب قال عمرو اولئك شرار الناس لم يعرفوا حقا ولم ينكروا باطلا فرجع الى معوية فقال له قد ذقت الرجلين اما عبدالله بن قيس فخالع صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الامر وهواه في عبدالله بن عمر واما عمرو فهو صاحبك الذي تعرف •

واقبل أبوموسى الىعمرو فقال هل لكفي أمر هو للامة صلاح ولصلحاء الناس رضا نولي هذا الامرعبدالله بن عمر بن الخطاب الذي لم يدخل في شيء من هذهالفتنة وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن اليزبير قريبان يسمعان هذا الكلام فقال عمرو فاين انت عن معوية فأبى عليه أبو موسى وشهدهم عبدالله بن هشام وعبد الرحمن بن عبد يغوث وأبو الجهم ابن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة فقال عمرو ألست تعلم ان عثمان قتل مظلوما قال بلى قال اشهدوا فما يمنعك يا أبا موسى من معوية ولي عثمان وبيته في قريش ما قد علمت فان خشيت ان يقول الناس ولىمعوية وليست له سابقة فان لك بذلك حجة تقول اني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم الطالب بدمه الحسن السياسة الحسن التدبير وهو أخو ام حبيبة ام المؤمنين واحد الصحابة ثم عرض له بالسلطان فقال ان هو ولي هذا الامر اكرمك كرامة لم يكرمك احد قط مثلها فقال ابو موسى اتق الله

ياعمرو واما ذكرك شرف معوية فان هذا الامر ليس على الشرف يولاه اهلـــه ولـــو كان علـــى الشرف يولاه اهلـــه لكـــان احـــق الناس به ابرهة بن الصباح انما هو لاهل الدين والفضل مع اني لو كنت اعطيه افضل قريش شرفا اعطيته علي بن أبي طالب واما قولك ان معويـــة ولي عثمان فاني لم اكن اوليه معوية وادع المهاجرين الاولين واما تعريضك بالسلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه ماوليته ولا كنت لارتشي في الله ولكنك ان شئت احيينا سنة عمر بن الخطاب او اسم عمر بن الخطاب قال ان كنت تريد ان تبايع بن عمر فما يمنعك من ابني وانت تعرف فضلـــه وصلاحه قال ان ابنك رجل صدق لكنك قد غمسته في هذه الفتنة فـــان شئت ولينا هذا الامر الطيب بن الطيب عبدالله بن عمر بن الخطاب قال عمرو ان هذا الامر لا يصلح له الا رجل ضرس يأكل ويطعم وان عبدالله ليس هناك وكان في أبي موسى غفلة فقال عبدالله بن الزبير لابن عمـــر اذهب الى عمرو بن العاص فارشه فقال بن عمر لا والله ما ارشوا عليهـــا ابدا ماعشت ولكنه قال له ويلك يا بن العاص ان العرب قد اسندت اليك امرها بعدما تقارعت بالسيوف وتشاجرت بالرماح فلا تردهم في فتنة واتق الله وكان عمرو وأبو موسى حيث التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام ويقول انك قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي وانت اكبر مني فتكلم ثم اتكلم وجعل يقدمه في كل شيء يغتره بذلك ليقدمه فيبدأ بخلع علي فلما اراده عمرو على معوية فأبى واراده على ابنه فأبى واراده أبو موسى على عبدالله بن عمر فأبى قال عمرو اخبرني يا أبا موسى مارأيك قال رأيي ان اخلع هذين الرجلين عليا ومعوية ثـــم نجعل هذا الامر شورى بين المسلمين يختارون لانفسهم من شاؤوا فقال له عمرو الرأي ما رأيت فاقبلا الى الناس وهم مجتمعون فتكلـــم أبو موسى فحمد الله واثنى عليه فقال ان رأيي ورأي عمرو قد اتفق على امر نرجو

ان يصلح الله به امر هذه الامة قال عمرو صدق ثم قال يا أبا موسى تقدم فتكلم فتقدم ابو موسى ليتكلم فدعاه بن عباس فقال ويحك والله اني لاظنه قد خدعك ان كنتما قد اتفقتما على امر فقدمه قبلك فيتكلم بذلك الامر قبلك ثم تكلم انت بعده فان عمرا رجل غدار ولا آمن ان يكون قد اعطاك الرضا فيما بينك وبينه فاذا قمت به في الناس خالفك وكان أبو موسى رجلا مغفلا فقال انا قد اتفقنا فتقدم أبو موسى ثم قال يا ايها الناس انا قد نظرنا في امر هذه الامة وقد اجمع راي وراي صاحبي على خلع علي ومعوية ونستقبل هذا الامر فيكون شورى بين المسلمين فيولون امورهم من احبوا واني قد خلعت عليا ومعوية فاستقبلوا امركم وولوا من رأيتم لها اهلا ثم تنحى فقعد وقام عمرو بن العاص مقامه فقال ان هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه وانا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي معوية فانه ولي عثمان والطالب بدمه واحق الناس بمقامه فقال له أبو موسى مالك لاوفقك الله قد غدرت وفجرت وانما مثلك مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال عمرو انما مثلك مثل الحمار يحمل اسفارا • ولنعم ماقال الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه عبقرية الامام : كلب وحمار فيما حكما به على نفسيهما غاضبين وهما يقضيان على العالم بأسره ليرضى بما قضياه وانتهت المأساة بهذه المهزلة أو انتهت المهزلة بهذه المأساة اهـ وحمل شريح بن هاني على عمرو فقنعه بالسوط وحمل على شريح بن عمرو فضربه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهم فكان شريح يقول ماندمت على شيء ندامتي على ان لا اكون ضربته بالسيف بدل السوج اتى الدهر بما اتى والتمس اصحاب علي أبا موسى فركب ناقته فلحق بمكة فكان بن عباس يقول قبح الله أبا موسى حذرته وامرته بالرأي فما عقل وكان ابو موسى يقول قد حذرني بن عباس غدرة الفاسق ولكن اطمأننت اليه وظننت انه لن يؤثر شيئا على نصيحة الامة وقام سعيد

ابن قيس فقال والله لو اجتمعتما على الهدى مازدنا على مانحن الآن عليه وما ضلالكما بلازمنا وانا اليوم لعلى ماكنا عليه امس وتكلم الناس غير الاشعث بن قيس ولما فعل عمرو ما فعل واختلط الناس رجع الى منزله وجهز راكبا الى معوية يخبره بالامر من أوله الى آخره ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع بن عباس وشريح ومن معهما الى علي وقال بن عم لابي موسى :

أبا موسى بليت فكنت شيخا	قريب القعر مدهوش الجنان
رمى عمرو صفاتك يا ابن قيس	بأمر لاتنوء به اليدان
وقد كنا نجمجم عن ظنون	فصرحت الظنون عن العيان
فعض الكف من ندم وماذا	يرد عليك عضك بالبنان

وبهذا انتهت مهزلة تحكيم الحكمين التي دبرها عمرو بن العاص وشرى دينه بامارة مصر ثم ان معوية بعدما ولاه مصر عزله عنها وولاها عبدالعزيز ابن مروان بن الحكم فكتب اليه عمرو :

معاوية الحال لا تجهل	وعن طرق الحق لا تعدل
خلعت الخلافة من حيدر	كخلع النعال من الارجل
والبستها لك يا ابن اللئام	كلبس الخواتم في الانمل
ولولاي كنت كمثل النساء	تعاف الخروج من المنزل
ولم تك والله من اهلها	ورب العباد ولم تكمل
فأين الحصى من نجوم السماء	وأين الحسام من المنجل
وأين الثريا وأين الثرى	وأين معاوية من علي
واعطيت مصرا لعبدالعزيز	ولم تعطني زبة الخردل

قال الشيخ محمد الامير من كبار علماء مصر في حاشيته على المغني عند ذكر هذه الابيات ما لفظه وكأنه رضي الله عنه تبين له خطأ اجتهاده اهـ فانظر واعجب وقل له لا ماتبين له خطأ اجتهاده لانه لم يكن مجتهدا الا في

تحصيل حطام الدنيا وانما تبين له ان مصر التي باع به دينه قد ذهبت منه (انها لا تعمى الابصار ولكن) •

وروى نصر انه دخل على علي عبدالله بن عمر وسعد بن ابي وقاص والمغيرة بن شعبة فسألوه عطاءهم وكانوا قد تخلفوا عنه في الجمل وصفين فقال ما خلفكم عني قالوا قتل عثمان ولا ندري حل دمه او لا وقد كان احدث احداثا ثم استتبتموه فتاب ثم دخلتم في قتله فلسنا ندري اصبتم ام اخطأتم مع انا عارفون بفضلك يا امير المؤمنين وسابقتك وهجرتك قال علي الستم تعلمون ان الله قد امركم ان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر فقال (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله) قال سعد اعطني سيفا يعرف الكافر من المؤمن اخاف ان اقتل مؤمنا فادخل النار قال لهم علي أليس قد بايعتم عثمان على السمع والطاعة فعلام خذلتموه ان كان محسنا وكيف لم تقاتلوه ان كان مسيئا وقد ظلمتم اذ لم تقوموا بيننا وبين عدونا بما امركم الله به اذ قال قاتلوا التي تبتغي حتى تفيء الى امر الله فردهم ولم يعطهم شيئا اهـ ويقال لسعد كان يلزم على الله تعالى حين أمر بقتال الطائفة الباغية ان ينزل سيوفا من السماء تعرف الباغي من المبغي عليه • قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين والطبري في تاريخه وابن الاثير في الكامل :

كان علي اذا صلى الغداة يقنت على معوية وعمرو وأبي موسى وحبيب ابن مسلمة والضحاك بن قيس والوليد بن عقبة وعبدالرحمن بن خالد ابن الوليد والطبري لم يذكر أبا موسى وذكر بدله أبا الاعور السلمي فبلغ ذلك معوية فقنت على علي وبن عباس وقيس بن سعد والحسن والحسين والاشتر اهـ وذلك منهما باللعن الصريح الذي تحاشينا عن ذكر لفظه • وروى نصر بسنده عن تميم بن جذيم الناجي انه اصيب بصفين

من أهل الشام خمسة واربعون الفا واصيب بها من أهل العراق خمسة وعشرون الفا •

آخر الكلام على حرب صفين وانتهى تسويده عصير يوم الاحد خامس شعبان المعظم سنة ١٣٥٤ على يد مؤلفه العبد الفقير محسن الحسيني العاملي بمنزله في قرية شقراء من جبل عامل حين عن الآفات والغوائل حامدا مصليا مسلما •